

بسمو البشري، واحداً من أعظم الكائنات
التي تعيش في العالمين
والعالمين



الاعتداء

رواية
هازي موليش





الأعمال الكاملة

t.me/kotbhm



الاعتداء

هاري موليش

الاعتداء

رواية

ترجمتها عن الهولندية
أمينة عابد



توزيع مكتبة غوامر في مصر والكتاب



الكرمة

لمزيد من المعلومات عن الكرمة : facebook.com/alkarimabooks

الحزبان الأصلي De aanslag

حقوق النشر © هاري موليش، ١٩٨٢

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

حقوق الترجمة © أمينة عابد

Vertaald door Amine Abed

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب
بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة للطباعة من الناشر.

نشر هذا الكتاب بالتعاون مع De Bezige Bij

وبدعم كريم من المؤسسة الهولندية لدعم الأديب

Nederlands
Letterenfonds
dutch foundation
for literature

موليش، هاري

الاقتداء: رواية / هاري موليش، ترجمة أمينة عابد - القاهرة: فكرية للنشر، ١٩٨٢

١٩٩١، ص ٢٠٠ سم

تسلك: 9789776967712

١ - القصص الهولندية.

أ - عابد، أمينة (مترجم).

ب - الحزبان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٧ / ١٨٨١١

٢٤٩٨٦٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: أحمد عاطف مجاهد

مسودة الغلاف: جنة علقه كريميت، الذي اشترك في عملية المقابلة في شارع (غوستر هراخت)
٢٥ أكتوبر ١٩٩١، معمر سهول، (أرشيف شمال هولندا، هارلم). NL-THMNA_Hbta_25905

النهار يزرع في كل مكان، لكن الليل جاثم هنا. كلاً،
إنه أكثر من ليل.

«جاوس بليريس كاسيليوس الثاني»

«رسائل» ٦، ١٦

تسجيرام : شمسور الأزيكية

مدخل

في زمن بعيد بعيد، أثناء الحرب العالمية الثانية، كان هناك صبي اسمه «أنطون ستينفايك»، يعيش مع والديه وشقيقه على أطراف مدينة «هارلم». على رصيف يمتد مائة متر على طول قناة مائية ثم يصبح، بانعطاف طفيف، شارعًا عاديًا، كانت تقوم أربعة منازل بعضها غير بعيد عن بعض. كان كل منها محاطًا بحديقة، وكانت شرفاتها الصغيرة ونوافذها البارزة وسطوحها المائلة تضيء عليها مظهر الفيلات، مع أنها أقرب إلى الصغر منها إلى الكبر، وغرف طوابقها العلوية جميعها لها جدران مائلة. كانت تفتقر إلى الدهان وتميل بعض الشيء إلى التداعي، إذ إنه حتى في سنوات الثلاثينات لم تُجرَ عليها إصلاحات تُذكر. كان كل منها يحمل اسمًا بورجوازيًا مهذبًا ينحدر من أيام الطمأنينة:

«قصر النسيم» «فوق الخيال» «خالي الهموم» «موقع ممتاز»

كان «أنطون» يقيم في المنزل الثاني من اليسار، ذي السطح المصنوع من الخيزران. لو أن هذا المنزل لم يكن يُسمى بهذا الاسم

عندما استأجره والداه قبيل الحرب، لسماء والده بـ «إلوثيريا» (الحرية) أو باسم من هذا القبيل، وكتبه بالحروف اليونانية. حتى قبل وقوع الفاجعة، لم يفهم «أنطون» اسم «خالي الهموم» على أنه المنزل الذي يخلو من الهموم، بل المنزل الذي يخلو من كل شيء ما عدا الهموم. كما أنه لم يكن يفهم عبارة «أخارج المؤلف» على أنها الشيء غير المؤلف، بل الشيء المؤلف خارج المنزل.

في منزل «موقع ممتاز» كان يقيم السيد «بويمر» وزوجته، وهو محام متقاعد ومتوكل الصحة. في بعض الأحيان كان «أنطون» يتردد عليهما، فيقدمان له كوبًا من الشاي ونوعًا من الكعك يسميان «كأكيه»، هذا عندما كان يوجد شاي وكعك، أي قبل بدء هذه الحكاية التي هي حكاية حادثة. وكان السيد «بويمر» يقرأ له أحيانًا فصلًا من رواية «الفرسان الثلاثة». أما السيد «كورتيفيخ»، الجار الساكن على الطرف الآخر، في منزل «فوق الخيال»، فكان قائد سفينة في الملاحة التجارية، لكن الحرب اضطرتة إلى البطالة. بعد وفاة زوجته، عادت ابنته «كارين»، المريضة، وعاشت معه في منزله. كان «أنطون» يزور هذا المنزل أيضًا في بعض الأحيان، عن طريق فجوة في سياج الحديقة الخلفية، فتعامله «كارين» دائمًا معاملة طيبة، أما والدها فلا يلقي إليه بالًا. لم يكن القاطنون على هذا الرصيف يماشر بعضهم بعضًا معاشرًا وثيقة، ولكن أكثرهم انزواء كان السيد «آرتس» وزوجته اللذان يسكنان في منزل «قصر النعيم» منذ بداية الحرب. كان يُعتقد أن الرجل يعمل في شركة تأمين، ولكن حتى ذلك لم يكن مؤكدًا.

يبدو أن الغاية من بناء هذه المنازل الأربعة كانت تشييد حي جديد، بيد أن الحي الجديد لم يعرف سبيله إلى الاكتمال، فإلى جانبها وعلى جهتها الخلفية، تمتد أرض بور تنتشر فيها أعشاب برية وشجيرات صغيرة وكذلك أشجار خلت عليها السنون. هناك، على تلك الأرض، كان «أنطون» يقضي وقتاً طويلاً في التسكع، وكذلك كان الأولاد الساكنون في الأحياء المجاورة يأتون للعب واللهو. أحياناً، في ضوء الغسق، عندما كانت والدته تنسى أن تناديه إلى البيت، كان ينبعث من حوله صمت ذو رائحة عطرة، يفعم قلبه بنوعات لا يعرف طبيعتها على وجه الدقة. شيء له علاقة بالمستقبل، عندما يكبر، ستحدث أشياء، مثل هذه الأرض الساكنة، وأوراق الشجر، والعصفورين اللذين يتجولان فجأة وهما يزقزان. ستكون الحياة مثل هذه المساءات التي ينسى فيها، ومثل هذا الغموض وهذه اللانهاية.

كان الطريق على الجهة الأمامية من هذه المنازل مبلطاً بشكل هندسي متموج. كان هذا الشارع يفتقر إلى رصيف ويتعاهى في ضفة خضراء تنحدر انحداراً طفيفاً إلى درب الملاحين الموازي للقناة، ما يجعلها مكاناً مريحاً لأن يتمدد المرء على ظهره. أما على الجهة المقابلة من القناة العريضة - التي يدل نعرجها الخفيف وحده على أنها كانت نهراً في يوم من الأيام - فتقوم بضعة منازل ريفية وبضع مزارع صغيرة، تترامى خلفها المروج حتى الأفق. وفيما وراءها تقع أمستردام. أخبره والده أنه قبل اندلاع الحرب، كان باستطاعة المرء أن يرى في الليل أضواء المدينة منعكسة على الغيوم. لقد تردد «أنطون» عليها بضع مرات، وزار فيها حديقة الحيوانات «آرتيس» ومتحف

«رايكز»، وزار خاله حيث نام ليلة في منزله. أما على اليمين، عند أحد انعطافات المياه، فتتصبب طاحونة هوائية لا تدور قط.

كان «أنطون» حين يستلقي على الضفة الخضراء ويحدق في البعيد، يضطر أحياناً إلى سحب ساقيه، إذ يرى على درب الملاحين الموطوء كثيراً، رجلاً يقترب منه وكأنه قادم مباشرة من القرون الماضية: ملاحاً منحنيًا على عصا طويلة مثبت طرفها الآخر على مقدمة قارب، يدفعه بها عبر المياه بخطوات متثاقلة. ووراء الدفة تقف عادة امرأة مرتدية مربلة، وضامة شعرها في عقدة، بينما يلعب طفلها على سطح القارب. كانت العصا تُستعمل أيضًا بطريقة أخرى، فيقف الرجل نفسه في هذه الحالة فوق القارب، يسير على حافة سطحه إلى الأمام ساحيًا العصا وراءه عبر المياه، وما إن يبلغ مقدمة القارب حتى يفرز العصا على نحو مائل في قاع القناة، ويمسك بها ويعود إلى الخلف، فيدفع بذلك القارب إلى الأمام. كان هذا المشهد من أجمل المشاهد التي يراها «أنطون»: رجل يسير إلى الوراء ليدفع شيئاً إلى الأمام، ويبقى في الوقت نفسه في المكان ذاته. كان يراه شيئاً غريباً إلى أقصى حد، لكنه لم يكن يتحدث عنه مع أحد. كان ذلك سره. فيما بعد، عندما وصف هذا المشهد لأولاده، أدرك في أي زمن قد عاش، فمثل تلك الأشياء لم تكن تُشاهد حينذاك إلا في الأفلام عن أفريقيا وآسيا.

كانت السفن الشراعية تمر من هناك بضع مرات في اليوم: سفن عملاقة ملأى بالحمولة، لها أشرعة بلون بني غامق، تظهر بهدوء عند المنعطف، تسير بهيبة بتأثير الرياح غير المرئية، وتختفي في

المعطف الثاني أما «لسن» ذات المحركات الآلية فكان أمرها محتتمًا، فقد كانت تمر عبر المياه مشكّلة حرف «V» الذي يأخذ في الاتساع حتى يصل إلى حدار الرصيف على الجانبين هناك يأخذ المياه بالتلاطم فجأة، على الرغم من أن السفينة قد انتعدت حدًا، ثم ترند مشكّلة حرف «V» المعكوس، حرف «لامدا» اليوناني، الذي يأخذ في الانعلاق ويدخل مع حرف «V» الأصلي، فيصل مشوّهًا إلى حدار الرصيف المقابل، وهكذا، يرتد من جديد حتى نشأ على عرض المياه كله صفائر معقدة من الأمواج، تعرض إلى عبارات حمّة خلال دقائق عديدة، قل أن نهذاً أحياناً وتصيح مدساء.

كان «أطول»، في كل مرة، يحاول أن يفهم كيف تحدث هذه العملية على وجه الدقة، ولكن في كل مرة كانت العوامل المؤدية إلى حدوثها تتصاعف وتتحول إلى نموذج يعجز عن استيعابه

الجزء الأول

١٩٤٥



كاس الساعة تشير إلى نحو الساعة والنصف مساءً كانت المدفأة قد اشتعلت عدة ساعات بهدوء على قليل من الحطب، لكنها الآن قد انطفأت من حديد جسم «أنطون» مع والديه و«بيتر» حول الطاولة في العرفة الحلقية فوق طبق صغير كانت تقوم أسطوانة من التوتياء بحجم أصيص الزهر، يرر من جهتها العلوية أبواب رفيع مشطر إلى شطرين مثل حرف «لا»، وكل من الشطرين ينتهي بثقب صغير يخرج منه لهب حاد، أبيض، مهبز للبصر، ويتصاعد سميل في اتجاه الآخر هذا المصباح يعث ضوءه الشاحب في العرفة التي يتراءى في ظلالها لحادة العسيل المشهور، انمرئق مرات عديدة، وأدوات المطبخ، وأكداش القمصان عبر المكويه، و«صدوق الترس» لحفظ الطعام دافئ، وكذلك بوعان من الكتب حي، بهما من مكتب والده الصنف اسرصوص على حراة البوقية من أحل القراءة، أما الروايات المقدسة على لأرض فمن أجل إشعال المدفأة الصغيرة التي يُطبخ عليها، إذا وُجد شيء يُطبخ، فاسجرائد متوقعة عن الصدور عند شهور

عديدة كانت الحياة اليومية كلها، ما عدا النوم، تُعاش في عرفة الطعام سابقًا كان بها الجرار معلقًا، ونقع حلقه، على حهة الشارع، عرفة انحلوس التي لم يظروها طيلة فصل الشتاء لكي يسموا الرد من اندحون قدر الإمكان، كانوا يتركوب ستائرهما مسدلة أثناء النهار أيضًا، فيبدو للمسرح طريق إليه من رصيف القاعة أنه غير مسكون

كان انشهر شهر يناير عام ١٩٤٥ كنت أوروبا بأسرها تقريبًا قد تحررت، ونحن نحتفل بتحريرها، وتأكّل، وتشرب، ونمارس الحب، ونسى الحرب شيئًا فشيئًا، أما «هارلم» فكانت تتحول يومًا بعد يوم إلى رماد أشهب، مثل لرماد اندي كان يحرق من المدفأة أيام وجود الفحم

كانت ولدته قد وصعت أمامها على الطاولة كرة من الصوف لألررق الذاكر، وقد احتفى بصمها كانت تمسك في يدها اليسرى كرة صوف تزداد في الحجم، وهي تلف عبيها بيده اليمنى حيث الكرة بسرعة أحد «أنطون» يردد نصرة بين الحبط الصوفي - الممرع حيث وذهابًا، مسًا احتفاء الكرة من الوجود - والكرة تكفيها الممدودين - وهي تتحول إلى كرة صوف - مثل شخص يريد أن يمنع حدوث شيء ما حين اتسمت له والدته، نظر في كتفه من حديد كانت صغيرًا تأسرها الأشقر الملعوفتان على صدعها تدوان مثل صدعتي «الأمويث» بين لفية والأخرى كانت تتوقف عن عمدها وتأخذ دفعة من «نديل الشاي» البارد الذي أعدته بمياه الثلج من الحديقة «حلقبة» صحيح أن مياه الشبكة ليست مقطوعة، لكنها متجمدة في الأنابيب كانت ولدته تعاني من بحر في صرسها لا يمكن علاجه

في الوقت الحالي، لذلك حدث حدود جديده فوضعت القربل في المكان المحور لتسكين الألم، بعد أن عثرت على بصع بدور مه في المطبخ على قدر ما كانت مستوية في جلوسها، كان روحها الحارس قائلتها محبباً على امرأة كتاب كان شعره الداكن الأثيب يحف برأسه الأصبع مثل حدود لفرس، وبين الحب والآخر يفتح في يديه للتير كاسا صححتين وعلينتين، مع أنه ليس عاملاً، بل سكرتير في محكمة لاتدائية

كان «أبطون» قد لبس ثياب أحيه التي صمرت عليه، وارتدى «بيتر» بدوره بديه سوداء قصاصة من بدلات أبيه كان «بيتر» يلعب لسبعة عشرة من عمره، ولأنه كره فحاة في الوقت الذي كان الطعام يقل فيه ويدر، كانت فته تدو وكانها مكوبة من ألواح من خشب للصوبر كان يؤدي واحده امدرسية مدبصة شهور لم يكن قد خرج إلى الشارع، فقد بلغ من العمر ما يعرضه للاعتقال أثناء نهارات من أحل رسانه للعمل لإجباري في ألمانيا لقد رسب ستين من سنوات الدراسة، بذلك هو لا يزال في السنة الأولى من الدراسة الثانوية، ويتلقى دروساً خصوصية من والده مع واجبات وحلله، كي لا يتأخر في دراسته أكثر مما هو متأخر. كان الشقيقان لا يشبه أحدهما الآخر، شأبهما في ذلك شأن والديهم هناك من الأرواح من يشبه أحدهما الآخر شيئاً كاملاً، (وهذا قد يعني أن الروحة نشه وادة الزوح، وأن الروح يشبه والد الروحة أو يكون الشبه أعقد من ذلك، وهذا هو الأكثر احتمالاً)، بيد أن أسرة «ستيفايك» تتكون من قسمين متباينين لقد ورث «بيتر» شعره الأشقر وعينه الزرقاوين من

والدته، وأحد «أطون» شعره الأسود وعيسيه الداكتين عن والده، وكذلك الشرة الحطية التي تريد سمرة حول العيين لم يكن هو الآخر يذهب في ذلك الوقت إلى المدرسة. كان في السنة الأولى من الدراسة الإعدادية، لكن بسبب عدم وجود الفحم، أُطيلت عطلة أعياد الميلاد حتى انتهاء فترة الصقيع

كان جائعًا، لكنه يعرف أنه لن يحصل على رعيص حر رمادي لرج، مدهون بدبس الشويدر السكري، إلا في صباح اليوم التالي في عصر ذلك اليوم، وقف ساعة كاملة في الطابور الممتد أمام المطبخ المركزي في روضة الأطفال ثم تصل العربة اليدوية المحملة بالعدور إلى الشارع إلا بعد أن حل الظلام، وكانت تحت حراسة شرطي يسدقة على ظهره. بعد أن قطعوا بطاقته، للموسيقى، سكبوا له أربع معارف من حساء سائل حفيف في وعائه الذي كان قد أحده معه في الطريق إلى البيت عبر الأراضي الوعرة، لم يسأل إلا القليل من ذلك المرق لحامص الدافئ من حس انحط كان يوشك على الذهاب إلى النوم، ففي أحلامه يعم السلام دائماً

ثم يكن أحد مهم يكلم، ولم يكن يُسمع أي صوت من خارج المنزل انحرب موحودة من الأول ومستمرة إلى الأبد ولا يوجد رديو، ولا تلفون، ولا أي شيء كان أرب حصف يصدر عن اللهب، وبين الحين والآخر فرقات حفيف. كان «أطون» قد تلعع شال صوفي، ووضع قدميه في مدق أقدم صفعته والدته من حفيف مشريات قديمة، ويقرأ مقدلاً في مجلد «الطبيعة والتكنولوجيا» في عيد ميلاده أهدي إليه هذا المجلد المستعمل من إصدارات سنة

١٩٣٨ المقال بعنوان «رسالة إلى أحماديا» وفي الصورة نفق جماعة من الأمريكيين الناحيين وقد حللوا ستراتهم وشخصوا أنصارهم إلى أنبوب كبير لامع على شكل «طوربيد»، يتدلى عمودياً فوق رؤوسهم، في انتظار إنترانه، إلى عمق خمسة عشر متراً تحت سطح الأرض بعد أن تمضي خمسة آلاف سنة، سيقوم الأحفاد بمنح هذا الأنبوب ليأخذوا فكرة عن الحضارة الإنسانية، وذلك في المعرض الدولي في نيويورك يحتوي هذا الأنبوب، لمصنوع من معدن «الكوبالوي» ذات الصلابة، على أسطوانة من رجاج مصاد للاحراق ملأى بمئات الأشياء أرشيف مصغر يتضمن حالة للعلوم والتكنولوجيا والصون في عشرة ملايين كلمة وألف صورة، وجرائد، وكتالوجات، وروايات مشهورة، والكتاب المقدس طبعاً، والصلاة الربانية ثلاثمائة لغة، ورسالات الترحال العظيم، ولكن أيضاً أفلام فيديو عن القصف الياباني للعطية بمدينة «كوانجو» الصينية عام ١٩٣٧، وبذور، ومفسس كهربائي، ومسطرة حاسبة، وكل الأشياء الأخرى الممكنة، حتى قعة سائية من موصلة حريف عام ١٩٣٨. كانت جميع المكتبات (نعمامة والمتحف المهمة في العالم قد استلمت وثيقة حُدد فيها مكان «البئر الألفية» التي سُدت هويتها بالأسمنت، في سبيل أن يُعثر عليها في القرن السابع «أبطون» فيما يليه وبين معه ولكن لماذا يجب الانتظار حتى سنة ٢٦٩٣٨ ألا يمكن أن يكون فتحها ممتد قبل ذلك الوقت؟

- بابا! كم تعادل خمسة آلاف سنة ماضية؟

أجاب السيد «سيفيدك» من دون أن يرفع عينيه عن كتابه

- خمسة آلاف سنة بانصط.

- أعرف هذا، ولكن هل كان في ذلك الوقت . أعني

- قل ما تعبه إدد

- آه، أعني هل كان للناس، مثل لأن .

فسألت والدته

حصارة؟

- أحل

فقال لها السيد «سنيديك» وهو يرمقها سطرة من فوق نظارته

- لماذا لا تتركين الورد يصوع كلامه نفسه؟

ثم له «أطون»

- كانت انحصارة ما ترال بدائية في ذلك الوقت كانت موحودة

في مصر، وفي بلاد ما بين النهرين ولكن لماذا تسأل؟

- لأنه مكتوب ه أنه بعد

هتف «بيتر» وهو يسوي واقفاً من فوق قاموسه وقواعده

- انتهى!

ودفع لدعير نحو والده، وحاء ووقف بجانب «أطون»

ماذا تقرأ؟

أجاب «أطون» وهو يعطي كتابه بصدرة وذراعيه المتصانبتين

- لا شيء

فعلت والدته وهي تدفعه لينتصب بقامته

- لا تفعل هذا يا «طوبي»

- هو أيضاً لا يسمح لي برؤية أي شيء له

فقال «بتر»

- كذاب وقدر يا «أنطون موسيرت»

مرّدٌ عليه «أنطون» بأن صعط على أمه وراح يعي

لأنسي ولدت عاثر الحظ

سأموت عاثر الحظ أيضًا

صاح السيد «سنيهايك» ضارياً الطاولة براحة يده

- كفى!

لأن سمه «أنطون»، مثل اسم رئيس الحركة الارية «أنطون

موسيرت»، كان يتعرض كثيرًا لمصايغات هي فترة الحرب، كان

لهاشيون عدليًا ما يسمون أبهم «أنطون» أو «أدولف»، وحتى

أحيانًا «أنطون أدولف»، كما كان يتبين من إعلاناتهم عن الولادات

المشورة بافحار تحت رموز الفاشية مثل مصيدة الدفات أو الأحرف

نبروية. فبعد، كان «أنطون» إذا انتقى شخص يحمل أحد هذين

الاسمين، أو يلقب بـ «نطون» أو «دولف»، طر أنه ولد أثناء الحرب،

ورداً صبح ظنه، علم علم انيقس أن والديه كان صالين صلاً ليس

باليسير بعد مصي عشر سنوات أو خمس عشرة سنة على الحرب،

عاد اسم «أنطون» إلى التداوس من حديد، الأمر الذي دلّ على قله

أهميه «أنطون موسيرت» أما اسم «أدولف» فلم يعرف طريقه إلى

القول أبداً فقط حين يظهر أبا من يدعون «أدولف» من حديد مسكون

قد نحطبه فعلاً لحرب العالمية الثانية، لكن يتحدث هذا يجب أو لا

أن تشب حرب عالمية ثالثة، ما يعني أننا انتهيا إلى الأبد من اسم

«أدولف» كما أن الأعبه انتي عنها «أنطون» كهجوم مصاد عسى

«بيتر» لا يمكن فهمها اليوم من دون شرح - كان الفنان الكومبيدي دو الاسم المستعار «بيتر عائر المحفد» يعيها من أمه في الراديو، عندما كان اقتناء الراديو مسموحًا به - لكن ثمة أشياء كثيرة أخرى لم تعد معهومة ليوم، ولا سيما «أنطون» معه

قال السيد «سينهايك» لـ «بيتر» وهو يأخذ الدفتر بين يديه -
- تعال اجلس بجانبني!

وأخذ يقرأ ترجمته بصوت رزير

«ومثل الأنهار الجليدية المياه الأمطار والثلوج، المندفعة من فوق المرتفعات إلى حوض الوادي، حين التقائها بالمياه العريضة، المتدفقة من الساسع الوهيرة، في فاعها المقعر - ومن مكان بعيد على الجبال يسمع الراعي هدير لتقائها العدمص هكذا كان يُسمع الصراخ وصوت القتال الصاري من الحدود المشتكير وحدها لوجه في المعركة» - يله من تصوير رائع!

قال السيد «سينهايك» ذلك وهو يتكئ إلى ظهر المقعد وسرع بظارته عن عييه

قال «بيتر»

- طبعًا، رائع! ولا سيما إذا قصبت ساعة ونصف الساعة في ترجمة هذه الجملة الجهمية

- ترجمتها تستحق يومًا كاملًا انظر كيف يستحضر الطبيعة، ولكن بطريقة موارنة، في التشبيه هن لاحظت ذلك؟ فالذي بقي في ذاكرتكم ليس أولئك الجود المتقانبين، بل ذلك المشهد الطبيعي الذي ما زال موجودًا إلى الآن تلك المعركة انتهت،

أما تلك الأنهار فما تزال باقية، وما زال بإمكانك سماع هديرها،
لذلك أنت ذلك الراعي إنه كأنما يريد أن يقول إن الحياة كلها
هي مقدمة بحكاية أخرى، والعناية من هذه المقدرة هي معرفة
الحكاية الأخرى

«مال» يسر

- والحكاية لأخرى هي «حرب طغ»

مظاهر السيد «مستغياث» بعدم سماعه

- أحسب يا بني! لم ترتكب سوى خطأ واحد وهو ليست

«الأنهار» هي التي ينتهي بعضها بعضاً بل هما «نهران»

- أين يوجد هذا؟

- هما هذه علامة الشية، وهي تدل على شيئين يلتقي أحدهما

الأخر، شيئين اثنين، وعندئذ يصح تشبيههما بالحبشيين هذا

أمنسوب يسمى به «هومبروس» عن سواء تذكر «علامة المشي»

مثل «يحتمعان» و«يلتعيان» هل تعرف ماذا كانت «العلامة»؟

أجاب «ستر»

- لا

وذلك سرته على أنه لا يريد أن يعرف أيضاً.

سأل «أنطون»

- ماذا كاتب يا أمي؟

- كاتب ححرًا بملقونه إلى مصعبين بعترص أسبي قصبت بيلة

في مدينة أخرى، وسألت مصعبني هل يريد أن يستفلك أنت

أيضاً، ولكن كيف له أن يعرف أنك ابني فعلاً؟ لكي يعرف

ذلك يصنع «علامة»، فيحتفظ هو بالنصف الأول وأن أعطيك
النصف الآخر حين عودتي إلى البيت فإذا ذهبت إليه، تطابق
النصفان تطابقاً كاملاً
قال «أنطون»

- إنها فكرة رائعة، سأحربها ذات مرة!

تحول «بيتر» عنهما في تدمر

- لماذا، بحق السماء، يجب أن أنعلم كل هذا؟

أجاب السيد «ستيفان» وهو ينظر إليه من فوق نظارته

- ليس بحق لسماء، إنما بحق لإنسانية لسوف ترى في حياتك

القادمة كم من سعادته عظيمة ستجيبها من هذه المعرفة.

أعلق «بيتر» كفه، ووضع بعضها فوق بعض، وقال بسرعة عريضة

- من يشاهد الناس، لا يستطيع إلا أن يصحك!

سأله والدته

- ماذا تعبد يا «بيتر»؟

ودفعت بلسانها القرمز إلى مكانه

- لا شيء

قال السيد «ستيفان»

- أحشى أنه لا يقصد شيئاً

ثم باللاتينية

- يبقى الأطفال أطفالاً، ولا يملكون أن يتصرفوا إلا كي لا يظلموا

كانت الكرة قد احتضت، فوضعت السيدة «ستيفان» كرة الصوف

في سلة الحياطة

.. هيا! دعونا نذهب قليلاً قبل الذهاب إلى اليوم

قال «بيتر»

.. أيجب أن نذهب الآن إلى اليوم؟

.. يجب أن نتقشف في عذر المصباح، فما لدينا منه يكفي لنضعة أيام فقط

أحترحت السيد «ستينهايك» صندوق لعبة «اللودو» من درج الحرارة، وأراحت المصباح إلى جانب، ومسحت لوحة اللعبة على الطاولة

قال «أنطون»

.. أريد أن ألع باليادو الحضر

فخطر إليه «بيتر» وأشار إلى حينه

.. أنعتقد أنك ستريح، د لعت باليادو الحضر؟

.. أجل.

سوف يرى!

وضع السيد «ستينهايك» كتابه مفتوحاً إلى جانبه وبعد مضي برهة قصيرة، لم يكن يُسمع شيء سوى صوت ارتطام حجر الزهر باللوحة ووقع حركات اليادو عليها كانت الساعة تقارب الثامنة وقت حظر التجول وكان صمت مطلق قد ساد الشارع، مثل الصمت الذي لا بد أن يكون سائداً على سطح القمر

في ذلك الصمت اسمع عن الحرب في هولندا، تُسمع من الشارع فجأة دوي ست طلقات في البداية طلقة واحدة، ثم طلقتان متتاليتان، وبعد بصع ثوان طلقة رابعة وخامسة، وبعد برهة قصيرة صرخة، ثم طلقة سادسة ينسمر «أنطون» الذي يهم بإلقاء حجر الرهر، ويظر إلى والدته، فتنظر والدته إلى والده، فيسطر والده إلى الباب الجرار، أم «بيتر» فيرفع عطاء مصباح النجار ويضعه على اللهب

في طرفه عين تفرق العرفة في الظلام قام «بيتر»، واتجه نحوى مصطربة صوب الباب الجرار فتح الباب، وراح يسترق النظر من خلال شق في ستائر المافذة الباردة على العود اندفع يرد فارس ذو رائحة عفه من الصالون إلى العرفة
قال:

- لقد قتلوا شخصاً! هياك شخص مطروح على الأرض!
وهرول إلى العمر

صادت والدته

- «بتر»

سمعتها «أبطون» وهي تحري في أعفاه، فوثب هو الآخر واقفاً،
وركض نحو البائدة الباررة، متعاقباً الاصطدام بالأناث الذي سم يره
مد شهور ولا يره الآن أيضاً المقاعد الوثيرة، والطاولة المستديرة
مصحفة، ممرش بدائياً تحت لوحها لرحاحية، وحرارة البويه
لموصوع فوقه الطبق انحرفي وصورتنا حذنه كدت السائر ورف
الدفة ولأشياء كلها باردة برودة الثلج، ولكن أرهاق الصقيع لم تكن قد
تشككت على «بتيك»، إذ إن المعرفة لم يتعس فيها أحد منذ أمد بعيد
كدت ليلة غير مغمرة، تكن «ثلج المتحون إلى حديد كان ينصح بصوء
البحر في بداية طر «أبطون» أن «بتر» هدر بكلام لا معنى له، لكنه
ما إن سمع البائدة الباررة حتى رأى الحادث من حلال قسمها الأيسر
وسط الشارع المهجور، أمام منزل السيد «كورنيلس»، كادت
دراجة هوائيه واقعة على لأرض، وعجلتها الأمامية الباررة في لهواء
ما تزدن تدور - مؤثر درامي سيظهر لاحقاً بلقطات قريبة في كل فيلم
عن المقاومة ركض «بتر» وهو يعرج عر ممر الحديقة الأمامية إلى
الشارع كادت أصبع من أصابع قدمه اليسرى قد تقرح منذ أسابيع من
دون أن تعرف سبباً إلى «الشقاء» واضطرت ولدت إلى أن تقص قطعة
من حديد حدائه فوق لأصبع استقرحة جثا عبد رجل يرفد هامداً في
مجرى المياه، بالقرب من الدراجة الهوائية، سانداً ذراعها اليمنى على
حافة الرصيف، كما لو أنه يريد برقود في وصية مريحة رأى «أبطون»
حداء الأسود يلعب، الحداء الذي تكسو كعبيه صبيحتان من الحديد

امترج انصحب والهمس في صوب والدته، عندما وقفت على
 عتبة الباب الرئيسي وبادت «بيتر» بأن يعود إلى المنزل على الفور
 بهض «بيتر» واقفاً، وبطر إلى يمينه وشماله، ثم إلى الرجل من حديد،
 وعاد إلى البيت وهو يعرج
 بعد برهة قصيرة سمع «أطون» صوته من اسمر وهو يقول لوالدته
 ببرة فيها مشوة البصر:

- إنه «ملوح» لقد شبع موتاً، هذا إذا أردت أن تعرفي رأيي
 على الرعم من أن «أطون» يبيع الثاية عشرة من عمره، فإنه يعرف
 أن «هاكه سوج»، المعشش اعدام لشرطة، من أكبر المجرمين والحائثين
 في مدينة «هارلم» وبواحيها فقد اعتاد أن يمر من هنا، أثناء دهبه إلى
 عمله أو عودته إلى بيته في قرية «هيمستيد» كان رجلاً صرحم البه،
 عريض العكبين، قاسي نوجه، يرتدي عادة ستره رياصة سة اللون
 فوق قميص مع ربطه عتي، وقعة، ونظطون فروسية أسود، ويستعل
 حذاء طويل المساق، وتحيط به هالة من العبق والحقد و الخوف. كان
 ابيه «هاكه» يدرس مع «أطون» في الصف نفسه أحد «أطون» يحلق
 في انحاء الذي يعرفه جيداً، فقد حدث بصع مرات أن جاء «ملوح»
 نابه إلى المدرسة على المقعد الحلفي من سلك للراحة الواقعة هناك
 كان كنما وصل إلى مدخل المدرسة، لرم جميع الموجودين الصمت،
 فكان «ملوح» يلقي نظرات استهراء عليهم، لكنه عندما يعادر، يدخل ابيه
 «هاكه» باحة المدرسة منكس العيس، وكان عليه أن يتدبر أمره نفسه
 طرف سمعه صوت والدته

- «طوني»! تعال فوراً من عند الباعدة

في اليوم الثاني من السنة الدراسية حين لم يكن أحد يعرفه بعد،
 جاء «فاكه» إلى المدرسة ببدلة منطقة الشباب البارزة ذات اللون
 الأزرق الفاتح، واصفًا على رأسه فئتها السوداء الموشاة باللون
 البرتقالي. كان ذلك في أحد أيام سبتمبر، بعد فترة قصيرة من «الثلاثاء
 الهائج»، حين طس ان جميع أن المحرّرين على وشك الوصول، وأن
 غالبية أعضاء الحركة الدرية، والمتعاونين مع الألمان، قد مروا باتجاه
 الحدود الألمانية أو إلى ما وراءها. جلس «فاكه» وحده في مقعده
 في الصف، يحرص كنه من حقيقته. وقف الأستاذ «نوص»، معلم
 الرياضيات، على عتبة الصف ووضع ذراعه على إطار اساب لمع
 التلاميذ الآخرين من بدحوب، ودعى التلاميذ الذين دخلوا الصف إلى
 الخروج منه. ثم صاح قائلاً: «فاكه»، إن الدروس لا تُعطى لطلاب
 يرتدون مثل تلك بدلات، فتلث «مرحلة لم يحس أوانها ولن يحس
 أوانها أيضًا، ولدلت يح عليه أن يذهب إلى البيت ويرتدي لباسًا
 آخر. لم يمس «فاكه» سب شعره، ولم يلتفت إليه حتى، بل بقي حالماً
 من دون أن يحرك ساكنًا. ما لبث أن ظهر مدير المدرسة وشق طريقه
 عبر لرحام باتجاه المعلم، وأحد يهمس في أذنه «بفعال شديد، يد أن
 المعلم لم يترح عن موقفه. كان «أنطوب» وأما في مقدمة التلاميذ،
 يظهر من تحت ذراع المعلم إلى ظهر «فاكه» انجلس في القاعة
 الفارغة، حين أدار «فاكه» رأسه سطاء وراح يحدق في عييه. في تلك
 اللحظة شعر «أنطوب» حاله بالاشفاق لم يسبق به أن شعر بمثل حبال
 أي شخص آخر، فقد أدرك أن «فاكه» لا يستطيع الذهاب إلى البيت
 خوفًا من والده! فم يتر إلا وقد عبر من تحت ذراع المعلم «نوص»

ودخل الصف وحلّس في مقعده هكذا أنهى معارضة المعلم عند نهاية الدوام، أمسك المدير بذراعه في حجرة المدخل، وهمس في أذنه بأنه ربما أنفذ حياة المعلم «بوص» بدخوله إلى الصف لم يعرف لماذا يجيبه على هذه المحاملة فيما بعد، لم يتطرق أحد في المدرسة إلى هذه الحادثة، ولا أطلع هو نفسه أحدًا عليها في البيت

الجثة مطرحة في محرى المياه، وعجلة الدراجة متوقفة عن الدوران، وفوقهما السماء المهيبة المرصعة بالنجوم ألفت عيانه الظلام، فأصبحت رؤيته أوضح عشر مرات من ذي قبل فها هو بحم الجوراء وقد شهر سيفه، ودرب التناة، وكوكب مائل، ربما هو كوكب المشتري مدقرون لم تبلع السماء فوق هوليده، الملح من الصفاء. هي الأفي يتهاذى شعاعان من ضوء الكشف، يتقاطعان لحظة ثم يتعدان أحدهما عن الآخر، لكن لا يُسمع هدير الطائرات انته إلى أنه ما يزال ممسكًا بحجر الزهر في يده، موضعه في جيبه

حين هم بالانصراف عن المساعدة، رأى اسد «كورتيفيج» يجرح من مرله، وفي أعفاه «كارين» أمسك «كورتيفيج» بكتفي «سوخ» وأمسكت «كارين» بحدائه، وأخذت يسحبانه من مكانه «كارين» بخطوات إلى الوراء
صاح «أطون»

تعالوا وشهدوا ما يحدث!

ما إن وصلت ولدت «ستر» إلى البادة حتى شاهدت جثة «لوح» وهي تُوصع آدم مرلهم ركعت «كارين» و«كورتيفيج» إلى المكان

التي كانت الجنة راقده فيه قبل لحظات، فألقت «كاريس» قنعة «بلوخ»
إلى الجنة، وحاء والدها بالدراجة الهوائية ووضعها بحساب القتيب،
ثم تواريا أحدهما وراء الآخر في مرل «فوق الحبال»

صعق الواقفون وراء البائدة البارزة في مرل السيد «ستينمايك»،
فلم يستطع أي منهم أن يمس بكلمة واحدة أقفر رصيف القنطرة من
حديد، وعاد كل شيء إلى حاله، وبكى في الوقت نفسه لم يبق أي
شيء على حانه انقتيل راقده ودراعه حنف رأسه، ومعطفه لطويل
محسّر حتى حصره وكأنه يهوي من علي ويده اليمنى قابضة على
مذسسه رأى «أنطون» وحاء «بلوخ» العريض بوصوح، وشعره
الملتصق بعروة رأسه والمسرّح إلى انوراء ما يزال على ترتيبه،
أويكاد

فحاة صاح «بيتر» بصوت هادر

- نعمة انله عليهما!

فدوى صوت لسيد «ستينمايك» في ظلام العروة الحلعية

- هيه، اهدأ، هدا!

لم يكن قد نهض عن الطاولة بعد

صاح «بيتر»

- لقد وصع الجنة آدم بيتا، هدا انوعدا! يا يسوع المسيح!

يحب أن تحلص منها قبل أن يصل الألمان!

فقال السيدة «ستينمايك»

- لا تتدخل في هدا لأمر يا «بيتر» نحن لا علاقة لنا باموصوع

- كيف لا علاقة لنا والجنة آدم بابا! ألا تعرفين لمدانقلاها إلى

هنا؟ لأيهما يعتمدان أن الألمان سيأخذون بثأره، كما فعلوا عند
قناة «لايدسفارت»

- نحن لم نرتكب أية جريمة يا «بيتر»!

- وكأنهم يكثر ثوب لهذا الأمر! ألا تعرفين لألمان؟

وخرج من العرفة قائلاً:

- هيا يا «أنطون»! تعال معي بسرعة فلتختص منها أنا وأنت

صاحبة السيدة «ستيفيث»

- هل جتما!

وتشردت «لقرمبل»، فأحدثت تشويع حتى بصقته من فمها

- ماذا تريد أن تفعل؟

- سأعيد الجثة إلى مكانها أو أنقشها إلى عند السيدة «بويمر»

- السيدة «بويمر»؟ كيف لك أن تفكر بهذه الطريقة؟

- لماذا يجب ألا تكون عند السيدة «بويمر» وتكون عند من نحن؟ هي

أيضاً مثلاً لا علاقة بها بالموضوع، أسس كذلك؟ المهر لم يحل

له أن يتجمد إلا الآن! سرى ماذا يجب أن يفعل

- لن أسمع بك بفعل أي شيء!

كانت السيدة «ستيفيث» قد خرجت هي الأخرى من العرفة هي

الصوت الخافت المنساب من خلال المساعدة العليا إلى حجرة المدخل،

رأى «أنطون» والدته مراصة حنف الباب، و«بيتر» يحاول إراحها عن

طريقه، ثم سمعها تقف الباب بالاحتياج وتنادي

- «هيم»! لماذا لا تقول شيئاً؟

سمع «أنطون» صوت والده لجالس في العرفة الخفية

- نعم . نعم . أن .

وسُمع دوي الرصاص من مكان بعيد

صاح «بيتر»

- لو أصيب بعد نضع ثواب فقط، لكان الآن ممدداً عند السيدة

«يوسيف»

رد السيد «سيفايك» بصوت حامت، ومتهدح بطريقة عريية

- صحيح، ولكن ذلك لم يحدث

فقل «بيتر» حاه

ولكن ذلك لم يحدث^{١٩} ولم يحدث أن كان ممدداً أمام بيتا

أيضاً، ومع ذلك حدث ووضِع أمامه! سأعبد، إلى مكانه، حتى

ولو اضطررت أن أفعل ذلك وحدي.

واستدار على عقبه، وأرد أن يركض إلى باب المطبخ، لكنه أطلق

صرخة من الألم جرء، تعثره بكومة انحطب والأعصاب التي كانت والدته

قد قطعنها من الأشجار المتبقية في الأرض الواقعة خلف لمارل

صاحت السيدة «سيفايك»

«بيتر»! يا شديك الله! إنك تحاطر بحياتك يا سي!

- أنتم لدين تحاطرون بحياتكم، المعنة!

وقل أن يهص، أقفل «أعقون» باب المطبخ، وفدف المفتاح إلى

العمر، فاحتضى المفتاح في قرقة شديدة عن الأنظار، ثم ركض إلى

الباب الرئيسي وهض الشيء ذاته بمفتاح العزل

صاح «بيتر» وهو يوشك على السكاء

- انلعة! أنتم معنوهون، معوهون، جميعكم!

ركض إلى لمعرفة الخلفية، وفتح الستائر بحركة عنيفة، وركل باب
الحديقة بقدمه السلمية فُتح الباب في صرير هائل ووقعت فصاصات
لجرائد من بين روابيه، ورأى «أنطون» والده فجأة مثل حيال مرسوم
على الثلج. كان ما يزال يجلس إلى الطاولة

حين توارى «بيتر» في الحديقة، ركض «أنطون» إلى الدفعة
لدررة نظر إلى الخارج فراه يظهر من وراء البست وهو يعرج
صعد من فوق سياج الحديقة، وأمسك «بلوح» من حداثه في تلك
اللحظة بدا عليه وكأنه يتردد لعله أحمل من ذلك الدم كنه الذي
راه فجأة، أو لعله لم يستطع أن يحسم أمره في أي اتجاه يجب أن
يذهب بالحنة، ولكن قبل أن يتمكن من فعل أي شيء، ارتفع صوت
من بهايه الرصيف

قف! لا تتحرك! رفع يديك!

اقترب ثلاثة رجال وهم يفودون درجات هوائية بسرعة، أنفوا
درجاتهم في الشارع وتابعوا طريقهم ركض ترك «بيتر» حذاء «بلوح»
يقع على الأرض، وانزعج المسدس من يده، وركض من دون أن يعرج
اتجاه سياج آل «كوربيج»، وحتفى وراء منزلهم تصارح الرجال
الثلاثة فيما بينهم، ثم أطلق واحد منهم رصاصة، وكان يرتدي معطفاً
شتوياً وقعة، وركض وراء «بيتر»

شعر «أنطون» بدفء والدته الواقفة بحذائه

— ما هذا؟ أنهم يطلقون الرصاص على «بيتر»؟ أين هو؟

— وراء العرن

كان «أنطون» يرافق كل ما يحدث بعين متسعيتين ركض الرجل

لذي، المرتدي ري الشرطة العسكرية، إى در حنه الهوائية، ووث عليها وعادر بسرعة، في حين تر حلق الرحل الثالث، المرتدي الري امدي أيضاً، على الجنب الآخر من الصفة، وجلس القرفصاء على درب الملاحين، ماسكاً المسدس بيديه الائتين

تهوى «أنطون» على الأرض تحت رف البافدة، واستدار إلى معرفة كدت والدته قد احتضت وكان حبال والده ما يزال جالساً إلى الطرقة، محبباً مريداً من الانحاء، كما لو أنه يصلي كتاب والدته وقفة على المصطبة في الحديقة الحنفيه، وتهمس سم «يتر» في هلام الليل، وما كان طهرها هو الذي يرسل الرد المتدفق إلى داخل المرن لم يكن يُسمع أي صوت رأى «أنطون» كل شيء وسمع كل شيء، لكنه مشكل أو مآخر لم يكن حاضراً بكل كانه كان حراً منه في مكان آخر، أو ليس في أي مكان كان يعاني من الجوع، وأصبح الآن يعاني أيضاً من نصب جسمه تبيحة لبرد، وهذا عيصر من فيصر المشهد في هذه اللحفة - والده قطعة سوداء مقصوفة من الثلج حلس إلى الطاولة، ووالدته واقفة على مصطبة الحديقة في ضوء الجوم - يشق طريقه إلى الحلود يتربع معه من كل ما حدث في بلحظات الماصية، ومن كل ما قد يحدث في اللحظات القادمة، ويتوقع على معه ويبدأ رحلته عبر حياته القادمة، حيث في نهايتها سيقع مثل فقاعة صابون، ويصح في حبر كان، وكأنه لم يحدث يوماً دخلت والدته

- «طوبي»! أين أمي؟ هل تراه؟
- كلاً

- ما، عينا أن بعض؟ لعله محتج في مكان ما
وخرجت مصغربة إلى الحديقة مرة أخرى، ودخلت من جديد
بعد برهة قصيرة انجحت إلى روحها فحاة وأحدث تهره من كتب
- أم أن لك أن تفق من سائك هذا، بهم يضفون البار على
«بيتر» أو ربما أصابوه!

بعض السيد «ستيفانك» عن مقعده نطء خرج من العرفة بقمته
لطويلة لهريئة، من دون أن يسس ست شفة عاد بعد برهة وحير،
وقد وضع على رأسه قبعة اسوبر السوداء، ولف شاله حول رفته
عندما أراد أن يحطو من المصطبة إلى الحديقة، تراحع إلى ابوراء
«نطوع» «أنطوب» سماعه وهو يحاول أن يبادي على «بيتر» بصوت
عالٍ، لكن لم يخرج من حنقه سوى صوت حافت محروح انتهت
معلون على أمره، وعاد إلى العرفة وحلس على لمقعد بحسب المدة
وهو يرتعش. قل بعد نضع لحظاب

- لا تؤاحديني يا «نبا» لا تؤاحديني

أحدث يد السيدة «ستيفانك» تتصارع جداهما مع الأخرى
- لعد سار كل شيء على ما يرام، ولأن وقد شارعت الحرب على
الانتهاء هيا يا «أنطوب»، لسن معطفك «»، يا لهي! أين بي
أن أعثر على بي؟
قال «أنطوب»

- ربما في مرل «كورتيميج» أحد معه مسدس «بلوح»
أدرك من الصمت الذي أعقب كدماته أن ذلك شيء عظيم
من حق رأيت ذلك؟

— أحل، حين كان أولئك الرجال يوشكون على انوصول هكذا،
قبل أن يهرب

في الصوء الحدث المسحوق الذي يصيء العرفة، فقر قبرة
سريعة على مسيل التمثيل و نحى بقاته ومحب مسدث افتراضاً
من يد افتر صية

قانت السيدة «ستيمايك»

— أيمكن أن يكون

وعصت بكلماتها، ثم

— أنا داهية إلى ست «كود بيفيج»

وهمت بالحروح إلى الحديقة، بدأ «أنطون» لحق بها وعص
— احذري 'هناك يرابط رجل شرطة!

مشما تراجع روحها قبل فنبس، تر جعت هي أبضاً إلى «بوراء» أمام
سكون العدرس لم يكن أي شيء يتحرك، لا في الحديقة، ولا حلمها
حت الأرصي القاحله لر رحة تحت الشرح أحمد «أنطون» أيضاً
إلى لسكون أصبح كل شيء ساكناً، لكن الوقت ظل يمضي، فذت
الأشياء كلها وكأنها سمع مرور الوقت، مثل الحصى في قاع الجدول
«بيتر» محتجب عن الأنظار، وجثة راقدة أمام الباب، ورجال مسلحون
متشرون حول المرل يترصون بهدوء راود «أنطون» إحساس بأنه
يستطيع إلقاء كل ما حدث في لمح الصر، وإعادة كل شيء إلى
الوضع الذي كان عليه قبل لحظات، عندما كانوا جالسين حول
الطاولة ويمضون لعبة «اللودو»، لو قام بفعل شيء يستطيع القيام به
من دون شك، لكنه لا يستطيع تذكره في هذه اللحظة بالذات تماماً

مثلما يسهو عن سم شخص رده ماث امرات، ويشعر بأن الاسم
على طرف لسانه فيجهد دهنه لتذكره، لكنه كلما حاول الإمساك به،
املت منه وانتعد عنه أكثر أو مثلما حدث معه في تلك المرة، عند
أدرك فجأة أنه يتنفس من دون «مقطع»، يأخذ شهيقًا ويطلق رفيرًا،
ويجب عليه أن يحرص على التنفس باستمرار، وإلا احتق، فكاد
يحتق فعلاً في تلك اللحظة نفسها

طرفت أسمعهم أصوات دراجات نارية تقترب من مكان بعيد،
وكذلك صوت سيارة

قال «أنطون»:

- «دخلي يا أمي

- أنا أتية أريد أن أعشق الأبواب

كانت مناسكة، لكنه أحس من صونها بأنها هي أيضاً توشك
على القيام بعمل شيء خارج عن سيطرتها حيل إليه أنه هو الوحيد
الذي يستطيع أن يحكم عقله، وكان لا بد أن يحكم عقبه، كما يحذر
من يريد أن يكون طياراً أثناء الرحلات الجوية أيضاً، يمكن أن
تحدث مواقف صعبة على سبيل المثال، يمكن أن يجد نفسه في
قلب إعصار، تكون الرياح هادئة فيه والشمس مشرقة، لكنه مع ذلك
يجب أن يحرص منه ويواجه الروبعة التي تعصف حوله، وإلا سيغد
الوقود ويصيح الركاب إلى الأبد.

تصعد هدير الدراجات النارية والسيارة وهي تصل إلى رصيف
القناة على الجهة الأمامية من الممر، في حين تنأى إليه أصوات
سيارات أخرى، مركبات ثقيلة، وهي تقترب من مسافة بعيدة كان

كل شيء على ما يرام حتى تلك اللحظة، مما لذي تمير في الواقع،
 سوى أن «بيتر» محتجب عن الأنظار؟ وكيف يمكن لأي شيء أن يتمير؟
 وعدد تد تعبير كل شيء. تعالى أدير الإطارات، والصباحات
 بالآلمانية، وفرقة الأحذية العسكرية وهي تقمر على أرض الشارع
 وأحد صوء قوي يرق من حين إلى آخر عرش أسائر سر «أنطون»
 على رؤوس أصابعه إلى القاعدة النارية كان الجنود مستشرين في
 لشارع يسدقهم ورشاشاتهم، ودراحت نارية تعدو وتروح، وشاحات
 عسكرية تعضّ معربد من العساكر، وسيارة إسعاف عسكرية تُسحب
 منها بقالة أعنى لشارع معاً، والنفت غائلاً في الظلام
 - إيهم اتون إلها -

فُرع انباف في الحال، ولكن من شدة ما كان الطرق بأعقاب البنادق
 عبقاً، عرف أن شيئاً طيقاً على وشك الحدوث
 - امحروا! افتحوا على الفور!

هرب بحركة لا إراديه إلى العرفة الخلفية ذهب وندته إلى الممر
 وصاحت بصوت مرتجف أنها لا تستطيع فتح اباب لأن المفتاح
 صانع، لكنهم رككرو، الباب مصطدم بحائط المدخل في دوي هائل
 سمع «أنطون» صوت المرأة وهي تهشم المرأة المقوش في إطارها
 الحشبي فلان صغيران، اسمعقة فوق الطاولة الصغيرة ذات المروانم
 انمقتولة وما لبث أن اكتظ الممر وانعرف بالجنود المدججين
 بالسلاح، وقد أحاط بهم ابرد القارس، أولئك الجنود بأجسادهم
 الصلحمة قياً إلى بيتهم الصغير لم يعد بيتهم مد تلك اللحظة
 أعمى صوء مصباح يدوي بصر «أنطون»، فوضع ذراعه على

عبيه. رأى من تحت دراعه الشارة اللامعة للشرطة العسكرية على صدر واحد منهم، والأسطوانة الموصولة بالكمامات الواقية من العارات تتدلى من حزام واحد آخر ورأى الأحذية العسكرية الملطخة بالثلوج وطرق سمعه وقع لأحذية العسكرية على السلم، فوق رأسه ظهر رجل بلباس مدني في العرفة كان يرتدي معطفًا مشمّعًا أسود، طويلًا إلى الكاحلين، ومعة مسدلة الحافة صاح فيهم بالألمانية - أورا فكم الثبوتية، هيا، هيا - أورا فكم الثبوتية، كلها

بهض السيد «سيفايك» عن مقعده، وفتح درجًا من أدراج حراة البرقية، في حين قالت روحته بالألمانية - نحن لا علاقة له بشيء

رمح الرجل

- اسكني!

كان واقف بجانب الطاولة، فأعلق نظره سابقه الكتاب الذي كان السيد «ستيفايك» يقرأ به قل قل، وقرأ «عنوان المكتوب باللاتينية على الغلاف «علم الأخلاق، ميبًا بالطريقة الهندسية باروخ ميبور»

ثم قال بالألمانية

- هكذا إذن!

ورفع عيه عن الكتاب

- ويقرأون «ميسورا» أيضًا! يقرأون الكتب اليهودية!

ثم قال للسيدة «ستيفايك»

- «مشي إلى الأمام وإلى الوراء

- ماذا يحب أن أفعل؟

- سيبري تصنع خطوات دهنانا وإيانا هل أنت صماء لا تسمعين!
راي «أنطون» ولدته تمشي حينه ودهانا وهي مرتعش من قمة
رأسها وحتى أحمص قدميها، ووجهها سم عن اندعاش طفل لا يفتق
شيئاً أمسك انرجل الألماني بمصباح الحدي الرواق بجانبه ووجه
صوءه إني ماقها قل لها بعد مرهه وجره
- كفى

- علم «أنطون» مصادفه بعد ذلك انوقت بكثير، أثناء دراسته
العاميه، أن الرجل كان يعتقد أنه يستطيع أن يعرف من طريقه
مشيها إذا كانت يهودية أم لا

وقف السيد «ستيفنايك» حاملاً الأوراق الشويه في يديه
- أيا

- نعلم أن نجمع هذه المعة، حين نتحدث إني
جمع السيد «ستيفنايك» قبعه الولر و سنأف
- أيا

- حرمس ي حامي ليهودا ي حبرير!
تفحص لرجل لأوراق لنويه والطاقت التمويه، ثم جان
بعيه فيما حوله

- أين لشخص الرابع؟
أرادت السيد «ستيفنايك» أن نقول شيئاً، لكن روحها سفها هي
الحديث، فقال بصوت متهدج
- إنه إني البكر احتلظت عيه الأمور من هو، هذا الحداث،

فخرج من المرل من دون أن يودعنا، وذهب في ذلك الاتجاه
وأشار بقبعته باتجاه مرل «موقع ممتاز» حيث يسكن آل «بوير»
فقال لرجل وهو يضع الأوراق في جيبه.
- هكذا إذن! ذهب في ذلك الاتجاه!

- نعم

أوما الرجل برأسه

- خذوهم

منذ تلك اللحظة أحدثت الأحداث مجرى أسرع من ذي قبل
دفعوهم إلى خارج المرل من دون أن يسمحوا لهم بأحد أي شيء.
معهم، ولا حتى معاصمهم كان لشارع يردحهم بالدراجات النارية
ولسيارات لرمادية الحاصنة وبافلات لحد، كلها في احتلاط
عشوائي، ويعج بالذلات العسكرية والصراح وأصواء المصاييح
اليدوية الراقصة. كان بعض الحدود مصطحبين كلاً ما مربوطاً إلى
حبال كانت سيارة الإسعاف قد عادت، وبقيت فقط دراجة
«نوح» لهوائية، وبفعة دم كبيرة على الشج سميح «أنطون» دوي
رصاص مكتوم من مكان ماء، فأحس يد ولده تلمس يده عندما
رفع عبيه إليها، رأى وجهها متحولاً إلى وجه نمثال يحرق أمامه
بظرات خوف ودعر كان وانه قد رتدى قبعة من جديد ويظهر
إلى الأرض، مثلما يفعل دائماً أثناء المشي لكن «أنطون» نفسه
كانت تخبره سعادة عامصة من ذلك الهرج والمرج كله، ومن
تلك الضجة كلها التي دبت فجأة بعد صمت القبور الذي ساد طينة
الأسهر المصرمة لعل تلك الأشعة العنيفة التي كانت تومض على

وجهه مرة تلو المرة قد أدخلته في تويم معاطيسي ولكن أحيرًا،
أحيرًا حدث شيء

في ذلك الحلم، أحسن بقصة والدته تشدد على يده فجأة، قبل أن
يُترج أحدهم عن الآخر
- «طوبى»!

واحتفت في مكان ما خلف الشاحات، واحتفى والده أيضًا
أمسكه أحد الجود من دراعه، واقتاده إلى سيارة ألمية واقعة بين
عنى الجهة لأخرى من الشارع، وبصفها على جبهه العشي تركه
يصعد إليها، ثم أعنى الباب عليه

كنت نك هي أول مرة في حياته يركب فيها سيارة رأى انمقود
والعدادات على نحو عامص لطائرات لها من العدادات ما يريد
على عدادات هذه السيارة طائرة «الموكهيد إلكترا» على سبيل
مثال لها خمسة عشر عددًا ومقودان نظر إلى الشارع، فسم بر أي
أثر لوالديه أين يحتن «بيتر» يا ترى؟ الحنود يدخلون ويخرجون
من بيت «كورتيصج» بمصاحبهم اليدوية، ولكن بقدر ما يستطيع
الرؤية من دون أن يقصو على «بيتر» لا بد أنه تمكس من لهرب
عر لأراضي الواقعة خلف لمارل تُرى هل اكتشفوا أن «بلوح»
كان مطر حامي البداية أمام مرل «كورتيصج»؟ ثم يكن ثمة أحد في
حديقة «بويمر» تعشت شايك السيارة، ورددات رؤيته للشارع
عموحد مسح لشايك فسلت يده بأفاسه، ولكن مع ذلك بقيت
الصورة مشوهة وعامضة فجأة فتحو أبواب عرفة والديه انمطة
على انشرفة وما إن مضت برهة قصيرة حتى فتحو ستائر عرفة

الجلوس في الطابق الأرضي وحطموا الشايث كلها من الداخل
 بأعقاب البنادق صُعدوا «أنطون» من رؤية شطاي الرجاء وهي تتساقط
 على الأرض مثل المطر يلهيهم من أوعاد! من أين لوأنديه أن يأت
 شبايث جديدة في هذا الوقت الذي لا يستطيع المرء فيه الحصول
 على أي شيء؟ من حسن الحظ بدا أنهم حطموا ما شاء لهم هو، هم
 أن يحطموا، فقد بدأ الجود بحر جون من المرل، الواحد تلو الآخر،
 بركبي الباب الرئيسي مصوَّحًا

ثم بعد يحدث أي شيء، لكنهم لم يصرفوا أشعل بعض الحدود
 سحائر وراحوا يتجادلون أطراف الحديث، وقد وصعوا أيديهم في
 جيوبهم وأحدوا يديهم بأقدامهم من الرد، ووجه آخرون مهم
 مصايحهم اليدويه إلى البيت وكأنهم يريدون لتدبر رؤية ما حطموه
 حاول «أنطون» مرة أخرى أن يعثر على وائديه، لكنه لم ير في الظلام
 الجاثم هناك سوى حبال في الأشعة المتحركة داب اليمين وذات
 الشمال كانت، ككلا تبحر رجع بمحسه إلى ما حدث في العرة
 قبل قليل، وكيف أن الرجل الألماني ذا القعة عَفَّ والده، لكن تلك
 الذكرى ألغته إلى درجة لا تحتمل، ألمته أكثر بكثير من الوقت الذي
 حدث فيه والده الذي أجز على حلق قمعة أعد تلك الذكرى
 عن رأسه، ولم يرعب في أن يعود للتفكير فيها مرة أخرى، فهي ما
 كان يسمي أن يحدث في حذنه كلها لم يرتد فعه الولد، ولا أراد
 لأي شخص أن يرتدي أي نوع من القمعات بعد انتهاء الحرب
 نظر في دهور إلى الشارع كان الوضع أهدأ من ذي قبل كان
 لحدود جميعهم قد انتعدوا عن البيت ووقفوا من دون أن يحركوا

ساكنًا صدر أمر عسكري، سار على إثره أحد الجنود باتجاه بيتهم، ورمى شيئًا فيه عر القسم الأوسط للمقدمة النارية، ثم ركض محمي انقذًا راجعًا إلى مكانه. دوى انفجار هائل وشتعت في الوقت نفسه حرمة دار معمة للمصر في عرفة الخلو من، فعاص «أنطون» إلى أسفل لسيرة جسم عاود لطر، انفجرت فسله ثانية في عرفة اليوم في بطون العلوي بعد ذلك مباشرة طهر حدي سوع من الحر عظيم بين يديه وأسطوانة على ظهره، وتقدم نحو اليب، وراح يطلق عليه عر الشبايث إشعاعات نار مدونه سم بصدق «أنطون» عيبه هل يُعقل ما يحدث هاهنا؟ أحد بحث عن وائده ووالدته يأس وحيره، لكة سم يستطلع رؤية أي شيء سبب تلك التومصات كانت ألسنة النار المتعلة بالدخان تدفع ابواحدة تلو الأخرى إلى داخل البيت إلى عرفة الصيوف، فحجروه لمدخل، فعرقه اليوم، ثم السقف المصنوع من الحيران لقد أصرمو النار في ممره، ولم يعد في اليد أبة حيلة؟ فهو لمرل يحترق من الداخل ومن الخارج وه هي اليران بحجر على أعرضه كنها كتب «كارل ماي» ولعنوم طبيعيه، وما حممه من صور الطائرات، ومكبه وائده ذات الرؤوف انمردانة تقطع من لقماش الأحصر، وثياب ولدته، وككة الصوف، والمعاعد والبطولة، والأشياء كلها أعنى الجدي موهة قاذف اليران، واحتفى في الظلام. تقدم بضمه رجال من «لشرطه انحصراء»^(*)، سادقهم المتدلية بميل على ظهورهم، وعروروا قنار تهم في أحزمة ساطيلهم، ومدوا أيديهم

(*) شرطه تابعه لنظام البري الألماني، كان عناصرها يرتدون بدلات حضراء (المرحمة)

إلى الدر المستعرة، وكأنهم يحاولون معها من الانتشار، وراحوا يتبادلون الأحاديث صاحكين منهمجين.

على مقربة منهم توفقت شاحنة عسكرية أخرى، في صدوقها الممتلح مجموعة من رجال عرل يرتعدون من الرد في سترانهم المدية، يحرسهم جود مدججون بمسدسات رشاشة في وصبة التلقيح، استطاع «أنطون» رؤيتهم في وهج البيران، فعرف من حود تهم السوداء أنهم من «الإس إس» (الوحدات الخاصة) تعالت صيحات، وأوامر، فقفر السجاء المقيدون كل اثنين أحدهما إلى الآخر، من الشاحنة، واحتضوا في الظلام. كان المرل، الذي جمعه انصقيح، تنثر الارفة انتشارها في الهشيم، حتى لقد بدأ «أنطون» يشعر بسوء وهجه وهو حائس في السيارة ارتفعت ألسنة اللهب الحدة من دفة لسطح المائس على الجهة اليسرى. هاهي البيران نلتهم عرفته أيضاً، لكنه على الأقل يشعر ببعض من لدوء وهجأة انطلقت ألسنة اللهب من سطح المرل، وأبارت رصيف القناة إنارة مهرة، مثلما يحدث في لمروص المسرحية. حُيل إليه عذاك أنه لمح والدته وهي واقفة شعر ممسك بين السيارات المركوبة هناك، وشخص يركض نحوها ثمة شيء يحدث في ذلك المكان، لكنه لم يعد قادراً على الاستيعاب بشكل كامل وكان دمه مشغلاً فوق ذلك بالسؤال كيف يمكن أن يفعلوا هذا في حالة التعتيم المعروضة؟ لا بد أن الإنجليز ميرون هذه الإبارة، وسيأنون، ويا ليتهم يأتون نظر إلى اللوحة المشورة بعين، المشتة على العارضة العليا للماصة الباردة، فاستطاع أن يقرأ عليها اسم مرل «حالي الهموم» على

الرغم من نصحهم. كانت لعرف، التي ساد فيها الرد أمداً طويلاً، تستعريها درجهم وكانت قطع سوداء متصحة تتساقط متناثرة على الثلج في كل مكان.

ثم تكبد نمضي نضج دقائق حتى بدأ هكل لمرل ينحلحل، ثم بهار تحت دافورة من شرارات عالية علو الأبرح سحت انكلااب فعر انجود الدين كنوا يدفنون أنفسهم عند النار إلى الورا، فتعثر و حد مهم سراحة «بلوح» وانطرح على الأرض، فاعجر الآخرون بالصحت هي تلك اللحظة بدأ انمدفع الرشاش يدوي على الطرف الآخر من رصيف القاء رقد «أنطون» على حبه، وتكوم على نفسه، واصداً معصيه المتصاليين تحت دقه.



عندما فتح الألماني ذو المعطف الطويل باب السيارة وراء راقداً على المقعد، تسمر لحظة يدرو أنه كان قد سي وجوده قال «الألمانية»
للعنة!

كان على «أنطون» أن يرحف إلى المساحة لصيقة وراء المقاعد، حيث لم بعد استطاعته رؤية أي شيء تقريباً جلس الألماني نفسه إلى جوار السائق العسكري، وأشعل سيجارة شغل السائق محرك السيارة، ومسح لبحار عن الشاك الألماني نكم معطمه، وسامر «أنطون» لأول مرة في حياته في سيارة كانت العار غارقة في الظلام، والشوارع ما يزال حالية من الدس، باستثناء مجموعات صغيرة من الألمان هاو هناك لم يتحدت الرحلان أطراف الحديث

توجهوا إلى قرية «هيمستيد»، وتوقفوا بعد نصف دقائق أمام مركز الشرطة، الذي كان يحرسه شرطيان

كانت صلة الانتظار الدافئة تعص بالرجال، معظمهم في بروت عسكرية، ألمانية وهولندية. تحدث رين «أنطون» على الفور، حين عدت إلى أمه راثحه انيص المقلي، لكنه لم يز أحدًا يأكل كانت الصالة مضمة سور الكهرباء، وكان كل من فيها يدخن. أمر بالجلوس على كرسي بجانب المدفأة العالية، حيث احتضته حرارتها. أحد الألمان يتحدث إلى صابط شرطة هولندي، مشيرًا بدقه إلى «أنطون» من حين إلى آخر استطاع «أنطون» أن يرى ملامحه لأول مرة بوضوح، لكن مارة حيداك في عام ١٩٤٥ كان محتفًا عما يمكن أن يراه الآن. كان الألماني في نحو الأربعين من العمر، له وجه نحيف قاسي ذو بنية أفقية تحت وحتة اليسرى - تعصيل كومبيدي لم يعد يستعمله سوى مخرجي الأفلام الهزلية أو أفلام الرعب السادية من الدرجة الثانية (فوجدوها الوحوش الطفولية مثل وجه «هايريش هيلمز» لا زالت مقبولة قليلًا). لكن ذلك لم يكن أمرًا جيدًا حيداك، إنما كان مظهره الحقيقي كـ «ناري متطرف»، ولم يكن بشير الصحت بعد عادر بعد مرهة قصيرة من دون أن يلقي نظرة على «أنطون»

جاء إليه صابط برتبة رقيب، حاملًا بطايقه رمادية على دراعه، وطلب منه أن يذهب معه في الممر انصم إليهما شرطي آخر، يحمل في يده حزمة مضاتيح، سأل عنده رأى «أنطون»

- ما هذا؟ أيجب علي أن أسحر الأطفال أيضًا؟ أم هو طفل يهودي؟

قال له الرقيب

- لا تسأل كثيرًا

عبد بهية الممر برلوا واحدا وراء الآخر السلم الممضي إلى القو
تمت «أنطون» إلى الرقيب وسأل

- هل ستأتون بأبي وأمي إلى هنا؟

لم ينظر الرقيب إليه

- لا أعرف شيئًا نحن لا علاقه له بهذه العملية.

كان الطابق لسفلي ممرًا قصيرًا باردًا، تطل عليه من الحاسين
مصعة أبواب حديدية مدهونة بدهن أصفر، وملبثة بقع صدئة، تمتد
في أعلاها أنابيب وأسلاك متنوعة وفوق السقيفة يشتعل مصباح
صعيف من دون رجاح

سأل الرقيب

- ألا يوجد مكان شاعر؟

- لا يوجد يحب أن ينام على الأرض

طاف لرقيب نصره على الأبواب، وكأنه يستطيع رؤية ما خلفها،
ثم قال مشيرًا إلى آخر باب على الجانب الأيسر
- صعد هناك

- لكنها يحب أن تنقى رزانة امفرادية حسب أوامر المحاورات
العمة

- فعل ما أقوله لك

فتح اشترطي باب الرزانة، فألقى الرقيب الطابوقة على السرير
القائم بجانب الحائط، ودل محاطًا «أنطون»

- بها مجرد بيلة واحدة حاول أن تنام.

ثم وجه كلامه إلى الراوية التي لم يستطع «أنطون» رؤيتها

- لقد جئت بك برفيق، لكن لو تكرمت، اتركيه وشأنه، فهو عاش

ما يكفي من المآسي سيحكم أنتم

شعر «أنطون» بيد على ظهره وهو يحتاز عتة الرراة المظلمة

أعلق انباف عليه فلم يعد يبصر أي شيء.



تلمس طريقه في الظلام حتى يدع السرير شعر بوجود الشخص
 القابع في إحدى روايا البرانة في كل مكان حوله صم يديه إحداهما
 إلى الأخرى ووضعهما في حضنه، وراح يصغي إلى الأصوات
 المتراصة من الممر سمع بعد برهة قصيرة وقع الأحذية وهي تصعد
 السلم، ثم ساد السكون أحده هذه المرة يسمع أنفاس الشخص الآخر
 صوت سائلي ناعم

- لماذا أنت هنا؟

شعر فجأة بأنه نحا من خطر كبير. أوسع فتحتي عييه عسى أن يرى
 شيئاً، لكن الظلام الحائم أمامه مثل ماء أسود وقف له بالمرصاد بدأ
 يسمع أصوات أحاديث خافتة في الررايين الأخرى
 أجاب

- لقد أصرموا النار في بيتنا

ولم يكذب بصدق أن كل ما تبقى من مرله هو حطام يحترق الآن
 بين مرل «موقع ممتاز» ومرل «فوق الحبال»

مضى بعض من الوقت قبل أن نسأل.

- لماذا فعلوا ذلك؟ وهل فعلوه للتو؟

- أجل، سيدي.

- لماذا؟

- نتفأما لعقل رجل، لكن لم يكن لنا شأن بمقتله لم سمحوا

لنا بأحد أي شيء معه

فالت

- اللعة عليهم

وأعقت بعد برهة صمت

- يا يسوع! وهل كنت وحدك في البيت؟

- لا، كنت مع أبي وأمي وأخي

لاحظ أن عبيد تعفان من تلفاء نفسيهما، ففتحهما من جديد،

لكنه لم ينطع أن يحدث في الأمر احتلاقاً

وأي هم لأن؟

لا أعرف

- هل أحدهم الألمان؟

- أجل، أو على الأقل أحدهم أبي وأمي.

- وأحوك؟

- هرب، كان يريد

وأحد يكي لأول مرة

- ماذا يحب علي

وأحسن بالحسن من نكته، لكنه لم يجد ماصاً منه

- تعال اجلس بجانبى.

بهض عن مجلسه، وسار خطوة خطوة باتجاه
قلب

- نعم، أنا هنا امد يدك

بمس أصابعها، فامسكت يده وسحنته إبيها أجلسته على السرير
وطوفته بإحدى در عيها وصمت رأسه بيدها الأخرى إلى صدرها
كذب بوح مبها رائحة العرق، ولكن رائحة أخرى أيضًا، رائحة حلوة،
لم يستطع أن يحدد نوعها، لعلها كانت عطرًا في ذلك الظلام، كان
ثمة ظلام ثان سمع فيه قلبها وهو يرق بسرعة، ربما سرعة أكثر بكثير
من سرعة قلب إسان يقوم فقط بمواء إسان آخر عندما ستعبد
هذوءه، بدأ يرى خطًا واحدًا من الضوء يسكن من أسفل الباب، فصغر
عيه عييه عندما دخل البربره، لا يدني رآته من مكانها هذا صمت
طائفي عليه وعلى نفسه، وحصة بقرة. لم تكن تدفع لمدفأة لتي
جلس بجانبها قبل قليل، لكنها في الوقت نفسه كانت تعرفها دفنًا
طغرت السعوى إلى عسه من حديد، ولكن بإحساس بحر هذه المرة
أراد أن يسألها عن سب عتفانها، لكنه لم يجرؤ على السؤال فهي قد
تكون معتقلة بهمة البتجرة في السوق السوداء سمعها برددعانها
فالت بصوت هامس

- لا أعرف اسمك ويجب ألا أعرفه أيضًا ويجب عليك ألا أعرف
اسمي كذلك، ولكن هل تعلمي بأن لا تنسى شيئًا واحدًا في
حياتك كلها؟
- ما هو؟

- كم عمرك؟

- أقارب الثلاثة عشرة، سيدني.

- كف عن قول «سيدني»! اسمعي سوف يحاولون إقناعك بأشياء كثيرة، لكن لا تنس أبدًا أن الألمان هم الذين أصرموا النار في بيتك. من فعل ذلك هو الذي فعله، وليس أحدًا آخر. قل «أنطون» ساحتًا بعض الشيء.

- أعلم هذا فإن رأيتهم بأمر عيبي يفعلون ذلك! - صحيح، لكنهم أحرقوا بيتك لأن ذلك ابعد أعتيل بالقرع منه سوف يقولون لك إن الدب دب المقاومة، وهي التي أحترتهم على فعل ذلك سوف يقولون لك إن المقاومين كانوا يعرفون أن نصيبتهم له ستؤدي إلى مثل هذه العواقب، ولذلك فإن الدب دبهم

قال «أنطون» وهو يعتدل في جلوسه بعض الشيء، ويحاول صياغة أفكاره في كلمات

- أوه! ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلن يكون هناك مدب فقط سيكون بإمكان الجميع أن يفعل ما يريد كان يشعر بأصابعها تداعب شعره بدأت بسرعة مترددة

- هل تعرف هل تعرف اسم ذلك الرجل؟
أجاب

- «بلو»

وشعر في اللحظة ذاتها بيدها على فمه

- احفظ صوتك

بهمس قهلاً.

- «فاكه بلوح» كن يخدم بالشرطة كان عميلاً قدرًا

فسألت بصوت حاد جدًا

- هل رأيته؟ هل مات حقًا؟

أحس «أنطون» رأسه بالإيجاب حين أدرك أنها لن تستطيع رؤيته

وهو يحي رأسه، وأنها تستطيع أن تحس به في أحسن الأحوال، قال.

- نعم، وشبع موتًا

وترأت بعينه بقعة الدم على الثلج

- ابنه رقيق في الصف هو أيضًا يدعى «فاكه»

سمعها تنفس الصعداء

فالت بعد مصي بصع بحطبات.

- هل تعرف لو أن المقاومين لم يفعلوا ذلك، لقتل ذلك المدعو

«بلوح» مريدًا من الناس، ومن ثم

رسخت درعها من حول كتفيه فجأة وأجهشت بالبكاء اربع

«أنطون» أراد أن يواسيها، لكنه لم يعرف كيف عليه أن يفعل ذلك

استوى في جلوسه، ومد يده برفق حتى لمس شعره شعراً سيكاً

وشعثاً

- لماذا نكيس؟

أحدث يده وصعقتها على صدرها، وقالت بصوت محنوق.

- ما يحدث شيء فظيع! الحياة جحيم، جحيم! أنا مسرورة بأنها

مستتهي قريباً، فأنا لم أعد أستطيع

كان يحس مصدرها الناعم نغومة هلامية في راحة يده، نغومة
لم يسبق له أن شعر بمثله من قبل، لكنه لم يجرؤ على تحرير يده
- ما الذي سينتهي قريباً؟

أحدث يده بين يديه الاثنتين. أحس من صوتها بأنها قد أدبرت
إليه وجهها.

- الحرب، الحرب طبعاً إنها مجرد نغمة أسابيح وينتهي كل شيء،
الأمريكان وصلوا إلى نهر الراين، وارتوس إلى نهر «الأودر»
- كيف بك أن تكوني متأكدة من هذا؟

لقد قالت ذلك بيقين تام، وهو لذي اعتاد في البيت أن يسمع
أشياء غامضة يُعتقد أنها على نحو معين، ويتبين فيما بعد أنها على
نحو آخر لم تحب عن سؤاله على الرغم من أن الضوء المتسلل من
أسفل باب كان حافئاً جداً، لا أنه بدأ يميز معالم رأسها وحنكها،
وكذلك شعرها المشعث بمسوش بعض الشيء من ذلك المكان
الذي تجلس فيه، اقتربت منه ذراع

- هل تسمح لي أن أحس وجهك لأعرف كيف تبدو ملامحك؟
وأحدث أن ملها الدردة تتحس برفق حبيبه، فحاحيه، فحذيه،
فأبعه، فشعته تركها تفعل ذلك وهو جالس في سكoon، وقد أمال
رأسه إلى الوراء بعض الشيء، فقد كان يشعر بأن ما تفعله شيء مهم،
نوع من انطقوس، مثل تلك الطقوس التي تُدرس في أفريقيا سحب
يده فحافة، وتأوه بعض

سألها في ارتباك

- ما بك؟

۱۔ لا شیء دعوت من هذا

كذلك قد انجبت مجدعي إلى الأمام

۴۔ اہل تہالمیں

لا لاشيء، حقًا لاشيء،

واعتدلت في جلستها، ثم قالت

— في إحدى العرات قصت لبنة أكثر ظلاماً من هذه البيلة كان

دلت قبل بضعة أسابيع

- هل تعيشين في المدينة؟

لا تسألني هذا لسؤاا من لأعص لك ألا تعرف شئ عى

مَنَّهُمْ لِحَبِّهِمَا أَعْتَقَا؟

۱۔ اُتھ

— أصعب ليّ القمر عبر سراع في هذه الليلة، لكنها مع ذلك ليّله

مصيبة في بضعة أسابيع ثم يكن القمر ناراً أيضاً، لكن السماء

كنت ملبدة بالغيوم ولم يكن الثلج قد تساقط على الأرض

دهت لريارة صديق ساكن في لحي وفتت أنعام معه حتى

متصف بديل، بعد بدء حظر التجول بكثير عندما عادت،

كان انطلاقي حالتي إلى حد يستحيل معه أن يراني أحد. أم أنا

فأعرف الحي جيداً، فمشيت إلى البيت وأن ألتحق بالحدود

والأمسح لم أكن أرى أي شيء، حتى لو لم تكن لدي عياد

لما تغير شيء في الموضوع جئت حداتي، لكي لا أسمع وقع

حطواني على الأرض لم أكر أرى شئ على الإطلاق، لكنني

میں کس خطوۂ گت اعرف میں انا علی وجہ اللہ، اوھکدا کان

يحيل إليّ كنت أرى بعين خيالي كل شيء أمامي، فأنا مثبت في ذلك الطريق مئات المرات بل ربما آلاف المرات، وأعرف كل ركن فيه، وكل سياج، وكل شجرة، وكل حافة رصيف، وكل شيء لكنني فجأة أصعبت الطريق، فلم يعد أي شيء في مكانه الصحيح تحسست شجيرة في المكان الذي كان يجب أن أتجلس فيه إطار نافذة، وتحسست عمود كهرباء في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه مدخل مرآب حصوت بصع خطوات أخرى فلم أعد أتجلس أي شيء. كنت ما أزال أقف على بلاط الشارع، لكسي عرفت أنني قريبة من القنطرة، فحشيت أن أقع فيها إن خطوات خطوة أخرى جثوت على يديّ وركبتي وأحدث أحس في ذلك المكان برهة من الزمن لم يكن لديّ كبريت ولا مصباح يدوي فقدت الأمل في آخر الأمر، فجلست في مكاني أنتظر انسلاخ المعجر. هل لك أن تتصور أنني كنت أشعر بأسي الشخص الوحيد في هذا الكون؟

سأل «أطون» وقد انصهرت أنفاسه

- وهل بكيت؟

حُبل إليه أنه يستطيع أن يرى في هذا الظلام ما لم يكن بالإمكان رؤيته في ذلك الظلام

أحابت بصحكة

- لا، لم أبك، لكسي كنت حائرة فعلاً ربما من السكون أكثر من الظلام كنت أعرف أن الناس يعيشون في لحي، لكنني أحسست أن كل شيء قد احتفى من الوجود، وأن العالم قد

توقف عدي. كنت حائفة، لكن حوفي لم يكن يمت إلى الحرب
بصلة. وكنت أشعر فوق ذلك ببرد فظيع
- وماذا حدث بعد ذلك؟

- ماذا تتصور؟ كنت قد حسنت في الشارع أمام بيتي هل لك أن
تتصور هذا؟ فأنا من حطوت خمس خطوات حتى وصلت
إلى البيت

قال «أنظرون» وقد غاب عن باله تمامًا في أي مكان يقع ولا ي

ص

- أنا أيضًا حدث معي مثل هذا الشيء، عندما كنت دائمًا في بيت
حدي في أمستردام
- لا بد أن ذلك كان في الماضي انعيد

- لا، كان ذلك في الصيف الماضي، عندما كانت القطارات متراوحة
تعمل. اعتقد أنني كنت أحلم حلمًا مرعبًا، فاستيقظت من
النوم، وأردت أن أقوم من السرير لأذهب إلى المرحاض. كان
السلام دائمًا. لقد عتدت في البيت أن أقوم من السرير من جهة
اليسار، ولكن عندما فعلت ذلك هناك اصطدمت بالحائط على
جهة اليمين حيث يوجد الحائط دائمًا، ثم يكن يوحده أي شيء
حتم كثيرًا. كان ذلك الحائط يبدو أكثر قساوة وسماكة من
حائط عادي، والمكان الذي لم يكن الحائط موجودًا فيه، بدا
مثل واد عميق

- وهل بكي؟

- أكيد، هذا لا شك فيه

وعندئذ أشعل خالك أو روجة خالك المصوء، فتذكرت أين أنت
- أحل، حالي كنت قد وقعت فوق السرير و
- هسر!

طرق سمعها وقع خطوات تهبط السلم أحاطته سداعها من
جديد، وأرهفت السمع في سكون إنها أصوات في الممر وقرعة
معاتيخ، ثم صواء استمرت لحظة قصيرة، لم يستطع أن يطو، أن
يحدد ما هيها، ثم فجأة شتائم وصوت صفعت مكتوم هناك شخص
يُسجل على أرض الممر، في حين يظل شخص آخر في الررانة يطلق
اشتائم يُفعل لبب بصعقة مدوية لرجل في الممر ما يرل ينهي
الصفعت أو الركلات، فهو يصرح بأعلى صوته يتعالى وقع أحذية
أخرى وهي تهبط لسلم، يردد الصراح حده، يبدو أن لرجل يُسجل
هوق درجت لسلم إلى الطابق العموي يسود الصمت، يصحح
شخص، ثم تقطع الأصوات فلا يُسمع أي شيء

سأل «أنطون» وهو يرتعد من الخوف
في كان ذلك الرجل؟

أجاب

- لا أعرف أنا أيضًا لا أقع هب مدر من طويل هؤلاء الأوباش
أحمد لله أن نهايتهم ستكون على حس المشقة، وبأسرع ما
يتصورون صدقي إن انروس والأمريكان لن يرحموا هؤلاء
الأوعاد دعهم يكر بأشياء أخرى

واستدريت إليه، وتحملت شعره سديها الاثنين
- ما دام في مقدور أن يفعل ذلك

- ماذا تفصدين؟

- أقصد، ما داموا تركونا معاً في هذا المكان أنت سيطلقون
مراحلك عدداً.

- وأنت؟

- ربما لا.

قالت ذلك ببره نذل على أنه يوجد مع ذلك احتمال إطلاق
سراحها في اليوم الثاني

- لكن أموري ستعود إلى حير ما يرم، فلا تقلق عمن تريد أن

تحدث؟ أم أنك تشعر بالتعب؟ هل تريد أن تنام؟

- كلاً.

- حسناً إذن تحدث كثيراً عن الظلام، فهل لنا أن نتحدث الآن

عن النور؟

- أجل.

- تحيل معي إذن نور ساطع شمس صيف ومدا أيضاً؟

- الشاطئ.

- نعم، الشاطئ عندما لم يكن يبعث بالملاحين و لحو حر وانتلال

لرمبية، والشمس التي كانت مشرق على سموحها هل تتذكر

كم كانت مهرة للأبصار؟

- طبعاً ولأعصر الواقعة على الأرض كانت ناهة دائماً من

تأثير الشمس

ومعجاة، ومن دون تمهيد، بدأت تتحدث وكأنها تتحدث إلى

شخص ثالث يقع معها في لمرانه

- أجل، النورا ولكن النور ليس هو النور فحسب أقصد
أردت ذات مرة، في الماضي، أن أكتب قصيدة أشبه فيها النور
بالحب، لا بل الحب بالنور طبعاً، ذلك ممكن أيضاً، يمكنك
أن تشبه النور بالحب. لعل ذلك أحمل، لأن النور أقدم من
الحب المسيحيون لا يتفوقون مع هذا الرأي، ولكن حسناً، هم
مسيحيون أم أنك مسيحي؟
- لا أظن ذلك

- في تلك انقصيدة أردت أن أشبهُ لُحب بذلك النور الذي يترأى
أحياناً على الأشجار، نُعيد العروب ذلك انور الساحر إنه
ذات النور الذي ترخر به نفس الإنسان الذي يحب إنساناً آخر
الكره هو لظلام، وهو شيء سيئ، على الرغم من أننا يجب أن
نكره لما نكره، وهذا ليس بالأمر السيئ لو سألتني هل هذا
ممكن، لأجبتك بأنه ممكن، لأننا نكرههم باسم النور، في
حين هم يكرهون الآخر باسم انظلام نحن نكره الكره، لذلك
إن كرهنا أحسن من كرههم ولكن، لذلك أيضاً نحن نعاني
أكثر منهم والأمور بالنسبة إليهم في غاية الساطعة، أما بالنسبة
إليها فهي معتمة يجب أن نتطبع بعض حصصهم كي نعد على
مخاربتهم، وهذا يعني أن نحلى عن جزء من حصصنا، في حين
هم ليسوا بحاجة إلى ذلك، فهم يستطيعون إبادة من دون أن
تضر لهم شعرة يجب علينا أولاً أن نحطم جزءاً من أنفساكي
ستطيع نحطيمهم أما هم فلا يحتاجون بفعل ذلك، ويستطيعون
أن يبقوا كما هم، ولهذا السبب هم يتمتعون بهذه القوة كلها

لكمهم مع ذلك سيحسرون في نهاية المطاف، لأنهم هم
لا ترحب بالنور الأمر الوحيد الذي يجب أن نحرص عليه هو
أن لا نتطعم بحصالهم كنهها، وأن لا نتخلى عن حصالها كنهها،
لأننا لو فعلنا ذلك، لمصالحهم الفرصة لأن يتصرفوا علينا
وتأوهت من حديد، لكنها تمنت قبل أن يستطيع التمتع ست
شمة لم يعمهم كدمة واحدة مما قالت، لكنه كان يشعر بالاعتزاز لأنها
تعادته كما هو أنه، بسبب ذلك

- كما أنه يوجد شيء آخر له صفة ذلك النوع من النور عندما
يجب الإنسان إنساناً آخر، يقول إنه يحبه لأنه إنسان جميل جداً
بطريقة أو بأخرى، جميل الطلعة أو الروح، أو جميل الطلعة
والروح على حد سواء، في حين لا يرى الآخرون من هذا
الجمال شيئاً، ولا يكون هو على شيء من الجمال في أغلب
الآحيان ولكن الإنسان الجميل دائماً هو الإنسان الذي
يحب، وذلك لأنه يحب، محبه هو الذي يجعله يتألق بذلك النور
هناك رجل يحب ويراني بطريقة أو بأخرى في عاين الجمال، مع
أنني لست جميلة على الإطلاق إنه جميل، مع أنه في عاين الفصح
من نواح عديدة وأما أيضاً جميلة، ولكن فقط لأنني أحبه، مع
أنه لا يعرف ذلك هو يطن أنني لا أحبه، لكنه محط في ظنه
أن الوحيد الذي تعلم تحبي له، مع أنك لا تعرف من أكون
ومن يكون هو هو رجل متروح، وعنده ولدان في مثل عمرك
ما يزالان في حاجة إليه، مثلاً أنت في حاجة إلى أهلك وأهلك
وأمسكت عن الكلام فجأة

سان «انطون» بصوت خافت

- أبي وأمي! أين عساهما يكونان الآن يا ترى؟

- لا بد أنهما في سجن من السجون أظن أنك ستراهما غداً

- ولكن لماذا يُسجنان في مكان غير الذي أبا فيه؟

- سؤال وجيه! لآل متورطون مع أوعاد! ولآل القوصى مستشرية

في البلاد، فهم يعمنون ما يريدون، إنهم يتبررون في سراويلهم

من لحوف في هذه اللحظة، فلا تفلق أما أبا فأشعر بفتق بالغ

عنى أحيك

فإن

- عذرا هرب، أجد معه مسدس «بلوخ»

وتمس أن لا ترى في الأمر سوءاً

مصت بصع ثوب قل أن تقوى

- يا يسوع

أحس من سوء صونها بأن ذلك شيء قاتل ما الذي حدث - «سرا»

يا ترى؟ فجأة لم يعد يستطيع تحمل المريد، فكؤم بصره في حصصه،

و سسلم في تلك اللحظة لنوم عميق

بعد ساعة، أو ربما ساعة ونصف الساعة، امتيقظ «أنطون» على ذلك الصراح الذي كان يدوي منذ سنوات عديدة في أرحاء أوروبا كلها. لم يكذب يفتح عينيه حتى أعضاه صوّد مصاح يدوي مرة أخرى أمسكوه من ذراعه، وسحبوه من فوق السرير إلى الممر بسرعة بلغت من القوة أنه لم يتمكن من رؤية رفيقته في البرانة كان الممر يعج بالألوان ورجاء الشرطة صفق صباط من «الإس إس» باب البرانة، صابغ مرسوم على قمته حمجمة وعظمتان متصلتان، وعلى ياقة سترته بحوم وأوسمة فضية، وهو رجل وسيم في نحو الخامسة والثلاثين من العمر، له وجه سليل متناسق القسمات، مثل الوجوه التي كان «أنطون» يراها كثيراً في الصور المنشورة في كتب الشاب

صعد السلم وهو يصرح فيهم بالألمانية حباً ولهو لندية حباً آخر يسحبون صبيّاً في هذا العمر! ويحبونه أيضاً مع تلك الإرهائية! هل فقد الجميع صوابه؟ وتلك الشمطاء الشيوعية اللعينة يحب

أن لا تكون لها أيضًا كان يستطيع أن يصطحبها إلى أمستردام
إلى مكتبه في شارع «الأوتيريا» من حسن الحظ، لم يأتوا
لتحريرها، وإلا لكلف ذلك حياة بضعة موظفين هنا ثم
خطيرة لحذير هذه؟ ومن أعطى الأوامر على هذا السحر؟
واحد من المحاربين العامة، أليس كذلك؟ طعنا، عميل مزدوج
آخر! لا بد أنه أراد أن يحيى دليلاً صغيراً هنا، في «هيمسينده»،
ليبع دور بابا بويل بعد الحرب، لصديق لحميم للمقاومة
باسرور «لحيثانو» هنا وهذا الصبي يجب أن يكون سعداً
بقائه على قيد الحياة كيف جاء هذا الدم على وجهه؟

كان «أنطون» قد وقف في صالة الانتظار بسمرة الثانية، ورأى
سنة معدة بالقدر مصونة نحوه دم؟ وبحسن وحته دله
شرطي على مرة حلقة مدورة، معلقة على مشبك معدني مثبت
على الحائط وقف «أنطون» على رؤوس أصابعه، ورأى في الحية
المكبرة منها آثار الدم المتحتر التي تركتها أصابعه على وجهه
الأيص وشعره.

- هذا ليس دمي!

صاح لصبط

- به دمها إذن! هذا ما كان ينقص! إنها مصابة بجروح مستدع
الطبيب على الفور، فهو ما يزال بحاجة إليها أم لا؟ سأل إلى هذا
لصبي، فحدوه إلى «مركز قيادة المدينة» لمصبي الليلة هالك،
ويرجعوه إلى أهله في الصباح هنا، أسرعوا! ماذا ينتظرون
أيها الهولنديون الأعياء! لا أعجب في أنكم تقتلون الواحد تلو

لأحر ذلك الأحقق «بنوح»، المفتش العام للشرطة، لا يحلو
 له الذهاب على دراجته الهوائية إلا في الظلام!
 اقتاده ألماني يعود إلى خارج المبنى وهو متدثر بالطاوية كانت
 الليلة ميرة كانكريستان. كنت تقف أمام الباب سيارة مرسيديس،
 للصابط طمعا، سطحها من قماش الكتان، ولها صاعطتان كبيرتان على
 حاسبي عطاء المحرك كان الألماني قد سلخ سذقية على ظهره، وربط
 أطراف معطفه الطويل ذي اللون الأحمر القاتم حول ساقيه، الأمر
 ندي جعله يمشي مشية الدب احرقاء بالبقين المبتعدتين إحداهما
 عن الأخرى كان على «أبطون» أن يجلس حلقه على الدراجة البارية
 ويثبت به جيدا. حبك لبطانية حول نفسه، ولفّ ذراعيه حول الكتفين
 بعريصتين، وألصق صدره بالظهر المدحج بالسذقية
 ختار الشوارع المقفرة تحت الحوم وهم يبرقان ويتأرجحان،
 صوب مدينة «هارلم» التي ستعرق الرحلة إليها أقل من عشر دقائق
 كان الثلج يسخن تحت عملي اندراجة البارية، وهدير المحرك يبدو
 بكل صحته غير قادر على حلحلة انكسار كانت تلك هي أول مرة
 يركب فيها «أبطون» دراجة بارية على الرغم من البرد القارس،
 بدل قصاري جهده لكي لا يعود إلى النوم في الحال كانت الليلة
 مصيبة وطماء في الوقت نفسه كانت رقبة الألماني، التي تكاد
 تلامس عييه، شريطا من الأديم مكسوا شعر أسود يعصل جلد
 معطفه عن فولاد حودته رجع «أبطون» بمحيطه إلى ما حدث معه
 في المسح في السنة الماضية كان المسح يحس عدة في ساعة
 محددة لقوات الجيش الألماني، ولكن لشدة ما تباطأ في حجرة

استبدال الملابس، تأخر به الوقت وسمع صوت قافلة من الجود
وهم يصعدون إلى ساحة المسح، مظفيين حناجرهم للعلاء، فارعين
الأرض بأحديتهم العسكرية «هاي-لي، هاي-و، هاي-لا»
وما لبثوا أن دخلوا الصلاة محتجبين سكونها بصحيجهم، وصححهم،
وصحهم لم يسمع صوت أبواب حجرات استبدال الملابس، فقد
خلعوا ملابسهم في الصلاة العامة، وساروا بعد مصي دقيقة واحدة
بأقدامهم الخافية على الأرض المبللة بآتحة حوص السباحة حين
بدأ الصمت، تجراً «أطون» على الخروج، فرآهم عند بهية الممر
الفاصل بين حجرات استبدال ملابس، خلف الباب الزجاجي،
وقد تحووا على نحو معاجي وغير مفهوم إلى بشر مش كل البشر،
رجال عديين، وجميعهم عراة، بأجسام بيضاء ووجوه ورقاب سمر،
وسعد مسمرة إلى الكوعين استطاع أن يحد منقذ إلى الحارج،
فراى في صلاة الملابس (التي لا يستخدمها في الحالات لعادية
سوى لفرء من ساس) بدلانهم لعسكرية استروكة على المشاحب،
واقعتهم، وأحرمتهم، وأحديتهم العسكرية ذلك التهديد كنه، وذلك
لعنف كله لعنهمك في أحد قسط من الرحة بالحركة نفسها التي
يهض بها الإنسان المحتج بالعماس من فراشه، بالجو من نفسه الممير
بعدم الورن، تفك ندلات العسكرية نفسها من المشاحب، ونحوم
في الهواء صوب كومة الحطب المشتعبة، النار المتلطفة، بالقرب
من رواق حشبي لعللاً بيضاء - ولكن من حسن الحظ يحدث هذا
كله تحت لعاء، في قناة مائية، أو في حوص سباحة، فها هي لعاء
تؤول إلى الانطفاء

انقص من إعمده كنانا قد وقفا في محمية «ده هارت»، عند المعبر المؤدي إلى الحندق المحفور حول «مركز قيادة المدينة»، فرأى الأسلاك الشائكة في كل مكان سمح لهما أحد الحراس بالمرور في مساء المركز المعظم كانت شاحنات وسيارات تروح ونحي، وأشعة حافته أفقية تلوح في مصابيحها الأمامية، المموجة تنعطفه رحاحها ومركب رفارف صميرة فوقها، كان هدير محر كاتها وصمير أبواقها وأصوات انصراف والصحيح تناقص ناقصاً عحيماً مع جهوت الصوء الذي يمد به نوحى الحطر

أسد الحنذي در حته اسرية على دعامتها، و صطحب «أنطون» إلى دخل لمسى كانت لحركة هنا أيضاً ما ترال في أوحها، فقد كان انصكر يروحون ويجيئون، ويتصاعد ريس الهواتف وأصوات الآلات انكابتة كان على «أنطون» أن يتطر على مقعد خشبي في حجرة صميرة داكنة نظر عرابها المفتوح، لمطل على ممر طويل، وإدبه يرى السيد «كور نبيع» يخرج من باب إحدى الغرف، بصحة حندي من دون فحة ومبسط بعض الأوراق، ويقطع لمر، ويحتفي في الباب المقفل لا بد أنهم عرفوا ما الذي فعله حين حطر في حله أن والديه قد يكونان أيضاً هنا، نثاء، واتكأ على جسده واستغرق في نوم



عندما استيقظ من النوم، التفت عساه بعيني رقيب كهل، يرتدي بدلة عسكرية قصفاصة، ويشمل حذاء كبيراً وطويلاً طوله ثلاثة أرباع الساق، فحذاءه ارفيق بإحساء لطيفة من رأسه وجد نفسه راقدًا في

عرفة أخرى، تحت بظانية من الصوف وعلى أريكة حمراء. كان صوته النهار قد طلع أجاب «أنطون» انتسامة الرقيب بمثلها حطر بباله أن مر له لم يعد موجودًا، لكن خاطره هذا احتفى على العور سحب الرقيب كرسياً إلى جسه، ووضع فوقه كوتاً من الحليب الساخن، وطقاً عليه ثلاث شرائح كبيرة بيساوية الشكل من الحمر لاسمر، مدهونة شيء شعاف له لون الزجاج المصهر علم «أنطون» بعد سنوات طويلة، عندما توقف في ألمانيا أثناء سفره إلى بيته في «توسكانا»، أن ذلك الشيء يدعى دهن الإور «شعالتس» في حياته كلها لم يأكل شيئاً أطيب من ذلك الخمر، ولا حتى أعلى الوجبات في أرقى مطاعم العالم، بما فيها مطعم «توكيو» في مدينة «ليون» العرسية، ومطعم «الاسيري» في باريس، اللذان توقف فيهما في طريق عودته من «توسكانا»، ولا استطاعت أعلى مطاعم العالم، بما فيها «لافيتا روسيلدي» و«شوميرت» العرسيان، أن تقدم حلياً يصاهي ذلك الحبيب الساحر الإنسان الذي لم يعاني في حياته من الجوع، يستطيع الاستمتاع شاو الطعم أكثر من غيره، لكنه لا يعرف قيمة هذه النعمة

قال الرقيب بالألمانية.

- لديد، أليس كذلك؟

بعد أن جاءه بكوب ناي من الحبيب، ورائحة ناتهاح وهو يلثم هذا الكوب أيضاً، اقتداه إلى المرحاض ليحس وجهه على مصلة صغيرة رأى «أنطون» في المرأة آثار دمها على وجهه وقد تحول لونه إلى بني عامق، فراح يزيل تردد، وشثاً شثياً، الأثر الوحيد المتبقي

مها عده بعد ذلك، طَوَّقَ الرقيب كتفيه وذهب به إلى مكتب قائد المركز تردد في الدخول على عنة المكتب، لكن الرقيب أومأ له بأن يذهب للجلوس على الكرسي ذي الدراعين، الموضوع أمام طاولة المكتب

كان قائد المركز، الحاكم العسكري لمدينة، يتحدث بالهاتف، وألقى نظرة حاططة على «أنطون» من دون أن يراه حقاً، لكن بإحالة أوية «عنة» على الاطعمت كان رَحْلاً قصيراً وسميماً، ذا شعر حليق أُمُيب، مرتدياً بدلة الحيش لألماني فضية اللون، وواصف حرامه بالمسدس إلى جانب قعته على طاولة المكتب، حيث وُضعت أيضاً أربع صور مؤطرة بمبرمها «أنطون» سوى الجذب الحلمي المسدس بدعوات صغيرة مثلثة الشكل كانت صورة هتلر معلقة على الحائط المقابل له مدَّ بصره عبر النافذة إلى الأشجار انعازية من الأوراق، انمكسوه بالصقيع، الهدنة التي لا تشهد الحروب ولا تعرفها وضع قائد المركز السماعة على جهاز الهاتف، كتب ملاحظة في دفتر، بحث عن شيء ما في المجلات، ثم وضع إحدى يديه على الأخرى فوق الورق النشاف، وسأل «أنطون» هل نام جيداً كان يتكلم الهولندية بلكنة ثقيلة، لكنها مفهومة

أجاب «أنطون»

- أجل يا سيدي

قال قائد المركز

- ما حدث البارحة شيء عظيم

وهو رأسه برهة من الزمن

- الحياة كلها دموع! الحرات نفسه في كل مكان. بيتي في «لبرا»
مقصوف أيضًا. كل شيء مدمر. الأولاد ميتون
وبقي بظفر إلى «أنطون» وهو يهز رأسه، وقال:
- أنت تريد قول شيء ما. قل ما عندك

- اتساءل هل أبي وأمي موحودان هنا؟ السارحة أحدهما أيضًا
كان يدرك أنه لا ينبغي أن يتحدث عن «بيتر»، حتى لا يدلي
بمعلومات قد نجعل محدثه يقتضي أثره

عود قنك المراكز التصحح في أوراقه، ثم قال
- فرغ آخر فام تلك العملية آسف، لا أستطيع أن أفعل أي شيء
كل شيء محتفظ الآن. أعتقد أنهما في مكان قريب من هنا
يجب أن نتطر الحرف بالأصل لن نطون أكثر من هنا. كل
شيء سيصبح مثل حلم مرعج هه؟
وصحك عند العبارة الأخيرة، ثم مدّ ذراعيه «لا تيسر»
«أنطون»

- والآن ماذا يجب أن فعل بك؟ هل تريد أن نقف عسا؟ هل
تريد أن نصبح حديثًا؟

«أنطون» أيضًا، ولم يعرف ثم يجيب

- ماذا تريد أن نصبح في المستقبل؟

والقى نظرة على بطاقة صغيرة فضية

- «أنطون» إيمانويل فيلم سينمايك»

عرف «أنطون» أنها بطاقته الشخصية

- لا أعرف بعد ربما طيارًا

انسم قائد المركز، لكن انتسامته احتجت على العور، وقال
- أوه!

وبرع العطء عن قلم حبر سميك برتقالي اللون:

- والآن دع تحدث في الموضوع هل لديك عائلة في «هارلم»؟
- كلاً يا سيدي

رفع إليه قائد المركز عيبه

- ليست لديك عائلة على الإطلاق؟!

- فقط في أمستردام حالي وروحه.

- هل تظن أنك تستطيع أن تعيش عندهما فترة طويلة؟
- أكد

- ما اسم حالك؟

- «فان بيمنت»

- أهو الاسم الأول؟

- كلاً اسمه الأول «بينتر»

- ومهته؟

- طيب

شعر «أطون» بالسروور لفكرة إقامته في بيت حاله فترة من الزمن.
كان عالماً يفكر بمسرحه الحميل في شارع «أبولو»، فقد كان دارونق
محري عامص بطريقة أو بأخرى ربما بسبب المدينة الكبيرة المحيطة
به.

وبسما يكتب قائد المركز الاسم والموان، قال بصوت رزين
بالألمانية.

- «هويوس أنوبو»! إله النور والحمام!

نظر في ساعة يده فجأة، ووضع قلمه على المكتب، وبهرق
وقفاً قال

- لحظة واحدة

وأسرع إلى الخروج من الغرفة. في الممر صاح شيء لأحد
المجود، فعاد الأجير راكضاً بخطوات صاحبة حين عاد، قال
«أنطون»

- بعد قليل ستذهب قافلة صغير إلى أمستردام، نستطيع أن نرافق
معهما

ثم نادى.

- «شولتس»!

نيس أن هذا الاسم هو اسم الرقيب أمره باصطحاب «أنطون»
إلى أمستردام وقال إنه هو نفسه سيكتب رسالته قصيرة إلى السلطات
هناك، وإلى أن ينتهي من كتابته الرسالة يجب عليه أن يُبَيِّن الوند
ثباتاً دافئة ثم توجه إلى «أنطون»، وصاحبه بيد ووضع يده الأخرى
على كتفه

- رحلة سعيدة يا سيادة الجبرل هي القوات الجوية كن قوياً

- أحل يا سيدي وداعاً يا سيدي

- أنا بخدمتك يا صغيري

وعقب سباته وأصبحه الوسطى وقرص بهما حد «أنطون» على

سبيل المدافعة، ثم اقتاد «شولتس» «أنطون» إلى خارج المكتب
في المحزن البارد المثقل برائحة العفونة أحد «شولتس» يبحث

عن ثياب وهو يتكلم بلهجة لم يفهم منها «أنطون» كلمة واحدة كانت المعاطف والأحذية العسكرية مرتبة في صفوف طويلة، والحدود الجديدة مصعوفة فوق الرفوف ظهر «شولنس» بكرتين من الصفوف السميك قصي اللون، وطلب من «أنطون» أن يرتدي إحداهما فوق الأخرى، ثم عقد شالاً حول أذنيه، ووضع حوذة فوق الشال عندما أهدت لحوذة الثقيلة تتدرب فوق أذنيه، حشا «شولنس» لورق حلب بطنتها الحديدية، وأحكم شدُّ رتبه في عتلت بعض انشيء. وقف «شولنس» على مسافة منه، ونظر إليه، فهر رأسه غير راضي عن مظهره. التقط معطفاً من أحد الصفوف في أقصى اليسار، وقاسه على جسمه، ثم أخرج مقصاً صحناً من أحد الأدراج، ومدَّ المعطف على لأرض، وراقه «أنطون» بعين متسعين وهو يقصُّ معطفاً على مقاسه قاصباً شريطاً عريضاً من الأسفل ومن الأكمم شدُّ «شولنس» حزاماً رتبه حول حصر «أنطون» من أجل أن يُقَي كل شيء في مكانه أعطاه في آخر الأمر قمارين كبيرين منطيين، ثم انمجر بالصحك، وقال جملة غير مفهومة، وصححت بصوت أعنى

ليت رفاقه يستطيحون رؤيته على هذه الهيئة لكن هؤلاء جالسون الآن في بيوتهم وهم يشمرون بالصحر ولا يدرون شيئاً مما يجري في لطائف العلوي رتدي «شولنس» هو أيضاً معطفاً وحوذة، وبعد أن أحصر من عند قائد المركز الرسالة التي وصفتها في جيب معطفه الداحني حين وصوله إلى الممر، خرج من الممر

كانت رحات حليد لامع على شكل بر رقيقة تتساقط من السماء نساكة كانت القذبة العسكرية الصغيرة تقف في انتظارهما عند

انمرآب على ناحية الأخرى من لساحة المسيجة أربع شاحنات
كبيرة، معطاة صاديقها بأقمشة قنب رمادية، وفي مقدمتها عرب طوب
مفتوحة، يجلس على مقعدها الأمامي بجانب السائق صابط مندمر من
تأخيرهما، وعلى المقعدين الخلفيين أربعة حوود ملتصعين بملايس
سميكة، وراصين رشاشاتهم على حوورهم ركب «أنطون»
مقصورة الشاحنة الأرسى، وجلس بين جندي متحهم لوحه وراء
المقود وبين «شولتن» ما أكثر ما حدث مع «أنطون»! «أنطون»
الذي كان م يرال صغيراً على التكبر في العاصي، كل حدث كان
يبحثه. بطمى على ما يسفه من أحداث ويكد يلعبها من ذاكرته

حرجوا من «هارلم» عبر صواحيها، وبلغوا طريق أمستردم الطويل
دا الانحاضين، المعتد على طول لقاء المائيه لتقديمه كن الطريق
حالياً من حركة المرور على حانه الأيسر كانت الأسلاك الموجهة
للقطارات والرامات تمتد وفق التماوجات لأبيقة لسكة الحديد على
الأرض، وحط السكة يتصل بها وهناك مثل مجسني لحلول،
لأعمده أبيض واقعة في بعض الأماكن كانت لأراضي على كل
الجهات راحة تحت طمعة من الجعيد كانوا يسرون سده، ولا
يتجادبون أطراف انحدث سبب الضوضاء في انمقصورة كن شي،
كان من الحديد القدر، انمصلصل، لذي يحبره بطريقة أو بأخرى
عن الحرب أكثر من كل ما سمعه عنها من قبل الدار وهذا الحذب
هذا الحرب بعينها

عرو شوارع قرية «هالف فيج» من دون أن يصادفوا أحداً،
واجتروا مصنع سكر المتوقف عن العمل، وبلغوا الجره الأخير

من الطريق الذي سعد عشر من كلو مترًا عن أمستردام رأى «أنطون»
 لمدينة تسرح في الأفق، حيث الجسر الرملي، الذي أقيم هناك ذات
 يوم لتشييد طريق سريع يحيط بالمدينة، حسما أخبره والده كانوا
 يعبرون حقول الحث لراحة تحت الثلوج، عندما عبرت السارة
 الأمامية طريقها على نحو مفاجئ إلى حافة الطريق، وأحد الجود
 يلوحون بأذرعهم، ويصرخون، ويعفرون من العربة في تلك اللحظة
 رأى «أنطون» الطائرة أيضًا، وهي تطير بالعرض فوق الطريق على
 مسافة بعيدة، وحجمها لا يريد على حجم البعوضة داس السائق
 على المرام بقوة وهو يرأر
 - هنا أقف!

وقفر من الشاحة من دون أن يظن المحرك، وحده «شولنس»
 الحارس على طرف «أنطون» الآخر حدوده تعالى الصراح من كل
 مكان، وحت الرجال انديس كانوا في المصعدة خلف سيارتهم، سائدين
 رضائهم لحاهرة للإطلاق عن صدورهم رأى «أنطون» من طرف
 عيه شحط يبادي عيه ويسوح له، كان «شولنس»، لكنه لم يستطع
 تحويل عيه عن ذلك الشيء لصغير الذي عاد إلى الطريق في حركة
 نصف دائرية واتجه إليه في خط مستقيم، وحجمه يكبر شيئًا فشيئًا إنه
 «سيتفاير»! لا، «موسكينو»! لا، «سيتفاير»! تسمر في مكانه وأحد
 يحدق في ذلك الحديد المرتج الذي يسرع نحوه كما لو كان معرماً
 نه إنه لن يلحق، لأدى نه، نه هو، فهو يقف إلى جانبهم، ولا شك
 في أنهم يعرفون ذلك، فيوم أمس كان ورأى مرفعات لامعة تحت
 حاحبها، أمورًا تافهة، ليست بذات أهمية كان على الأرض أيضًا قد

تُسرّع بإطلاق السيران، وتصاعد الدوي والأريز والسمعة من جميع الجهات، حتى لقد شعر «أنطون» بدوي الانفجارات نهر كينيه، ولأنه ظن أن الطائرة ستصدمه، عطس إلى ما تحت بوحة القيادة وهو يحس بهدير المحرك يمر من فوقه مثل المجدلة

بعد برهة قصيرة سُحب إلى تحت لمقود ومه إلى لحدق الجاسي، فرأى عشرات الحدود يهضون واقفين على يمين الطريق ويساره. كان أين يتأهى إلى سمعه من حوار الشاحنة الأخيرة التي يصاعد منها اندخان. حين توارب الطائرة بين العيوم، وبذا أنها لن تعود، ركض معظم الحدود إلى ذلك المكان ذهب «أنطون» إلى الطرف المعدل ليحقق بالرفيق، وقلبه ما ير ل يحقق بشدة، وشطابا الحديد التي يبلغ حجمها حجم إبر لمويعراف تعصف بوجهه على الطرف لأخر من الشاحنة، قريباً من درجة الصعود إليها، أدار الثمان من الجود شحفاً على ظهره برفق وروية كان الشخص هو «شولتس» كان صدره من الحانب قد تحول إلى مستنقع داكم من ادماء والأشلاء، والدم يسيل من أنفه ومه كان ما يرال على قيد الحياة، ولكن من شدة ما كان وجهه متشجاً من الألم، أحس «أنطون» بأنه يجب أن يفعل له شيئاً على الفور لم يكن بسبب رؤيته بذلك الدم كله، بقدر ما كان بسبب شعوره بالعجز وقلة المحلة، أن تحول عنهم فجأة وقد انتابه العثيد والتعرق انزعج الحدود عن رأسه، وفت الشال عن أذنيه، وبحسن بيده وهرف الإطار المرنح، يسما القيء يدفع من فمه ملء حجرته. هي انوقت نفسه تقريباً شت النار في الشاحنة الأخيرة

بعد ذلك لم يكذب استوعب شيئاً مما حدث وصنع أحدهم الحدود
على رأسه من حديد، وقتاده إلى العربة المفتوحة أصدر الصابط
أوامره بصوت مرمر، فأرقدوا «شوتس» والجرحي الآخرين، وربما
الموتى أيضاً، في الشاحنة الثالثة، وصعد الجود الآخرون كلهم إلى
الشاحنتين الأولى والثانية ما إن مصت بصع دقائق حتى كانت القافلة
العسكرية قد امتأمت طريقها، تاركة الشاحنة المحترقة وراءها

بما تقرب أمستردام، بقي الصابط الجالس أمامه بصرح في وجه
السائق من دون توقف عجافاً، سأل «أنطون» بالآلمانية من يكون بحق
«شيطان»، «النعمة»، وإلى أين هو ذاهب؟ فهم «أنطون» سؤاله، ولكن
لشدة ما تطفعت أنفاسه من الخوف والارتباك، لم يستطيع الإجابة عن
السؤال، الأمر الذي جعل الصابط يصرب الهواء بيده ويقول إنه هو
أيضاً يرى هد كلة فرعاً قرب لم يكن وجه «شوتس» يفرق عيني
«أنطون» كان ممدداً بالقرب من الشاحنة كان يريد إخراجهم من
المقصورة، وهو الآن سيموت حتماً

دخلوا لمدينة عبر الجسر الرملي بعد مسافة منه، على إحدى
الواصي، نهض لصابط عن مقعده وأشار إلى سائقي الشاحنتين
الأوليين أن يسيرا على نحو مستقيم - لمح «أنطون» قياماً على عطاء
محرك الشاحنة الأمامية - ثم أوما إلى سائق الشاحنة الثالثة أن يذهب
به صاروا برهة من الزمن في شارع محاذ لقناة عريضة يكاد يحلو
من أساس؛ من حين إلى آخر كانوا يعبرون شارع فرعي تبحث فيه
مجموعات من نساء وأطفال في ثياب بالية عن شيء ما بين خطي
سكة الترام المصنتين، في الأماكن التي كسروا الحجارة فيها ثم عبروا

حارات صبيقة هادئة بمسارل آيلة للسقوط، ووصلوا إلى بوابة مستشفى «الميستر» خلف البوابة كان المستشفى مدينة قائمة بذاتها، شوارع ومساكن كثيرة توقفوا عند أحد العابر حيث ينتصب سهم، شاره مكتوب عليه بالألمانية «مستشفى ميداني» ظهرت في الحال بصع ومرصت من لمسى، كد مظهرهن يختلف تمامًا عن مظهر «كارين»، فقد كُرَّ يرتدين سترات داكنة طويلة إلى الكاحلين، وقمعات بضاء أصغر حجمًا، كنثير تضم شعورهن مثل الأكياس ترحل الصابط والحدود الذين كانوا حاليين في لمعد عند الحفلية من السيارة، ولكن حين هم «أنطون» باللحاق بهم، معه السائق من ذلك

عاداهما الاثنان إلى المدينة أحد «أنطون» ينظر حوله وهو يشعر ثقل عظيم في رأسه بعد انقضاء صبح دقائق عرا بالجهة الحفلية لمنحف «رايكر» الذي راره مع والده في السنة الماضية، ووصلا إلى ساحة رحة يحيط سياج بمركره، ويعوم فيها مسيان محصّان صحمان، مثك الشكل على نهايتها لأخرى، قذلة متحف «رايكر»، يقوم مسى على طرار معبد يوناني بفيشرة على سطحه، وتحت قوصرنه مكتوب بأحرف كبيرة «مبنى الحفلات الموسيقية» أمامه مسى مسحض مكتوب عليه «الألمانية» «دي إيريك للجيش» على طرفه الأيسر والأيسر ميلات كبيرة، بدا واضحا أن الألمان قد استولوا على عدد منها توقفوا عند إحدى هذه لميلات ألقى حارس سدقة على كتفه نظرة على «أنطون»، وسأل السائق هل هذا الصبي من دبعة الاستدعاء الأخير!

في الصلاة أيضًا أحدوا يسحرون به من هذا الصبي الصغير

الذي يرتدي حوذة ويلبس معطفًا أكر بكثير من مقاسه، بيد أن صابطًا كان يهيم في تلك اللحظة بمصعود السلم وصنع حدًا لسحرتهم كان يلبس حذاء عسكريًا لامعًا، وتزين بأنواع مختلفة من الباشمير والأوسمة والشارات، ويتقند بقلادة «الصليب الحديدي» لعله كان حريًا ألا توقف عن السير، وحلفه أربعة من الصباط الشاب، وسأل عما يحدث لم يفهم «أنطون» إجابة السائق الذي أسرع إلى الوقوف باستعداد، لكنها كانت بطبيعة الحال عن الهجوم الجوي بينما الجبال يصعب إليه، أخرج سيجارة مصرية من علبة صغيرة، وراح يدفعها على عطاء لعلته الذي رأى «أنطون» اسم «استمول» مكتوب عليه، فأسرع أحد الصباط إلى إشعال عود كريث له ألقى الحبال رأسه إلى الوراء، ثم دحان سيجارته بخط مستقيم في الهواء، صرف السائق بوضعه من يده، وأمر «أنطون» بالحقاق به إلى الطابق العلوي أحد الصباط الآخرين بها مسون ويتصحبون قليلًا انتهى ظهر الجران المستقيم، إلى الأمام، في زاوية قدرها «أنطون» بعشرين درجة على الأقل

في عرفة كبيرة، أمر لجرال «أنطون» بإيماءة تعبر عن انزعاجه بأن يجمع ذلك الناس «سحب قبل كل شيء» قال إن مطهره يشبه مطهر صهي بئس من الحي اليهودي «باليستوك»، ما جعل الصباط يتسممون من جديد بينما «أنطون» يتعد الأمر، فتح الجبال بآنا وزمجر شيء في عرقه جانبية انتهى انصباط الآخرين جانبًا، ومضى واحد منهم إلى حافة البائدة وجلس عليها بأناقة، وأشعل سيجارة حين جلس «أنطون» أمام طاولة المكعب، دخلت فتاة جميلة

رشيفة شوب أسود، وشعر أشقر مرفوع من الحاسين، لكنه مسدل
من الحلف وضعت أمامه فنجان قهوة بحليب؛ على حافة الطبق
كانت ثمة قطعة من الشوكولاتة بالحليب

قالت له بالهولندية

- تفصل! لا بد أنك ستحبها

شوكولاتة! كان يعرف من لسماع فقط أنه يوحد شيء اسمه
شوكولاتة، شيء شبيه دلجة لكن الحمرال لم يمنحه الفرصة
بأكملها، فقد أراد أن يسمع منه ما حدث من البداية لعنت لعنة
دور لمترحم حين سرد «أطون» لحرء الأول من القصة، المتعلق
بالاعتداء وإصرام النار في بيته، وبكى قليلاً (لكن ذلك كان في
رمن موعن في القدم)، أصغى إليه الحمرال دوماً حركة، ما عدا أنه
كان يمرّر راحة يده برفق على شعره الممشط المغمّ حيناً، ويظهر
أصابعه على دقه الأمتس اللامع حيناً آخر وبكى عند كل مرحلة
دالية من مراحل القصة، بدا عليه وكأنه لا يستطيع أن يصدق أدبه
عندما سمع أن «أطون» سُجن في دبرانه تحت مركز الشرطة، صاح
بالألمانية «لا! لا! هذا غير معقول!» لم يذكر «أطون» أن شخصاً آخر
كان مسجوناً معه في البربرة نفسها وعدم سماع أنه نُقل بعد ذلك
إلى «مركز قيادة المدينة»، لم يستطع ستيغاب هذا الأمر أيضاً «شيء
فاضح! ألا توجد دور للأطفال في «هارلم»؟! مركز قيادة المدينة هذا
تجاوز لكل الحدود!» ثم يرسله قائد المركز مع قافلة عسكرية إلى
أمستردام ليذهب إلى حاله، وحائرات العدو تقصف في كل مكان!
«هل فقد الجميع صوابه في «هارلم»؟! ألم يستطع واحد منهم على

الأقل أن يفكر بعقله؟ إنها لانتهاكات صارخة!« ووقع دراعيه وهوى
 بهما، لكنه في اللحظة الأخيرة ترك يديه الميسوطتين تحيطان برفق
 وليس على سطح المكتب انفجر الضابط الجالس على حافة السادة
 صاحكاً من امتعاض بحرل متعدد الألوان، فقال الأخير، «اصحك
 ما شاء لك هواك أن تصحك!« وهل كان السادة في «هارلم» يلعون
 من لعتة ما قد يجعلهم يحثلون «أنطون» رسالته؟ أوردته الثبوتية،
 على سبيل المثال؟

أجاب «أنطون»

ـ أحل

ولكن في تلك اللحظة تراءى له لرفيق «شولس» وهو يصع
 الرسالة في جيب معظفه الداخلي في المكان الذي أصيب فيه بذلك
 الجرح لقطيع بعد مصي نصف ساعة

عندئذ بدأ يبكي مرة أخرى، قام الحراس عن مقعده مرعحين

ـ حدود من هنا وهناك من روعه واتصلوا بـ «هارلم» على الفور،
 أو لا داعي للاتصال، تركوهم يحترقون في دهبهم استدعوا
 حارس الصبي بياحده من هنا

وصعد الفتاة يدها على كتف «أنطون»، واصطحته إلى خارج
 الغرفة



حين ظهر حاله بعد انقضاء ساعة من ابر من، كان ما يزال يبكي
 في غرفة لا ينظر وقد اصططعت أطراف فمه بدون الشوكولاتة التي
 كان قد وضع على حصه المحلة الألمانية «سبحال» وهي مفتوحة

على صورة معركة جوية، مرسومة على نحو مأساوي رمى حالة
لمجلة على الأرض، وجثا أمامه على ركبتيه، واحتضنه بصمت،
لكنه نهض على لمور وقال:

- هيا يا «أنطون»، فلنصرف من هنا

نظر «أنطون» في عيني حانه

- هل سمعت ما حدث يا حالي «بيتر»؟

- أجل.

- يجب أن آتي بمعطفي

- فلنصرف من هنا

وامسكه حالي من يده، ومن دون معطف ولكن بالكسرتين الصوفيتين
إحدى، هما فوق الأخرى، خرج إلى النهار الشتوي أحفش بلباسه،
لكنه لم يعد يعرف سبب مكانه، وكان دموعه جرفت معها ذكرياته
الأخيرة أحس بالبرد في يده الأخرى، فوضعه في جيبه، فتحسن
شئاً لم يعرفه. نظر به حجر الرهر

الجزء الثاني

١٩٥٢

ما نعى هو ندعيات الحدث تصعد سحابة الرماد التي أطلقها
البركان إلى العلاف الجوي، تدور حول الأرض ويهطل رمادها
مسوات طويلة على القارات كلها.

حين مصت بضعة أيام على تحرير هولندا في مايو ولم يصل أي
حر عن والديه و«بيتر»، ركب حابه دراجته انهوائية في الصباح الباكر،
ودهب إلى «هارلم» لسأل عن أحدهم هناك من الواضح أنهم ما
يرالون محتجزين، على الرغم من أن العادة لم تدرج على ححر
السكان في مثل عمليات الانتقام هذه، ولكن حتى لو كانوا قد نُقِنوا إلى
معسكر اعتقال، في قرية «فوجت» أو في مدينة «مرسمورت»، لكان
يسمي أن يكونوا أطلقاء الآن فالوحيدون الذين لم يعودوا إلى بيوتهم
بعد، هم الماقون على قيد الحياة في معسكرات الاعتقال الألمانية

بعد ظهر ذلك اليوم، ذهب «أنطون» مع روضة حاله إلى مركز
المدينة بدت المدينة مثل شخص كان يرقد على فراش الموت،
ونورد وجهه ضحا، وفتح عييه، وعاد إلى الحياة بأعجوبة كانت

الأعلام ترفرف من إطارات الموائد المفتحة إلى المدهان، والموسيقى والرقص وأمارات الانتهاج تملأ الشوارع المزدحمة التي تنمو الأعشاب والسمات الشوكية بين بلاطها كان الناس الذين شجعت وجوههم، وهرلت أحاسيمهم، يحتشدون صاחקين حول الجود الكديس السمان الذين يعتمرون قمعات «البيري» بدلاً من العطاقيات، ولا يرتدون تلك الدلات العنيفة أو السوداء أو الحمر، الضيقة مثل المروغ، بل مدلات باللونين البيج والسي اعانح، فصفاصة ومريخة، مثل ملابس الربة، ولا تكاد تُظهر مروقات واصحة بين الصراط والجود كان الناس يلامسون سيارات الحيب والمركبات المدرعة كما لو أنها أشياء مقدسة، ومن يجيد الإنجليزى يشارك في هذه لحة اسموية التي برلت على الأرض، ويمكن فوق ذلك أن يحصل على سبجارة كان القبة من عمر «أنطون» قد جلسوا باعترار فوق مبردات السيارات المربية سحوم بيضاء داخل دوائر، لكن «أنطون» لم يشاركهم في ذلك، لا لأنه قلق على والديه و«بيتر»، فهو لم يكن يفكر بهم، بل لأن كل هذا لم يشكل حراً، ولن يشكل حراً، أما أذاً عالمه كان ذلك العالم الآخر الذي وصل حبها، لحسن الحظ، إلى نهايته، والذي لم يكن يرغب بالتكبر فيه مجدداً، لكنه مع ذلك كان عالمه، إدانه بالإحمال، لم يتوق له لكثير في هذا العالم

حين اقترت وقت العشاء عادا إلى البيت، وذهب «أنطون» إلى عرفته التي كان حاله وروحه قد فرشاها له حصيصاً لم يكن لدى حاله وروحه أولاد، وكانا يعاملانه معاملة الاس الحقيقي، ودائماً باهتمام أكبر مما لو كان اسهما الحقيقي، وفي الوقت نفسه بصرامة

أقل في بعض الأحيان كان يتساءل كيف يمكن أن تكون حياته لو عاد وعاش مع والديه من جديد، في «هارلم»، فكانت هذه الفكرة تسببه الحيرة والارتباك، فيسرع إلى إعدادها عن رأسه كان يحب الإقامة في بيت الدكتور في شارع «أبولو»، وذلك لأنه لم يكن يشعر بأنه ابن لحانه وزوجته

اعتاد حانه أن يترك الباب قبل أن يدخل إلى غرفته حين رأى «أنطون» وجهه، عرف سحراندي يحمله إليه كان المشبك العولادي، الذي رَمَّ به حاله ساق بظاله أثناء قيادته الدراجة الهوائية، ما يزال يطوق كاحله الأيسر جلس على كرسي المكتب، وقال له «أنطون» أن يتهاجسح خبر معجج ثم يدخل والده ووالدته السجرت على الإطلاق لقد أعدا رميًا برصاص في تلك الليلة، مع تسعة وعشرين أسيرًا آخرين أما «بيتر» فلم يكن أحد يعرف ما الذي حدث معه، لذلك لا يزال نمة أمل شأنه كان حاله قد ذهب إلى شرطة «هارلم»، لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئًا عن أحد سوى عن الأسرى بعد ذلك ذهب إلى رصيف القضاة ليستعلم من الجيران لم يكن أحد من آل «آرتس» «مقيمين في «قصر العيم» في المنزل، أما آل «كورتبيخ» فكانوا موحودين، لكنهم لم يراعوا في استقباله وأخيرًا في منزل آل «بوير» سمع ذلك الحمر كان السيد «بوير» قد رأى ما حدث ثم يتطرق السيد «فان ليمت» إلى التفاصيل، ولا سأل عنها «أنطون» كان يجلس على سرير، و لحافظ إلى حاسه الأسر، ويحدث في السنة الذهب المرسومة على لأرضية العنصر تولا شعور بأنه كان يعرف مسبقًا ما حدث ألقاه الحال «فان ليمت» أن السيد «بوير» وزوجته سراً

شدة حين سمعاً أنه، أي «أنطون»، ما يزال حياً يرقق فك المشد
عن كاحله وبقي ممسكاً به بين يديه. كان له شكل حدوة الفرس قال
إنه من السديهي أن يبقى «أنطون» ساكناً عنده

لم يصل الحر الذي معاده أن «ينثر» قُتل هو أيضاً بالرصاص
في تلك الليلة، إلا في شهر يونيو وكان حيداً كمثل حر يصل
من عصور ما قبل التاريخ، شيء لا يمكن تصويره الآن كانت فترة
الحمسة شهور تلك، الممتدة بين يناير ١٩٤٥ ويونيو ١٩٤٥، مائة
إلى «أنطون» أطول بما لا يُقارن من الفترة الممتدة بين يونيو ١٩٤٥
والوقت الحالي، وفي ذلك التشوه في الرمن كُمن عجره فيما بعد في
أن يشرح لأولاده كيف كانت الحرب لقد ارتحلت عائلته إلى مطلق
قلما يخطر فيها، ولكن أحياناً في لحظات غير متوقعة تظهر شدات
مها عندما يطر عر الافة في المدرسة أو في المقصورة الحقة
للنرام إنها مؤره مظلمة من الرد، والجوع، وإطلاق الرصاص،
والدم، وألسة اللهب، والصراخ، والرائين، ثورة كائنة في أعماق
نفسه وتكاد تكون محكمة الإغلاق كان يبدو أنه في تلك اللحظات
وكأنه يتذكر حلمًا، لكنه لا يعرف ما الذي حلم به بقدر ما يعرف أن
كانوساً حشم على صدره. فقط في قلب ذلك الظلام الدامس كان يشع
أحياناً ضوء مهز للأبصار أمام تلك الفتاة وهي تلامس وجهه
لم يعرف أكان لها علاقة بالاعتداء أم لا، ولا عرف ماذا حلَّ بها بعد
تلك الليلة ولا أراد أن يعرف

احتر المرحلة الثانوية مثل أي طالب ليس بالمتفوق ولا بالكسول،
والتحق بكلية الطب في ذلك الوقت كان قد صدر كثير من المشورات

عن احتلال هولندا، لكنه لم يقرأ أيًا منها، ولا قرأ الروايات أو القصص عن تلك الفترة كما أنه لم يذهب إلى «المؤسسة الحكومية لتوثيق وفائع الحرب» حيث كان بإمكانه أن يسمع هناك ما عُرف عن تصفية «فاكه سوب»، وعن مقتل «بيتر» وكيف لقي مصرعه بالصبط الأسيرة التي كان فردًا فيها قد أُبديت عن بكرة أبيها، وهذه المعرفة كانت كافية باليسرة إليه لأمر لو حيد الذي كان يعرفه هو أن تلك العمية لم يحققوها فيها ولا يقوموا باستجوابه أيضًا الرجل الألماني ذو الدية على وجهه لم يُلاحق البتة (ولكن ربما قدمت «انجستابور» تصميته هذا أمر غير مهم، فقد كان أقل شأنًا من كل المتورطين في تلك لعمية) لا بد أنه شارك في تلك العملية بمبادرة منه على نحو ما لم يكن إصرار الدار في الممرل التي يُقتل الساريون بالقرب منها، أمر غير معتاد، ولكن أن يواجه ساكنوها عقوبة الإعدام أيضًا، فذلك عمل رهابي لم يكن يُمارس إلا في بولونيا وروسيا. ولكن لو حدث ذلك هناك، لُقتل «أطون» أيضًا، حتى ولو كان رصيفًا في المهد

إن لأمر لتي لم بالإنسان لا تُسمى سهو به حين كان طالباً جامعياً في لسة الثانية، عام ١٩٥٢، تلقى في نهاية ستمبر دعوة من رميل له لحضور حفلة في مدينه «هارلم» لم يكن قد عاد إلى تلك المدينة مد أن عادره مع قفلة عسكرية ألماية قبل سع سوات في لماية لم يرغب في الذهاب إليها، لكنها بقيت تشغل به طوال الوقت أحد بعد العداء رواية لكاتب شاب من «هارلم» كان قد شترها معه مؤخرًا، وصعد إلى الترام المتجه إلى المحطة، وقد بولاه شعور الإنسان الذي يذهب لأول مرة في حبه إلى بيت الدعارة.

بعد أن عبر انقطار لجسر لرميلي، مر من تحت أبواب فولادي صبحم، ينتهي أحد طرفيه على الجهة الأخرى من الطريق، وينعط سبلاً من وحل رمادي على الأرض التي كانت في السابق حقول استخرج النُحث كانت الشاحنة العسكرية المحترقة قد احتضت. كان «أنطون» يراقب رحام الشارع مسنداً دقه على يده. كان الترام

أيضاً قد عاد إلى عمه من جديد حين اجتاز قرية «هالف فيج»،
 رأى مدينة «هارلم» تلوح في الأفق، وهي لا تختلف كثيراً عن تلك
 المدينة المرمومة في نوحات «فان راوسديل»، على الرغم من أنه
 في ذلك العصر كانت العابات، و لحقول التي يُسَرَّ فيها المسيح
 بهدف تبييضه، تتراعى في المكان الذي قام فيه منزله ذات يوم لكن
 سماء ما تزال هي نفسها العيوم الكثيفة كثافة جبال الألب، وقد
 اتكأت عليها أشعة ثقيلة عريضة من الضوء ما رآه لم يكن مدينة
 مثل معظم المدن الأخرى على وجه السبطة كانت تختلف عنها
 مشدداً يختلف هو عن لباس الآخرين

لو التفاه أحد وهو يطر من حلال الباذقة وقد جلس على
 مقعد خشبي بهت من اندرجة لثانة، في مقصورة قطار مصادر
 من شركة «سكة الحديد الألمانية»، رأى شائناً طويل القامة، في
 العشرين من العمر، بشعر أسود مترسل لا يبعث بسدل على
 حبيبه، يعبده كل مرة إلى لوزاء محرك حبيبه من رأسه كانت هذه
 الحركة ذات حادية خاصة لسبب أو لآخر، ربما لأنها تتكرر كثيراً
 فتعبر عن شيء من الضيق كان له حاجان داكسان، وبشرة خنطية
 مصرة تزدد دكة حول العبيس، ويرتدي سبطوناً رمادياً، وسترة
 زرقاء من قماش سميك، وربطة عنق عليها شعار النادي المشترك
 فيه، وميضاً محدب يافته عبد الراويس كان الدخان الذي ينهته
 من بين شفته لمزمو متبين يمكث لحظة على رجاح النافذة على
 شكل صواب حصف

استقل الترام إلى منزل صديقه كان صديقه يقيم هو الآخر في

حروب «هرلم»، بكر عائلته انتقلت إلى ذلك المرل بعد انتهاء
لحرب، لذلك لم يتوقع أن تُطرح عليه أسئلة عن الماضي عدم
اعطى «ترام إلى محمية «ده هاوت»، رأى مدة دقيقة كاملة ما كان
في لسانق «مركز قيادة المدينة». كانت لأسلاك الشائكة والحسق
قد اختبأ من حوله؛ لم يبق من المسى نفسه سوى فندق مهجور آيل
للسقوط سواعد مسدودة بلوحات من الحشب؛ المرائب، الذي كان
مطمعاً قبل الحرب، تحول إلى أطلال من المخبئ أن لا يعرف
صديقه ماذا كان في هذا المسى في السابق

قال صديقه عندما فتح الباب

- حث مع ديك'

- أنا آسف

- لا عليك' هن استطعت أن نعث على طريق السب سهولة؟

- إلى حد ما

في الحديقة الخلفية للعبلا، تحت أشجار ناسقة، كانت تقوم
مائدة عليها أطباق ملأى سلطات «بساطس»، وبكل ما لد وهاب
من المأكولات، وقاني لشر ب، وصحون مصغوف بعضها فوق
بعض، وأصقم الشوك و لسكاكين والملاعق. على طاولة أخرى
وُصعت لهدايا حيث أصاف «أطون» كتابه إليها كان «صيف
مستشرب وقوفاً وحلوت في كل مكان على الساط العشبي بعد
أن قدمه صديقه إلى الجميع، انصم إلى شلة نصف مكوى من
معارفه في أمستردام، يحملون كؤوس البيرة في أيديهم ويقفون
في حلقة على حافة الماء، لابسين هم أيضاً سرايت فضفاضة

منتهدة على أجسادهم الباهغة المحيطة بدا واصحًا أن الأح الأكر
بصديقه ممسك برمام الأمور كان يدرس طب الأسنان في مدينة
«أوتربرخت»، ويتعن في قدمه اليسرى حذاءً كبيراً أسود، لا شكل
له كان يحط في الشاب

- أحل، اسمعوني! طبعاً أنتم أولاد مدبلون، ويحب أن أعاملكم من
هذا المطلق الأمر لو حيد الذي يشعل ذلكم، ما عدا الاسماء
طبعاً، هو كيف بعكمكم التهرب من الخدمة العسكرية
- سهل عمك أن تشدق بهذا الكلام يا «جيرت جان» فأنت تعرف
أنهم لن يقبضوك - حاكمك داك

- دعي أقل بث شيئاً آخر يا أنه لو كان عندك ذرة واحدة من
الرحولة، بما انتحقت بالخدمة العسكرية فحسب، لن ونطوعت
بذهاب إلى كوريا أيضاً أنتم لا تعرفون ما اندي يحدث هناك
هناك المتوحشون يفرعون على بوابة الحضارة المسيحية!
وهو مسبه في الهواء

- العاشيون أضعاف صغار معارية بهم يحب أن تقرأ «آرثر كونستر»
- لماذا لا تذهب أنت وتحطم رؤوسهم بحدثك انصحك
يا «كوريمودو»؟

«صحك» «جيرت جان»

- تصويت جيد!

علق شاب آخر

- كوريا أصبحت مثل جامعة أمستردام بالنصط هي أيضاً تمتنع
شيئاً شيئاً بأوعاد غير مؤهلين

قال «خيرت جان» وهو يرفع كأسه:

- أيها السادة! فليشرب بحب منقوط الفاشية الحمراء، في داخل
البلاد وخارجها!

قال شاب لم يكن قد استوعب سره الحديث:

- أنا أيضًا أشعر بأسى يجب أن أقوم بواجبي، ولكن يبدو أن كثيرين
ممن كانوا في «الاس إس» محترطون في الجيش سمعت أنهم
يُعمون من الملاحقة القانونية، إذا ما التحقوا بالجيش
- وما المشكلة؟ لقد دعا الرمن على «الاس إس» يا صديقي في
كوريا يستطيعون أن يصلحوا حالهم

«بصلحوا» قال «أنطون» فيما بين وبين نفسه «يصلحوا حالهم»

نظر من بين شابين إلى الجهة المقابلة من بركة الماء، إلى الدروب
الهائلة حيث يذهب الناس ويحينون على دراجاتهم انهوائيه، وشخص
بمشي الهويى مع كلبه تقوم فيلات هناك أيضًا حنقه بقليل روضة
الأصغال، التي لا يمكن رؤيتها من هنا، والتي كان يقف في انطون
أمام مطبخها المركزي؛ وراءها بضعة شوارع، قديلاً إلى اليسار، حنف
الأراضي، المكان الذي حدث فيه كل شيء. ما كان ينبغي أن يأتي
إلى هنا ما كان ينبغي أن يعود إلى «هولم» بأي حال من الأحوال.
كان عليه أن يدفن الماضي، مثلاً يدفن الناس أموالهم.

قال «خيرت جان»:

- حكم في حالة تأمل!

وحين نظر إليه «أنطون»:

- أجل، أنت يا «ستيفايك» والآن أحزننا بما توصلت إليه

.. ما تقصد؟

.. أيجب أن يهجم الشيوعيين أم عيب أن نقاعس عن ذلك؟

قال «أنطون»

.. أنا بليت بصيبي

في تلك اللحظة سمع صوت العاء من جهر العوبوعراف القائم

في الشرفة انر حاجة

ثانكس فور ذا ميموري

انتم «أنطون» لهذه لمصدفة، لكنه حين رأى أن الآخر لم يلاحظ

انتباهه، رفع كتفيه وانحنى جانباً مخرج صوت الموسيقى مع الطل

الموשי بالشمس تحت الأشجار، فتشكل حائط أوري نار ذاكرته

بطريقه أو بأخرى ها هو في «هارلم» إنه يوم داهي من أيام بهاية

الصيف، بعله آخر يوم دمي في هذه السنة، وهو عائد إلى «هارلم»

هذا شيء غلط، ولا سمي أن يعود إليها قط، حتى ولو عُرضت عليه

وظيفة يكسب منها مائة ألف فلورينا في لسنة، لكنه ما دام موجوداً

فيها، فيجب عليه أن يودعها إلى الأبد لأن وعلى لمور

.. وأنت أيها الشاب؟

جعل من بصوت، ونظر في وجه المصيف رجل قصير القامة، شعر

أشبه مسرّح إلى جانب، يرتدي بدنة غير لائقة به، بنطالها ذو أرجل

قصيرة إلى ما فوق الكاحلين، كما درجت عليه العدة عند شريحة من

الطبقات الراقية في هولندا بجانبه تقف زوجته، وهي سيّدة ذات ظهر

محدود تدوي غايّة الرقة والنحافة في لباسها الأبيض، وكأنها

ستلاشي برفعه جميعه في أية لحظة وتتحوّل إلى عبير منطائر

أحباب بابتسامة، مع أنه لم يعرف عمّ سأل مصيغه

- نعم، سيد «فاد ليب»!

- هل أنت مستمتع بالحفلة؟

- أحاول كل جهدي

- أحسنت! بكك شاحب كثيرًا يا صديقي

قال

- نعم، أظن أنني سأذهب للمشي قليلًا، أرجو ألا تؤاخذني

- نحن هنا لا يؤاخذ أحدًا، على شيء حرية، معادة. اذهب لتفرح

ما هي معدتك ذلك سيجعلك تريح

مرّ من حارب أفراد العائلة الذين كانوا يحتسون الشيء وهم

حائسون على كراسي حديقة بيضاء، ودخل المنزل، وخرج من

الباب الرئيسي إلى الشارع عطش إلى حارة مرعية، وعمره بعده

قصيره بركة الماء حين وصل إلى الطرف المقابل، نظر إلى الحديقة

المقامة في الحديقة كان صوت الموسيقى الواصل من فوق الماء

يكاد يكون بالوصوح نفسه الذي كان عليه هناك في تلك اللحظة

رآه «حيرت جان»

- هيه يا «ستيفانك» الشقي! مكنك العجيد يقع في لانتحاء

الأحرار

لوح له «أنطون» تلويحة تدل على أنه يقدر مراحمه حتى التقدير

ثم مضى من دون أن يلتفت إلى الورا مرة أخرى

لم يسلك طريق ما بين الأراضي، بل سلك الشارع الذي يتحول

منعطاف لطيف إلى رصف القضاة. فكر بأن ما يفعله عمل خاطئ،

حاطي برمته. «المجرم يعود إلى مكان حریمته» نوتر فجأة عندما رأى لشكل الهندسي المتموج الذي رُصعت به حجارة الشارع، هذا الديكور الذي لم يفت انتباهه في الماضي، لكنه وهو يراه الآن يدرك أنه كان موجوداً دائماً على هذا النحو حين وصل إلى القاعة المائتة، أرغم نفسه على تثبيت نظره على الجهة المقابلة كانت المنارل الربعية، وللمرايع الصغيرة، والطحونة الهوائية، والمروح الحصراء قد بقيت من دون أي تعير كسب العيوم قد احتضت، والأنفار ترعى مهدوء في شمس الأصيل هناك، حلف الأملق تقع أمستردام التي يعرفها الآن أكثر من «هارلم»، لكنه يعرفها مثل الذي يعرف وجه الآخر أكثر من وجهه، لأنه لم ير وجهه قط.

قطع شارع، ووصل إلى الرصيف المشيد حديثاً على طول الضفة الحصراء سار مسافة قصيرة، ثم أدار رأسه في حركة مفاجئة «طراً إلى طرف لآخر.

إنها الممارل الثلاثة، ومساحة هارعة بين الممرل الأول ولثاني، مثل
 من مخلوعة لم يكن قد بقي من ممرله سوى السياح كان يطوق أحمة
 كثيفة من القراص والشجيرات، التي تحللها أشجار صغيرة معترشة،
 مثل التي يراها المرء أحياناً في لوحات القرن السادس عشر، حيث
 يقف ملاك على رهوة ويحرق غراب بطرات حاقدة في رحل فيح
 الشكن كانت الأعشاب الصارة قد نمت في مكان ممرله أكثر منها
 في الأراضي الواقعة في الحنف، نعل ذلك الرماد كله هو الذي جعل
 التربة هنا في هذه الحصونة كلها تذكر القصة التي رواها له حاله،
 وهي أن فوق التلال الواقعة في شمال غرب توحيد مثل هذه الأماكن
 هي الحقول الزراعية، فيتركها الملاحون من دون حراثة، لا اعتقادهم
 أنها مقابر جماعية من زمن الحرب العالمية الأولى لا بد أن حجارة
 البيت وقطع من الحدران والأساس ما تزال موجودة في ظل سنوات
 القراص هذه، ولا بد أن القصور ما يزال موجودة تحت هذه التربة - العو
 الذي سُلست منه درجته القديمة - وامتلاً بالأفئاص على الرعم من

أنه لم يحظر سأل أن مر له قد آل إلى هذه الحال، إلا أنه كان على هذه الحال خلال السنوات الماضية كلها، من دون انقطاع، مثل كاسحة جليد تشق نهراً متجمداً، لحظة تلو اللحظة

سار بخطوات وثيدة، مائلاً برأسه على كتفه بعض الشيء، ملقياً شعره إلى الوراء بين القبة والأخرى، حتى إذا ما بلغ المكان الذي جلس فيه في السيارة الألمانية، نظر من حديد إلى المكان الفارع. بسما تتعالى دفرقة عصافير الدوري فوق الأشجار الصغيرة، تراءى له مرله بتتصب من جديد، مبياً من أحجار شفافه ومن الزجاج والخيران المحمورين في ذاكرته الباردة الباردة التي تعلوها الشرفة الصغيرة لعرفة اليوم، ولسطح المائل نافذة عرفت على الحائط الأيسر وعلى اللوحة المشوذة على نحو مائل، المعلقة تحت الشرفة

«حالي الهموم»

كان سم مرل «كورنيلج» قد احتفى تحت طعة من الدهان، يد أن اسمي «موقع منار» و«قصر النعيم» ما يزالان على حالهما نظر إلى المكان الذي انطرح فيه «بنوح» في عصر ما قبل التاريخ تمثل لعبه مطهرة على تموجات الشكل الهندسي لبلاط الشارع، في هيئة الخط الذي رسمته الشرطة بظشورة فاقعة الملون حول حشته اعترته رغبة في أن يلمس ذلك المكان، أن يضع يديه فوقه، فلم يرق له تلك الرغبة. مع ذلك راح يقطع الشارع في تمهل، نكه قبل أن يصر إلى الطرف الآخر، رأى حركة أمام نافذة «موقع منار» حين نظر حيداً، تبين السيدة «بوبير» كانت قد رآته وأحدث تلوح له.

جعل من رؤيتها لم يخطر بباله لحظة واحدة أنها أو أحد
من الجيران الآخرين ما يرال يعيش هنا، ولا استطاع أن يتصور
ذلك ما كان يهمه هو المكان فحسب، وليس السكان، وحتى
عندما كان يفكر في هذا المكان، كان آل «بويمر» وآل «كورتبيج»
وآل «آرتس» يعيرون عن بآله وأما أن يبقى الساكنون هنا هم
أنفسهم. أراد أن يطلق ساقبه للريح، لكن السيدة «بويمر» كانت
قد وقعت في فتحة الباب
- «طوبى!»

كان ما يرال بمقلوده لا يصراف لعل تربيته هي التي دعت إلى
عبور بوابة حديقته وقد ارتسمت انتسامة على وجهه
- مرحبًا، سيدة «بويمر»
- «طوبى» يا سي!

أمسكت يده، وطوقت بذراعها الأخرى حصره وحصته بحركة
سريعة، وحرقاء، مثل شخص لم يحضر أحدًا مد رص بعيد
كانت أكثر ساء وأكثر صمورًا من الماضي، وكان شعره، الذي
عراه الشيب، مجعدًا تعيدًا ناعمًا لم تترك يده، قالت وهي تجره
من فوق العتبة
- نفصل بالدحول.

كانت الدموع ترقرق في عيبيها
- في الواقع يجب علي أن
هتعت من حلال باب الردهة
- انظر، من هنا!

في مقعد وثير من القرن الماضي، لم يكن في ذلك الوقت قد أصبح حديثاً من جديد، بل ما يزال من الطراز القديم (مثلما هو الآن بمره ثانية)، كان السيد «بوير» جالساً وقد هرم وضمير إلى حد أن قمة رأسه لم تعد تصل إلى الخشب المنقوش في قمة ظهر المقعد كانت مسافة متواريتين تحت بطانية سية اللون مربعة النقش، وفوقها يدها تتحركان باستمرار؛ رأسه أيضاً يحكي انحناءات متدعة بلا توقف عندما «أنطون» يده لمصافحته، رفرفت إليه اليد الأخرى مثل طائر حريج، فأمسكت بها، لكنه أحس أنها ليست يده، بل صورته يد باردة لا حياة فيها

سأله السيد «بوير» بصوت حافت متهدج

- كيف حالك يا «كس»؟

نظر «أنطون» إلى السيد «بوير»، فأومأت له بجماعة تسم عن أن وضعه قد آل إلى ما هو عليه

أجاب «أنطون»

- بحير يا سيد «بوير» شكراً وأنت كيف حالك؟

من الواضح أن مجرد طرح السؤال قد أزهق السيد «بوير» لقد أحنى رأسه بالإيجاب ولم يقل أي شيء آخر، لكنه ظل ينظر إلى «أنطون» بعينه الصعيرتين الرقائص اللديتين كانت أطراف فمه تلمع من اللعاب، وبشرة وجهه رقيقة مثل ورق السجائر، وما تبقى من شعره مصطبغ بلون لبس الذي يتذكره «أنطون»، لعله كان كستنائي اللون في الماضي. كان الراديو المصنوع من بلاستيك «الباكليت» ذي اللون البني الداكن، وشكل البيضة المقطوعة بأطول، يثب برامح

الأطفال كانت السيدة «بويمر» قد بدأت المعلمة المائدة من الواضح أنهم فرعا لنحو من تناول الطعام.
- دعيني أساعدك

- لا داعي، تفصل بالجلوس ساعد لك فجأنا من القهوة
جلس «أنطون» جلسة اعتطاء الحصان على الكرسي العربي بجانب الموقد، الذي يعرفه منذ نعومة أظفاره، والذي له مقعد على شكل سرج الجمل لم يحول السيد «بويمر» عييه عنه، وانسم به «أنطون» وحال نصره فيما حوله لم يكن أي شيء قد تغير حور طاولة الطعام تقوم الكراسي الأربعة ذات الظهور المحاذية للنفوس، المدهونة باوريش الأسود، التي تزيدها تنوءات باردة تجعلها تشبه لطرار انقوطي وتثير لرعب في النفوس، حتى إن «أنطون» كان يحاذي منها في المصبي، عندما كان يأتي إلى ها ليحصل على المأكولات اللذيذة لا يزال للصيب بأيقونة المسيح لمثوية لمصغرة معلما فوق لبات كست العرفة تثقلها رائحة الحموضة، فقد كست الوعد كنها معلقة، وأيضاً الأبواب ذات الشايك الصغيرة من الزجاج المعشق بالرخام في لراديو قلت امرأة بصوت محرف. «يا كتكوت! إني أراك يا محبوب!» نجشأ السيد «بويمر» فجأة، فأحد ينظر حوله في اندهش، وكأنه سمع صوتاً من مكان ما

صاحت السيدة «بويمر» من المطبخ
- لماذا لم تأتي من قبل يا «طومي»؟

نهض عن مقعده وذهب إليها في الممر رأى سريرهما قد وُضع في لرفة الخفية، ربما لأن السيد «بويمر» لم يعد بإمكانه صعود

السلم صبت السيدة «بويمر» سيلاً ربيعاً من الماء من العلوية ذات
المسه على الس

- هذه هي المرة الأولى التي أرحع فيها إلى «هارلم»

قالت السيدة «بويمر» بصوت خافت

- مءت صحته كثيراً في الأوبة الأخيرة نظاهر بأنك لا تلاحظ
ذلك

فان «أنطون» في نفسه طبعاً، ومدا تتوقعين؟ أن أنصجر بالصحك،
وأصبح «لا نطق بهذه الترهات»؟ لكنه أدرك على الفور أن ذلك قد
يكون الأسلوب الأمثل، فقال

- هذا أمر يديهي

- هل تعرف أنت كم تتعب أبدأ؟ أنت الآن أطول قامة من أهلك،

كنني عرفتك على الفور هل ماريت مقيماً في أمستردام؟

- أجل، سيدة «بويمر»

- أعرف ذلك لأن حالك جاء إلينا بعد التحرير بفترة وجيزة
لقد رأك روجي وهم يأحدونك معهم في السيارة (العمالية،
وهم استطع أن يعرف بعد ذلك هل كنت ما تزال على قيد الحياة
لم يكن لأحد أن يعرف أي شيء في ذلك الزمن القطيع لو
تعرف كم تحدثنا عنك، تعال

عادا إلى العرفة عندما رأى السيد «بويمر» «أنطون»، مدَّ إليه
يده مرة ثانية، فصاحبه «أنطون» بصمت مدَّت السيدة «بويمر»
المعرش المعجمي، الذي يتذكر «أنطون» زخرفته، على الطاولة،
وصبت القهوة

- هل تشربها سكر وحليب؟

- بحليب فقط، لو سمحت

صت قديلاً من الحبيب المعلي من وعاء معدني صغير في الفجان
المحتمض العريض قالت وهي تقدم إليه الفجان.

- كنت لا ترعب في رؤية هذا المكان مرة أخرى لكسي أنهم

شعورك، مما حدث كان في غاية المظاعة نكن شخصاً أخرجنا

عدة مرات، ووقف يطر إلى مكان يتكلم من الرصيف المقابل

- من كان؟

- لا أعرف رجل عريب

ومدت إليه يدها بعمدة الكمك

- «كأكيه»؟

- لو نكرمت

- هل أنت مرتاح في الحلو من هناك؟ تعال واجلس إلى الطاولة

هنا صاحبكنا

- اعتذرت أن أحسن في هذا المكان، ألا تتدكرين؟ عندما كان

روحك يقرأ لي من روايه «العرسان الثلاثة».

أطعأت السيدة «مريم» الراديو، وجلست بميل إلى الطاولة جاريه

في الصحف، لكن ما لبثت أن احتمت صحتكتها واحمر وجهها حول

«أنطون» عيبه عنها التقط برهبه وسبابته قشدة الحليب المتشككة

فوق القهوة، من وسطها بالتحديد، ورعها في روية، فانطوت مثل

انمظلة وضعها على حافة الطبق، وأحد رشفة من المشروب الحميم.

أحسن بأنها تنتظر منه شيئاً، سؤالاً عن لعمري، ويأن عليه أن ياند إلى

فتح الموضوع، لكن لم تكن لديه أية دعة في الحديث عنه. تعلمها
يعتقدان أنه ما يزال يعاني مما حدث في الماضي، وأنه ما يزال يحلم
به كل ليلة، لكنه في الواقع قدما يفكر فيه. وهو الآن جالس في هذه
الغرفة في حجرة شخصين عجورين، أو في حجرة واحد منهما على
الأقل، مثل شخص لا يمت لنفسه بصلة نظر إلى السيدة «بوير»
كانت الدموع تترقرق في عينيها للمرة الثانية
سألها

- هل السيد «كورتيج» ما يزال يعيش هنا؟

- لا، لقد انتقل من هنا بعد التحرير بضعة أسابيع لا أحد يعرف
إلى أين لم يودعها، ولا ودعنا «كارت» كان ذلك غريباً جداً،
أليس كذلك يا «بيرت»؟

نعم وكأنه تريد أن تحاول مرة أخرى استدراج روحها إلى
الحديث، وبد أن السيد «بوير» يوقفها في الرأي وذلك بهر رأسه،
دنت الهر المواقف الذي لم يتوقف إلا حين موته، هكذا شهد معها أنه
رأى ذلك غريباً جداً لم تقدمه هجاناً من القهوة، ذلك لأن الصبيان
مبصر حتماً من محتواه قل أن يصل إلى قمة عندما لا يكون يديهما
صوف، تقوم هي طعناً بإشرافه وإطعمته

قالت السيدة «بوير»

- كما جيراناً تسع سنين وعشاً فترة الحرب كلها معاً، ثم يرحل
هجاء من دون أن يقول كلمة واحدة! لن يكون بمقدوري فقط
أن أفهم الدس! بقيت أحواض السمك على رصيف يته أياً
طويلة، في انتظار عمال البلدية لأحدهم من هناك

كان «أبطون»

- كنت أحواض السحالي

- أحواض من لرحاح على كل حال أوه اكن رجلاً نعيماً جداً

لقد جاء لزيارتنا بصبح مرات، بعد أن ماتت روحه هل تذكر

السيدة «كورنيليا»؟

- على نحو عامصر جداً ليس تماماً

- كان ذلك في ١٩٤٢ أو ١٩٤٣ كم كان عمره حينذاك؟

- عشر سنين

- لأن يعيش مكنه روحان لطيفان في مفصل العمر مع طفليهما

الصغيرين

أحواض السحالي كان «أبطون» يتذكر السيد «كورنيليا» رجلاً

صالح السيرة، متجهماً الوجه، يلقي عليه لسلام ولا يحوض معه في

أية أحاديث كان من يعود إلى البيت حتى يحدع سترته، وشمر عن

ساعديه بطي كمي قميصه طيات عديدة على نحو غريب، فيتشكل

كثير متفحيز على درعه المعكوسين بالشعر، ثم يصعد عادة إلى

الطابق العلوي، ويقوم بعمل سري، كان «أبطون» شديد العصب

إلى معرفته أما «كاري» فكانت عانت ما تشتمس في مقعد مريح

وقد صمت شعره الأشقر الداكن، وحسرت ثوبها عن ساقها حتى

القصدين، حتى إنه كان يلمح أحياناً سرورها الداخلي كان بها عيان

رقاوان ررقه فاتحة تميلان بعض الشيء إلى الجحوظ، وريكتان

مكترتان بهوام جميل، تذكرانه بالمقطع العرضي لجندحي الطائرة

المصور في مجلة «الطيران» كان حين يعكر فيها وهو راد

في سريره في الليل، ينتصب عصوه الذكري في أغلب الأحيان،
 لكنه لم يكن يعرف ما الذي يجب عليه فعله، فلا بقي أمامه سوى
 الاستعراق في النوم. كان إذا ما دخل إلى حديقته عبر فتحة السياج،
 أدت استعدادها الدائم لأن يوقف حمامها لشمسي وتلمع معه لعة
 الرد كان في عيبها حول طفيف يلبق بها حدثاً ذات يوم، وبعد أن
 تفرغت منه وعداً بالكتمان، أطلعتنه على هواية والدها. في التطبيق
 العلوي، كنت يقوم على مدار العرفة الخلفية طاوولات صغيرة،
 فوقها عشرة أحوص أو خمسة عشر حوضاً فيها سحالي أحدث
 تلك الحيوانات، المائدة فوقها الصغيرة إلى لحاء الشجر، تحديق
 به بصمت عرب من الماضي البعيد، نغم وسكون مثل سكوب
 هي نفسها كان بعضها قد لوى حسه على شكل حرف «S»، ويظهر
 في عوس شديد، وكأن عيوبه لا يعرف لعة أخرى عيون من شدة
 الحمية فيها، لا تتحرك ولا ترعرع إلى درجة لا تكاد نطاق

وحسب «أنطون» صحابه على رف لموقف، إلى جانب الساعة خصص
 من الطريقة التي تحدثت بها السيدة «بويمر» عن «كوربيج» إلى أنها
 لا تعرف ما الذي حدث بالضبط لحنة «بلوح» هي تلك الدلة أدرك
 عندئذ أنه ربما هو الشخص الوحيد الذي يعلم بما حدث، ما عدا
 آل «كوربيج» أنفسهم حتى به سم يطلع حاله وروحة حاله على
 الأمر، ربما لشعوره بأنه كلما كان عدد الناس الغاطين على ذلك
 الفعل السحيق قليلاً، ليد، ذلك العمل أقل سحابة مما هو عليه
 سأل

- والساكنون بجانبهم؟

- السيد «آرتس» وروجه. إيهما ما يرالان يسكان هاك، لكن
 حتى لآن لم يلعبا عليها التحية لا بد أنك تذكر ذلك، فانب
 لم تكن ترورهم فقط إيهما مرويان إلى أقصى درجات
 الانزواء قبل فترة قصيرة، أراد السيد «حروبيلد» أن يفعل
 اللدية شيئاً من أجل هذه الأعشاب الصارة التي تنمو هنا
 بجديا

- «حروبيلد»؟

حارما لحديد الذي يسكن مكان «كورتيهيج» لا بد أنك رأيت
 تلك الأعشاب الصارة التي تنمو في المكان الذي كان يعموم
 فيه مريكم
 قال «أنطون»

- أجل

- تلك الدور كلها تنطير إلى حديقنا وحديقهم، وليس بإمكاننا
 التحصن منها أراد السيد «حروبيلد» أن تقوم للدية بعمل
 شيء ما كتب لها رسالة، ووقعها نحن أيضاً، ولكن السيد
 «آرتس» رفض أن يوقعها ما رأيك أنت؟ هل التوقع يحتاج
 إلى عاء كبير؟

ونظرت إليه بامتصاص

هز «أنطون» رأسه موافقاً

- ما يعمو هناك شيء لا يُصدق حقاً؟

قال ذلك سريرة جعلت السيدة «بويمر» تدرك أنها لم تكن لقة في
 الحديث

لقد بدأت باضطراب مفاجئ.

- أقصد

- أعرف ما تقصده يا سيده «بوينر» الحياة يجب أن تستمر

قلت وقد شررت لتفهمه وحمله الحب عنها

- كم أنت شاب عاقل ما «طوبي»!

وبهت عن مجلسها

- هل تريد فنجاناً آخر من القهوة؟

- لا، شكرًا

صت القهوة لنفسها، وقالت

- أنت تذكرني بذلك لمسكين «بينر» إنك لا تشبهه أبدًا، لكنه هو

أيضًا كان عاقلًا مثلك ودائمًا لطيفًا، ودائمًا حنونًا.

وأعادت قطعة السكر لني تمسك بها بين فكي الملقط العصي

إلى عليه السكر.

- تعرف، رأيت أن مصيره كان لأسوأ على الإطلاق ذلك الشاب

الطيب طعمًا مصير أليك وأملك أيضًا، ولكن «بينر» كان في

ذلك الوقت أصغر منك الآن تألمت بشدة، عندما سمعت

ذلك الخبر لقد رأيته وهو يحاول مساعدة ذلك لرجل، أقصد

«بيلوج»، فهو لم يكن متأكدًا من أنه قد فرق الحياة طعمًا، كان

«بلوج» وعدًا، أعرف ذلك جيدًا، لكنه كان إنسانًا في آخر الأمر.

صبي طيب القلب مثل «بينر» طيبة قلبه كدمته حياته

أطرق «أنطون» وحنى رأسه منهم مرًا بيده على الجلد البني لسرح

الحميل الذي ربما كان احترق هو أيضًا، لو كان «بينر» ما أراد لو

المنزل إلى رعاد. مقعد السيد «نويمر» الوثير، ومطبخ السيدة «نويمر»، وأبقوة المسيح على الصليب، والكراسي المرعنة حول طاولة الطعام. لأصبح هنا هو المكان الذي تنمو فيه الأعشاب الصارة، ولكان والداه الآن يعيشان في المنزل المجاور «حالي الهموم». لعل شيعوحة السيد «نويمر» وروجه كانت متشع لهم في إعنائهما من الإعدام، ولكن أي حياة كان يعيشها «بيتر» يا ترى؟ لو بقي على قيد الحياة، لكان الآن قد أنهى خدمته العسكرية وفي عام ١٩٤٧، أثناء العمليات العسكرية في انهد الشرفنة، حدم في فرقة «السابع من ديسمبر»، وربما أصرم النار نفسه في قري «الكامونج» أو سقط هناك. هذه الأشياء كلها لا يمكن تصورها. «بيتر» لم يبلغ من العمر سوى التاسعة عشرة، ثلاث سنوات أصغر من «أنطون» الآن، وهذا أيضًا لا يمكن تصوره. إنه، أي «أنطون»، سيمضي الأخ الأصغر إلى الأبد، حتى ولو بلغ الثمانين من العمر هذه الأشياء كلها لا يمكن تصورها

رسمت السيدة «نويمر» إشارة الصليب على صدرها، وقالت بصوت منخفض

- حيرة الناس هم الذين بأحدهم الله إليه أولاً
ياحي «أنطون» نفسه على هذا، فإن «فاكه بلوح» كان حير الناس
حمة!

لكه قال

- أجل

- لا يمكن لأحد أن يعرف المحكمة من التدابير الإلهية لماذا يجب

أن يُقتل «بلوح» أمام مرل كم أنم بالذات؟ كان من الممكن حدًا
أن يُقتل أمام مرل أو أمام مرل «كور تيبيج» لقد تحدثنا كثيرًا
عن هذا الأمر، أنا وروحي كان يقول دائمًا إن الله رأف سا،
ولكن كيف يمكنك أن تفهم هذا؟ ألا يعني هذا أن الله لم يرأف
بكم؟ ولماذا لم يرأف بكم؟

قال «أنطون» وهو يشعر بأنه يتجاوز حدوده،

- ثم قال روحك إن الله لم يرأف سا لأن كاهرون

أحدث السدة «نويمير» تنبع مصمت رعب معرش الطاولة بملقط

لسكر كنت «دموع» تترقق في عسيها للمرة الثالثة

- «الحيوب» «بير» «العطوفان» أمك وأمت ما أراا أراء أمام عبي وهو

يمر من هنا، أفصد أنك، سترته السوداء وقعت «بولر»، ومطته

المطوية كان ينظر إلى لأرض على الدوم كان عندما يحرق

مع أمك، بمشي دائمًا خطوة أمامها، مثلما يفعل سكر الهد

«شرقية» لم يحدث قط أن ألحق ضررًا بإسان

قال السيد «نويمير» بعثة

- «الحير» بمحس مثل الناصيح

نظرت إليه روحته و«أنطون»، لكنه أحد هو أيضًا ير مفهم بنظرات

مريشة

سمرت السيد «نويمير» عبيها من حديد في يديها

- كم كانت معانئهما كبيرة لا بد أن حالك أحرك عن ذلك

عندما هجمت أمك على ذلك الرجل قتلا بكل ساطة، مثل

الحيوانات

أحسن أنطون برعدة في ظهره، من رقبته وحتى عجزه، وكان
تعرض لصدمة كهربائية.

تلغثم

- سبلة «بويمر»، أرجوك، إذا ممكن

- طبعاً ياسي، إسي أنهم شعورك، فقد كن شيئاً فطيعاً إلى أقصى

درجة

كان عليه أن يعادر على الأمور بطر في ساعة يده من دون أن يرى

كم كان الوقت

- أو، يجب أن أذهب لا نؤاخذ بي، فأنا كنت

- حسناً ياسي

قامت عن محلها هي أيضاً، وسوّت ثيابت ثوبها من الأمام

بيديها اللاتين.

- هل حقاً هذه هي المرة الأولى انني يعود فيها إلى «هارلم»؟

يا «طوني»؟

- أجل.

- عليك إذن أن تعرج في طريقك على المصّب التذكري

ردد في اندهاش

- مصّب تذكاري!

قامت

- هاك، في المكان الذي وقع فيه الحادث

وأشارت إلى ركن العرفة، حيث تقوم طاولة صغيرة مستديرة،

عليها مزهرية ترر منها أرياش كبيرة بيضاء مثل أرياش المعامة، أو
لعلها كانت أرياش النعامة فعلاً

- لم أسمع أي شيء عنه

قالت السيدة «بومر»

- كيف يمكن هذا؟ قل حوالي ثلاث سنوات دشه عمدة المدينة

وحضر التدشين عدد كبير من المدعوين أملنا أن نراك هناك،

فقد كانت صحة روجي جيدة إلى حد ما في ذلك الوقت، لكسي

لم أر حالك حتى هل تريد أن أذهب معك؟

- إن لم يكن عندك مانع، فإني أفصل أن

فقلت

- طبعاً .

وأمسكت يده بيديها الاثنتين

- أفهم أنك تريد ريارته وحدثك مع السلامة يا «طوبي»! أنا

مسروور جداً برويتك، وأنا على يقين من أن ذلك ينطبق على

روجي أيضاً، وإن لم يستطع أن يبدي لك سروره

ونظراً، ويد أحدهما تطوق يد الآخر، إلى السيد «بومر» كان قد

أعلق عييه مستررف القوي بعد أن قالت له السيدة «بومر» إن يديه

كبيرتان مثل يدي والده بالوسط، تبادل تحية الوداع. وعنده «أنطون»

بالعودة لريارتهما في المستقبل القريب، لكنه كان يعرف أنه لن يعود

لرؤية هؤلاء الناس مرة أخرى لن يرجع إلى «هارلم» على الإطلاق

حين خرج من باب المرل، صق من رؤية المباحة المصيبة على

جانبه لأيسر، المساحة التي كانت قاعة دائماً بوجود منزله. رأى

من فوق الأقداح الساكنين الحدد في حديقة المنزل الذي كان في
السائق «فوق الحبال». رجل أشعر مجيب مع امرأة قصيرة من بهد
الشرقية، كلاهما في نحو الخامسة والثلاثين من العمر، الرجل يلعب
كرة قدم مع صبي صغير، في حين تراقبهما المرأة وتطلقها وترضع
على ذراعيها

كانت ساعة الشفق كانت الشمس قد غربت للتو، وعرق رصيف
القناة والمروح الحصراء في ضوء لا ينمي إلى أي شيء، فلا هو
بضوء النهار ولا بضوء الليل إنه يبعث من عالم آخر لا يحرك فيه
شيء ولا يتغير، ويسمو بهذه الأشياء كلها بعض الشيء نظر إلى
النهاية الأخرى من رصيف القناة، حيث يتعد الطريق عن المياه،
مرأى سباحًا بطول رحل قائمًا على الرصيف الذي لم يكن موجودًا
في الماضي لم تكن ثمة حركة مرور، فقطع الشارع على نحو ماثل،
في خط مستقيم، باتجاه انصب التذكاري

كان السياح البالغ عرصه بضعة أمتار يتكون من شجيرات
«الروودندرون»، التي تتلألأ أوراها في الضوء الساحر كان
يطوق حدائقًا محفصًا من المرصد، ينصب فوق مركزه دي انشكن
المربع تمثال رمادي لامرأة محممة العيين، مسدلة الشعر،
معدودة الذراعين إلى الأمام، منحوت بأسلوب كثيب حامد
متناسق الأبعاد، شبيه بالأسلوب المصري في أسسه تاريخ الحادثة
مع النص التالي

سقطوا

في سبل الملكة والوطن

على طريقه الأيمن والأيسر، على لوحين من البرونز، أسماء
القتلى في أربعة صفوف، حيث يعلن النصف الأخير

«ح. ي. سورخلدراخر» ١٩١٩/٦/٣

«ف. ل. ستينهايك» ١٨٩٦/٩/١٧

«د. ستينهايك - فان ليمت» ١٩٠٤/٥/١٠

«ح. ناكيس» ١٩٢٣/١١/٢١

«و. ه. من فيرمون» ١٩٢١/٢/٨

«أ. و. درون» ١٩٢٠، ٥/٥

عدت لأسماء إلى عبي «أنطون». ها هم هنا، مسحلون
ومحفوظون في أندية برورية، أسماؤهم ليست مصنوعة من البرونز
حتى، بل محفورة في البرونز. الرجال الذين قفروا من المشاحنة
العسكرية وهم مكلوبون بانيبود والدنه المرأة الوحيدة بينهم، ووالده
الشخص الوحيد من مولد انقرون انماصي. هذا كل ما تبقى منهم،
فما عدا يصنع صور قديمة يحتفظ به حاله وروخته، ثم يبق منهما
شيء، سوى اسميهما المكتوبين هنا، وهو نفسه حتى إنه لم يُعثر
على قبريهما

لعل أعضاء اللجة المحبة انمعية بالنصب التذكارية عن الحرب
تبحثوا عما إذا كان هذا النصب هو المكان المناسب لتسجيل
أسمائهم لعل بعض المواطنين أمدى ملاحظة بأن آل «ستينهايك»
لم يكونوا من الأسرى، ومن ثم لم تتم نصبهم حقاً، بل قُتلوا مثل
الحيوانات، ما حدا بمواطني اللجة المركزية أن يسألوا ألا يستحقون
في هذه الحالة نصب تذكاري، ما جعل أعضاء اللجة المحبة يتوصلون

إلى تسوية لا يُسجل بموجبها اسم «بيتر» على هذا النصب فهو،
 انطلاقاً من حس البية على الأقل، واحد من قتلى المقاومة المسلحة
 الذين تُخصص لهم نصب تذكارية أخرى. فلا يسعى بحق السماء
 خلط الأسرى، والمقاومين، واليهود، والعحر، والمثليين، بعضهم
 مع بعض، وإلا لعمت العوصى واحتلط الحابل بالنابل
 كان درب الملاحين ما يزال موجوداً كان الجليد قد داب عن
 المياه حين رأى السيدة «نويمر» تراقبه من نافذتها، لم يعادر من
 الطريق معه الذي جاء منه

لم يعد إلى حملة «ود ليبب» أيضًا، بل استقل أول قطار متجهًا
إلى أمستردام عندما وصل إلى البيت، كان حاله وروحه ما يزالان
حاليين إلى المائدة، وقد فرعا للتو من تناول العشاء كان المصاح
مضاء سأل حاله ساجدًا بعض الشيء، لماذا لم يتصل إذا كان بوي
التأخر في العودة إلى البيت
أجاب «أنطون»

- كنت في «هاري»

نظر حاله وروحه أحدهما إلى الآخر كان صحبه قد وضع على
الطاولة، فجلس في مكانه التفت بأصابعه ورقة حس، وأراح رأسه
إلى الوراء وأسقطها في فمه
سألته روجة حاله

- هل أتيت لك يصة؟

هز رأسه بلا، وبلغ الحس، ثم سأل حاله

- لماذا لم تحبرني بأنهم أقاموا بصًا بديريًا عندما على رصيف القف؟

وضع السيد «فان ليمت» فحان قهونه على الطاولة، ومسح وجهه،
وراح يحدث فيه

- لقد أحترتك بذلك يا «أطون»!

- متى؟

- قل ثلاث سنوات دُشس في سنة ١٩٤٩ تليفادعوة لحضور
الاندشيس، وسألتك هل تريد الذهاب، لكنك لم ترعب في ذلك
قالت السيدة «فان ليمت»

- ما أراا أتذكر جيداً ماذا فلب في ذلك الوقت

وسكبت السلطة في صحبه ووضعت انصحى أمامه

- قدت فليمرحوا هم بذلك الحجارة، فأنا لا شأن لي بها

سأل السيد «فان ليمت»

- ألا تتذكر؟

هر «أطون» رأسه بلا وبرم الصمت أحفص عييه إلى مهرش
الطاولة الأبيض، وسحب به أربعة خطوط شوكنه سطاء، وهو بشر
لأول مرة شيء من الخوف، شيء يمنصه هوة طدماء تقع فيها
الأشياء من دون أن تصل إلى العمر، مثل حجر يرميه إنسان في شر،
ولا يسمع وقع ارتظامه بالأرض

في الوقت الذي كان لا يزال يفكر فيه بمثل هذه الأشياء، تساءل
دات مرة ما الذي يمكن أن يحدث لو حجر نطقاً في عرص الكرة
الأرصية، وقفر فيه مدلة مصادة للاحتراق. بعد مدة معينة يمكن
تحديد ما بعمليات حسابية سيصل إلى جهتها الأخرى، يقدميه أولاً،
ولكن من دون أن يجرح على سطحها سيتوقف هالك لحظة، ثم

يحتوي في عمق النعق من جديد وهو مقلوب رأساً على عقب وبعد
سنوات، يمكن تحديده أيضاً شكل حسابي، سيتوقف عن الوسان
في مركز الكرة الأرضية، ويحوم هناك وهو في حالة انعدام الوزن،
ليعكف في محترى الأمور إلى أمد الأبد

الجزء الثالث

١٩٥٦

تبع «أهلون» دراسته الجامعية مثل أي طالب ليس بالمجتهد ولا بالكسول. عدم ترك مرل حاله في شارع «أبولو» وانتقل إلى مسكن في مركز انمدينة بعد تقديمه لامتحانات لسنة الثالثة في عام ١٩٥٣، بدأت مرحلة جديدة من حياته. عدم سكن في شقة الصغيرة المظلمة فوق دكان الأسماك، في حارة فرعية بين شارع «بريسس خراحت» وشارع «كبير حر خب»، حيث تفصله عن حيرانه الساكنين على طرف المقاس مسافة لا تتجاوز خمسة أو ستة أمتار، استعدت أحداث «هارلم» في يناير ١٩٤٥ حتى نوارت وراء الأفق. كان ذلك شبيهاً بالحالة التي يعيشها رجل عندما يطلق روحه. يقيم علاقة مع امرأة أخرى كي يسي روحه، لكنه بذلك لا يفصل بينها وبين روحه. ربما تسير الأمور بشكل أفضل مع المرأة لكسة، وإن كان ذلك مرجحاً أكثر مع المرأة الثالثة. كما أن الذي أبعادني ما وراء الأفق يجب أن يبقى مُبعداً، ولكن تلك مهمة لا سبيل إلى تحقيقها، إذ إن الأشياء كلها تلامس بعضها بعضاً في هذه الحياة الداية لا تحتوي على الإطلاق، ولا حتى مع النهاية.

مرة كل بضعة أشهر كان بصاب بصداغ يصفي يستمر يوماً واحداً،
ويضطره إلى الرقود في الظلام، لكنه لم يكن يتقياً من جراء الألم إلا
بدرءاً كان يقرأ كثيراً، لكن ليس عن الحرب، وبشر في إحدى المرات
بصع قصائد عن الطبيعة في مجلة الطلاب، باسم مستعار «أنطون
بيتر» كان يعزف على البيانو ويفصل عرف سيمفونيات «شومان»،
ويستهويه الذهاب إلى الحفلات الموسيقية أما دار المسرح فلم
يعد بفضل الذهاب إليها، منذ تلك المرة التي أصيب فيها بإعياء
شديد لسبب لم يفهمه لقد حدث ذلك أثناء عرض مسرحي رائع
«مستند الكرر» للكاتب «تسحوف»، من إخراج «شاروف» أثناء
مشهد يجلس فيه رجل مطرق برأس إلى الطاولة، وتقف امرأة في
الحارج على المصطبة وهي تصبح شيء لأحد الأشخاص، استولى
عليه إحساس رهيب وعامض في الوقت نفسه، ولكن من شدة قوته،
اضطر أن يخرج من الصالة على العور ما إن وصل إلى الشارع
المزدحم بالباس والترامات والسيارات حتى اختفى ذلك الإحساس
بشكل كامل، حتى لقد نساءل بعد مضي بضع دقائق هل ما حدث
قد فسر كن حقيقياً.

كل أسبوع كان يذهب على دراجته النارية بحقيبة ملامسه المتسخة
إلى بيت حالي في شارع «أبولو»، حيث يبقى في أغلب الأحيان لتناول
العشاء مع مرور الوقت بدأ يلاحظ السلوك الرافى المنبع في مزل
حالي والطريقة التي تُرتب بها الأشياء كلها، فما من شيء تالف، أو من
دون دهان، أو ذي طابع مؤقت، أو من نوعية رديئة الطعام يُقدم في
الأصاق، والبيد يسكن في الدورق، ولا أحد من دون سترة العظم

أو بربطة عنق مفكوكة كان عندما يأتي حاله أو راحة حاله لريارته، يرى على وجهيهما أنهما يلاحظان هذه الحالة المعاكسة، فيقول حاله إنه هو أيضًا كان طالك في يوم من الأيام

في ١٩٥٦ منح في امتحانات السنة الأخيرة، وبدأ بالعمل كطبيب تحت التدريب في عدد من المستشفيات. في ذلك الوقت قرر التخصص بالتحدير. كان يعلم طبيعة الحال أنه لو تخصص في الأمراض الداخلية أو أمراض قلب وفتح عيادة خاصة، لاستطاع أن يكسب منها صعبين أو ثلاثة أضعاف ما قد يكره من التحدير، لكنه في تلك الحالة لم يملك أي متسع من الوقت لنفسه، ومبتعرض هو نفسه بعد فترة وجيزة لفرحة معدية أو مرض قلبي، في حين يستطيع كطبيب تحدير أن يفتق باب المستشفى وراءه في نهاية اليوم ويصبح حرًا هذا الشيء ينطبق على الجراحة العامة أيضًا، لكن الجراحة العامة لا يمارسها إلا الجراؤون كما أن لأسباب التي دفعته إلى اختيار التحدير لم تكن بالأسباب السلية حسب كان مفتونًا بالتوارث الدقيق الذي يجب أن يحافظ عليه، عندما يعرر الجزائريون مشارطهم في جسم الإنسان ذلك التوارث الحرج بين الحياة والموت، وثالث الرعاية التي يقدمها لذلك المخلوق المسكين الذي لا حول له ولا قوة أثناء عيونه. كان يديه إلى ذلك تصورات روحانية على نحو أقل أو أكثر، وهي أن التحدير لا يفقد المريض حساسه، يفقد ما يُعقل المواد الكيميائية التي تجعله غير قادر على التعبير عن ألمه، ويمحو من ذاكرته فيما بعد الألم الذي عاناه أثناء العملية، في حين تكون صحته قد تحسنت، فعندما يفيق المريض

من التحدير، ترى عليهم دائماً أنهم عانوا من الألم لكمة حين صرح
برأيه هذا، في إحدى المرات، لزملائه الذين كانوا يحضرون في
الحدث عن المراكب الشراعية، رفق هؤلاء بنظرات تسم عن أنه
من الأفضل أن يحتفظ مثل هذه الأفكار لنفسه، إذا كان يريد أن
يغفر رخصاً من راديهم

وأيضاً نوح السباسة التي تمضي في عمدها من دون كلل أو
ميل، لكنه لم يكن يتابع أحداً منها إلا نادراً، وخاصة الدخيلة منها
كان يقرأ الماوس الرئيسية في الصحف، لكنه يساهم على انقور
عدم سأل رميل إنجيري به عن تركيبة النظام السياسي في هوسدا
لم يستطع أن يجيبه بشيء، كان جهله بها مثل جهله بتركيبه النظام
السياسي في ألمانيا أو فرنسا فيما يتعلق بالصحف اليومية، كان
يقضي معظم وقته في حل الكلمات المتقاطعة ثم يكن يستطيع
أن يباي بنفسه عنها، إذا كان يتمتع بمهارة عالية في حلها كان يدا
رأى على إحدى طاولات انقورة لعر غير مكتمل الحل في حريمه،
دفعه طموحه إلى إكمال ما عجز الرجل السابق، أو المرأة (نساءه)،
عن إكماله بسبب خطأ مرتكب في مكان ما حتى إذا ما فرغ من
الحل، نظر برصد إلى العرّيج المكتمل كانت الحروف، التي يقوم
معظمها بوظيفتين، في كلمة أفقية وكلمة عمودية، والكلمات التي
يرتبط بعضها ببعض بطريقة رائعة، تشعره بسعادة عامرة كان يرى
فيها لمسة شعرية

على أنه في تلك السنة نفسها، في ١٩٥٦، كان عليه أن يشارك في
التصويت في الانتخابات. أثناء عشائه الأسبوعي في شارع أبلولا

سأله حله لأي حرب سيصوت أحب بأنه سيصوت للبيراليس،
 وحين سأله حاله عن النسب، لم يستطع أن يجد إجابة أفصح من أنه
 سيمع ذلك اقتداءً بأصدقائه رأى السيد «فان ليخت» أن دامعه ذلك
 من أمراً الدوافع التي يمكن أن نحظر على مال، ثم استطاع خلال وضع
 دقائق أن يحمله على تغيير رأيه، فقد قل: إن الليبرالية الحالية تجمع
 بين مبدأ التشاؤم بالنسبة للإنساني، والرأي القائل بأن الفرد يحب
 أن يكون حراً قدر الإمكان لكن الإنسان إما أن يكون منشأً ومن
 ثم يقس بالقوى بين المحروصه، وإما أن يكون متعائلاً فيتحرر والحال
 هذه من القوانين، إذ من مستحيل أن نجتمع فيه هاتان الصفتان
 لإنسان لا يستطيع أن يجمع بين تشاؤم التوجه الاشتراكي وتدوّل
 شوحه لتحرري موصوي وهذا ما يقعه الليبراليون بالوسط قال
 لذلك فإن أسأله في عيه السلطة وهي أن على الإنسان أن يعرف
 فقد أهو متعائلاً أم متشائم، فعاد، يكون هو؟ رفع «أنطون» عينيه إليه
 لحظة، ثم أطرق من حديد وأجاب

- متشائم

هكذا صوت للحرب الديمقراطي الاشتراكي، مثلما فعل
 حاله، الذي كان واحداً ممن يشعرون ماصب ربيعة في الحرب،
 ويحتر منهم عادة عُمد المدن والوزراء اكتشف «أنطون» بعد
 حين أنه لا يكاد يوحد إنسان واحد يصوت من منطلق عقلائي،
 بل من منطلق مصلحته الشخصية، أو لأنه يجد في حرب معين
 ما هو مألوف لديه، أو لأن رئيس القائمة الانتحائية محل ثقة، أي
 في الواقع من منطلق فيزيائي - بيولوجي بحث، لذلك عاد بصوت

للأحزاب ذات الميول اليمينية، عندما آتت فرصة مناسبة، حيث
تشكل حزب جديد قال إن اتحيز بين اليسار واليمين قد أصبح
عادة قديمة. حتى حينذاك لم يكن اهتمامه بالسياسة الداعية إلا
في حده الأدنى، يكاد يشبه اهتمام الشخص السجى من حادثة
حوية بالطائرات الورقية

بدأت الشيوعية، ومعها السياسة العالمية، تستأثر بتفكيره في وقت متأخر من تلك السنة في النصف الثاني من عام ١٩٥٦ عاش قراء الجرنل في مدينتهم العاصمة الاضطرابات في بولندا، فصائح في العائلة المالكة، الهجوم الفرنسي، الإمبري على مصر، الثورة في هنغاريا وتدخل الاتحاد السوفيتي فيها، ووصول فيدل كاسترو إلى كوبا قبل بضعة أسابيع من ذلك العمل اسطولي في الكاريبي، كان صدى أرباب الدبانات الروسية التي احتاحت بولداست ما يراى يتردد في هولندا، ويُسمع بأوضح صوره على بعد مرمى حجر من مسكن «أطون» في المسى الصبح المحذر من القرن الثامن عشر «فيليكس ميريتيس» كان يوجد المقر الرئيسي للحزب الشيوعي كانت الحشود العصبية تصول وتجول في المدينة، وتقوم بتحريب كل ما يمت للشيوعيين بصله، بدءاً من مكانهم وحتى بواقد منازلهم، تساعدهم في ذلك الصحافة التي تشرعوايهم كانت نشر بحجة الموضوعية في التعطية الإعلامية أن مرل القيادي فلاان المقيم في

العمود كما قد تعرض يوم أمس إلى صرر طعف محسب. يتعرض
المرب في اليوم التالي إلى أصرار حسيمة بعد إيجار العمل اللازم.
كانت الحشود تفتح أمام مسي «فيليكس ميرينيس»، في شارع
«كيرر حراحت»، الذي بقي محاصرًا على مدى يومين كاملين من
قرب الآلاف من الناس

كان المسي قد تحول إلى حصن مسيع كانت نواد الطابق
الأرضي كلها مسدودة بلوحات من الخشب، وبم يبق شبك واحد
من شبائك الطابق العلوي سالكًا كان رجال بحوذات يراهم
على السطح، وفي بعض الأحيان يساء أيضًا، فكان يتعرض بشكر
مصاعف إلى هتافات عنادية من كان يريد الدخول إلى المسي أو
الخروج منه، يحس صغًا إذا طلب حماية لشرطة كان رجال
الشرطة المسجون بالهراوت والمسدسات الملقمة يحاولون
تجميع الحشود في الجهة المقابلة من البصة، لكنهم هم أنفسهم
كانوا معرضين لخطر الإصابة بالحجارة المتطايرة في الهواء من
دون توقف كان الرجال المربطون على السطح يُرشقون أيضًا
بالحجارة، التي تصل أولاً إلى دحل لمسي عبر اسواق، ويوجهون
بين البصة والأخرى حراطين الماء إلى المجموعات التي تحاول
الاقتراب من المسي في البصة كان يقف قرب شرطة دون نصي
من أجل انتشارال للذين سقطون في الماء.

لكن «أنطون» لم يكن يكثر بهذا كله، فصلاً عن أن يشارك فيه
كما أنه كان يأتى نفسه عن انقذات حول هذا الموضوع كان يلامه
شعور بأن ما يحدث لعبة أطفال على الرغم من هولاء وفضاعته، وبسببه

«طباع بأن العديد من الناس مسرورون لما يحدث في بودابست، لأنه شيء يثبت أنهم على حق في رأيهم بالشوعية أكثر ما كان يرعجه هو الصحيح المستمر كان الشارع الصبي الذي يعيش فيه يستخدمه لمظاهرون من أجل الوصول إلى الجهة الخلفية لمبنى «فيلكس ميرينيس»، وإلى شارع «مريس حراحت»، حيث تحدث هجمات أيضاً، حتى عبوات ماسقة، كما أخبره نافع الأسماك حين يس من توقف الصحيح، ذهب إلى دار المسماة لحضور فيلم «الحتم السابع»، وعدم عائد إلى البيت، أدار آلة التسجيل على السيمفونية الثانية للموسيقار «مالر»، ورفع صوتها إلى أقصى درجاته، لكن الصحيح لم يتوقف طوال الليل عزم أمره على الذهاب لفضاء الليلة التالية في شارع «أبولو» حيث يعم كل شيء بالهدوء، لكنه بعد انتهاء دوامه في مساء اليوم التالي لم يتصور أن تستمر المصوءاء ليلة ثانية، لذلك عاد إلى بيته

كان الظلام قد بدأ بالهبوط، واشتعلت الشموع حلف العديد من الوداد كانت الأعلام مكنة على بيوت لا حصر لها ولا عدد لكي يحمي دراحته الارية من التعرض للتلف في الصراع الجاري، ركنها في مكان بعيد صنع سابات عن بيته، وذهب سيراً على الأقدام إلى شارع

لقد اشتد الازدحام والاضطراب بدل كثيرًا من العاء للوصول إلى دانه عمر الرحام، وما إن وصل إلى مدخل مباه حتى انفجر الوضع. ظهرت فجأة من شارع «كايرد حراحت» سيارات الشرطة بصعرات الإمداد المدوية والمصاييح المشتعلة، وراحت تحترق صغوف

الجماهير المحتشدة وهي تريد من سرعتها، ثم تفر من، ثم تعود إلى
 زيادة سرعتها وظهرت حيوب بمطبخ رجال شرطة شاهرين سيوفهم،
 ودرجات درية مرودة بعربات جاسية، أحدثت تسير على الرصيف
 حياءً ووسط الشارع حياءً آخر، ورجال شرطة بحودات محمول خارج
 العربات ويصرون الناس بمقابض هراوات طويلة سوداء دت الذعر
 في الصفوف المحتشدة بين المباني، لكن «أطون» أحس شيء من
 الارتياح، الأمر الذي أدهشه دهشة عظيمة كان هل لحظات يشعر
 بالاعجاب والتوتر، أم الآن والناس يتلفون الصريرات ويصرخون،
 ويندسون أو يحاولون الوصول إلى در الأمان وقد تصرعوا بالدماء،
 شعر هو بظمائية عريضة «دحم مدخل المبني، الذي يقضي أيضًا
 إلى باب دكان الأسماك، والذي لا يريد على ممرين مربعين، بحث
 من الناس الذين راخوا يتدفعون ويدفعونه على باب بيته كان يمشي
 بالمفتاح، لكنه أدرك أنه لا يسعى أن يفتح الباب، حتى ولو تسمى به
 الانتعاش إليه، إذ إن السهم وعرف بيته ستعج بالناس في طرفة عين،
 وبعد أن يعدد الصيوف سيكون أثاث منزله قد حتمى أيضًا كان يقف
 أمامه رجل صحم السية، يدفعه بظهره لكن ما أوتي من قوة، أو يد
 الأمر كذلك، فقد كان الآخرون هم من يدفعون الرجل نفسه كان
 يحمل في يده البمبي حترًا رماديًا كبيرًا، وقد دفعه مضطراً إلى ما
 فوق كتفه أدار «أطون» رأسه إلى الجانب من أجل أن يحمي أنه
 ومن أجل ألا يفتق، فرأى من طرف عبه أظافر الرجل المنصحة
 والمسامير اللحمية على أصابعه
 ركض الجميع من لمدخل فجأة التفت إليه الرجل الواقف أمامه

كانما يرى لشخص الذي نحسسه بظهوره طيلة ذلك الوقت، ثم حرج
إلى الشارع، والتفت إليه مرة أخرى، وبقي واقفاً
قال

- مرحباً «طون»

نظر «أنطون» إلى الوجه العريض الحش، فتعرفه فجأة

- أهلاً «فاي»

مضت تصيح ثوانٍ وكل منهما ينظر إلى الآخر، «فاكه» ساحر في يده، و«أنطون» بالمفتاح كـ الاصطراب م يرال بسود الشارع، لكن مركز العنف كان قد تنقل إلى شارع «بريسس خراحت»
 قد «أنطون»

- تفضل بالدخول

تردد «فاكه» نظر يمه ويسرة كأنه يصعب عليه أن يترك ما يحدث وراءه، لكنه أدرك أن لا ماضٍ من القول
 - سأدخل لحظة يسيرة

بينما «أنطون» يسمع الوقع الثقيل للأقدام وراءه على درجات السلم الخشبي، لم يستطع أن يصدق بأنه «فاكه بلوح» فعلاً لم يكن يهكر فيه على الإطلاق، في حين كان الأخير حياً يرقق ويعيش في هذه الدنيا. لم يصافح أحدهما الآخر عن أي موضوع يجب أن يتحدث معه؟ ولماذا دعاه بحق السماء إلى بيته؟ في العرفة، أصه المصباح وأمدل استائر

- ماذا تريد أن تشرب؟

فرع حين وضع «فاكه» الحجر على البياض، الذي كان قد جاءه هدية في عيد ميلاده، لم يصعه بعنف لكن بصحب استخلص منه «أنطون» أن طلاءه قد تعرض للصرر
- كأمّا من البيرة، إذا عندك منها

ص «أنطون» لهسه كأس بيد من راحة مفتوحة من اليوم السابق أحد «فاكه» يتململ ناحيًا عن وصعية حلوس مريحة في الكرسي، لذي به شكل فراشة هائلة الحجم جلس «أنطون» على الكفة السوداء ذات النواص المتحلحلة
قال

- في صحبتك

ولم يعرف ماذا عليه أن يقول أكثر من ذلك
رفع «فاكه» كأسه، ثم لتهم نصف الكأس في جرعة واحدة مسح
عنه يظهر يده، وأحد ينظر إلى حرارة الكتب ورف السدميات
- طالب، أليس كذلك؟

أوما «أنطون» لا يجاب. أوما «فاكه» أيضًا، ثم بهض عن مقعده
نصف بهوض، وجلس حلصة مواربة ليستشعر هل هذه الوصعية
أفضل

- عبر مريح؟

قال «فاكه»

- ياله من كرسي مريح!

- مع أنه من الطراز الحديث تعال، اجلس هنا

يادون أحدهما المقعد مع الآخر أحد «هاكه» يحدق فيه، وكله
 يستطيع رؤيته من هذا المقعد على نحو أفضل
 - هل تعرف أنك لم تتغير أبدًا
 - سمعت هذا مرارًا
 - لقد عرفتك مباشرة
 قال «أنطون»

- أنا احتجت بعضًا من الوقت، فأنا لم أكن أرى أنك كثيرٌ
 أخرج «هاكه» كيس نع من جيبه الداخلي، وأخذ يلف سيجارة
 حين صيَّقه «أنطون» سيجارة من علبة «يالو دراى»، هر رأسه بلا
 معه ما كان يسمى أن يقول له ذلك، لكن ما فله صحيح، فهو سحرة
 طبق الأصل من والده، ما عدا أنه أصغر سناً وأكثر سخافة، وبطريقة
 أو بأخرى أكثر تنهاجاً ورأى إلى ذلك أنه لا ينبغي أن يظهر به
 كثيرٌ من التعجب تسمى لو يرن لهاتف، فيرد عليه ويقول لظرف
 الآخر، أي كان، إنه أتى إلى المستشفى في الحال ليسعف تلك الحالة
 المستعجلة كان انحو باردًا ورطبًا في العرفة
 قال

- سأشعل السدفة

ويهض عن محله، وفتح صبور الوفود فرع «هاكه» من لف
 سيجارته، فانتزع انتع لرائد من طرفه وأعادته إلى الكيس الذي
 يمكنه بين أصعبه لبصر والحصص
 سأل:

- ماذا نلزم؟

- طب

قال «هاكه» قبل أن يستطيع «أنطون» مواه

- أن يعمل في محل أدوات مرلية تصليحات وما شابه

«نظر «أنطون» حتى وصل ما يكفي من الوقود إلى المدفأة

- في «هارلم»؟

«نقته «هاكه» بظرة تقول هل فقد عمده

- «هارلم»! هل نظر أب ما رلنا تسكن في «هارلم»؟

- وكيف لي أن أعرف؟

- ألم يحضر بلكت أب اضطرب للاتصال من هناك بعد الحرب؟

اجاب «أنطون»

- أجل، هذا حائر

ورفع عطاء المدفأة، وألقى فيها عود كبرت مشتعلًا

- أين تسكن الآن؟

- في «دين هيلدر»

انطلقا عود الكبريت في طريقه إلى قعر المدفأة، فأشعل عودًا آخر،

وألغاه فيها والتفت إلى «هاكه»

- وهل حثت إلى أمستردام فقط لترشق بالحجارة؟

اجاب «هاكه» وهو يحدق فيه

- أجل، شيء غريب، أليس كذلك؟

وضع «أنطون» العطاء على المدفأة وحلس في مكانه لو يقترح

عليه من دون لف ودوران إنهاء هذه المقاتلة، لربما يقل «هاكه» بهذا

الاقتراح على الفور، لكن إدراكه هذا جعله يعند رعته كي لا يظن

«هاكه» أنه يستطيع التخلص منه بسهولة

سأله

- هل ما تزال أمك على قيد الحياة؟

أولاً «هاكه» نعم، وأجاب بعد مصبي بصع ثوان

- أحرص

لقد ذهب بيرة فيها نوع من الاعتراف، وكأن «أنطون» سأله «هل

ما تزال أمك أنت على قيد الحياة؟» لم يكن «أنطون» يقصد ذلك،

لكنه عدم رأى وجهه، اعتقد أنه ربما قصد ذلك فعلاً

سأل

- كيف تعمل في محل صيانة أدوات منزليه وقد درست الثانوية

العامية؟

- درست نصف سنة، نعم

- كيف ذلك؟

سأل «هاكه» وهو يدفع لتبع الرائد إلى دحل استراحة مرأس

عود الكريت

- وهل يهتمك أن نعرف ذلك حقاً؟

- لماذا أسأل إذن؟

- بعد الحرب ألقوا القبض على أمي، وسجنوها في معسكر

اعتقال انتهى الأمر بي إلى الإقامة في مدرسة داخلية كاثوليكية

كنت مرعاً من المدرسة الصناعية الأسقفية أحبروسي على

العيش فيها، مع أنني لست كاثوليكيًا

- وماد، كانت تهمة أمك؟

- اسأل السادة في «لجنة المحاكمات الخاصة»! أعتقد أن تهمتها كانت الرواح من أبي.

علم «أنطون» من السرة التي قال بها «فاكه» هذه الحملة أنه رددما كثيراً، وأنه لم يلبث أو لأخر ليس هو من ابتدئها - وماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد تسعة شهور أحضروا ميلها، ولكن أثناء فترة سحبها كان أمانس آخرون قد سكنوا في بيتنا. عُرض علينا مسكن في «دين هيلدر» حيث لم يكر أحد يعرفنا - هاك التحقت بالمدرسة المهنية - لماذا لم تكمل دراستك الثانوية؟

أجاب «فاكه» بوجه متفرد وكأنه يشم رائحة نئة

- أنت لا تعرف شيئاً، أليس كذلك؟ ماذا تعني؟ اضطرت أمي أن تصح حادمة لتعيل أدي وأخواتي صارت واحدة من أولئك السوة اللاتي تراهن في الساعة السادسة والنصف من الصباح وهن يمشين في الشارع بماديل على رؤوسهن وحفائهن تسوق في أيديهن كانت تصنع في تلك الحقيبة فرشاتها ومماسحها ومظلماتها، لأن تأمين تلك الأغراض كان من مسؤوليتها كانت عندما تعود إلى البيت قل وقت العشاء بقليل، لا تكاد تقدر على المشي وإذا أردت أن تعرف كل شيء، فإنها الآن في المستشفى، والقيح يرم من ساقها اليمى المتحولة إلى كتلة صفراء ببقع بيضاء أما ساقها اليسرى فقد تُرئت قل أسبوعين والآن، هل أنت راضٍ يا دكتور؟

وخرج ما هي كأسه، وحط الكأس على الطاولة، ثم نكأ إلى
ظهر المقعد

- هذا هو الفرق بيني وبينك، أليس كذلك؟ كما في نصف يوم
أبوالك يُقتلان ومع ذلك تدرس طب وأبي يسقط صريعاً فتسهر
الأمريبي إلى مصلح لسحابات!

فقال «أنطون» على الفور

- ولكنك أمك ما تزال على قيد الحياة، وأخواتك أيضاً
ورن كلماته، فقد وصل إلى نقطة حرجية، ثم تابع في حذر
- ثم ألا يوجد فرق بين موت أبيك وموت أموي؟
فسأل «فاكه» بعدوانية

- وما هو الفرق؟

- أموي كانا بريئين

قال «فاكه» من دون أن يتردد لحظة واحدة

- وأبي أيضاً

وراح يحملق في عيني «أنطون» سكت «أنطون» في دهول نعل
«فاكه» بعيني ما يقول، ولعله في الواقع مقتنع بما يقول
قل بوشرة من يده

- حسناً، حسناً، فما أعرفه سمعته من الناس، ولكن

- بالتصبط

- ولكن إذا كنت ترى الفرق بيني وبينك كموع من الظلم الاجتماعي
فإسي لا أستطيع أن أفهم قصدك من هذا الحجر

واشار برأسه إلى الحجر الذي وضعه «فاكه» فوق البيانو كأنما
توجه إهانة شبيعة له

- بك واحد هذه يجب أن تكون شبيوعياً
قل أن يحب «فاكه»، أحد «أنطون» كأسه، وترك آخر فطرات
البيد تسيل في حجرته

قل «فاكه» بهدوء ولكن بصره فيها عصب شديد
- شبيعية أشع ما في الوجود انظر إلى ما يحدث في بوداست
تطعم شعب بأكمنه إلى الحرية يجده بعنف دموي
قال «أنطون» في انزعاج

- «فاكه»! أنا أبصّ لست شبيوعياً، ولكن ليس من الضروري أن
أحفظ العاوين الرئيسية في الجرائد عن ظهر قلب

- طبعاً، لأن سيادة الدكتور يستطيع أن يعبر عن أفكاره نفسه!

لا تؤاخذني على أنني لست بمستوى ذكائك المتفدا الساس هاك

يعتل بعضهم بعضاً، هل هذا أفضل؟ ماذا تظن أن المعوصيين

السياسيين يعملون هناك؟ الآن تُرتكب مداخل جماعية، أم أنك

لا تظن ذلك؟ ألم تقرأ ما نشرته جريده «هيت مارول» عن

المطاعات التي يرتكبها الجود المعوليون هاك؟

ردد «أنطون»

- الجود المعوليون؟ ما الذي تقصده يا «فاكه»؟ أجداء الدور

عنى لمفوبيس لأن يبدو بالعبارات السامة؟

قال «فاكه» وهو يرمق «أنطون» نظرة تم عن أنه يجب أن يتوحي

الجلد في أفواه

- لا، يا ابن الكلب! لا أعرف ما لذي تريد الوصول إليه، لكسي
 أستطيع أن أقول لك إن والذي كان على حق في رايه بالشيوخ
 على كل حال كن ما تسمعه الآن، كان يقوله هو دائماً في ذلك
 بوقت لم تكن مصادفة أن قتله أولئك الشيوخيون لأوعاد
 أنفسهم كانوا هؤلاء لأوياس أنفسهم الذين برهم الآن على
 استطع بحودات على رؤوسهم لقدرة وأنت تدافع عنهم،
 يا لمحب! كنو يعرفون أن الرد سيكون الانتقام، ومع ذلك
 أطلقوا اسر عليه أمام مريك، من دون أن يهجموا بأي شيء،
 ولا لكلموا أحدهم انتس بإحدهم الجثة ذلك لم يعجل بهمة
 نحرب حتى ثانية واحده

نهض عن مقعده، وانجه بكأسه صوب الطاولة لصغيرة
 لموصوع عنده موقف العدر، والتي وضع عليها «أنطون» رجاجة
 كبيرة لمفتوحة في تلك اللحظة لاحظ «أنطون» أن المدفأة
 لم تشتعل بعد، فقام هو أيضاً من مجلسه، وشق قطعة ورق من
 حريده، وأشعل انار فيها، وألقاها على طفة الوقود السوداء
 المملثة صب نفسه كأساً أخرى من السيد، ولأن «فاكه» لم يعد
 إلى مجلس، فقد بقي هو أيضاً واقفاً نصعدت من لشارع أصوات
 صراح وصغارات لإنداد مرة أخرى

قال «أنطون» وهو يمسك عنقه بيده الفارعة

- أهلي لم يقتلهم اشيوخيون، بل قتلهم أصدقاء أبك
 - ولكن أولئك اشيوخ عيس كانوا يعرفون أن ذلك سيحدث
 - لذلك هم السب في

طعاً، وإلا من إذن؟

قال «أنطون»

«هاكه»! أستطيع أن أنعمهم رعتك في الدعاع عن أبيك، فقد كان
أناك في نهاية الأمر ولكن لو كان أبوك أبي، ولو عكسنا الحالة
كدها، فهل كنت ستدفع عنه أيضاً؟ دعاً! لا تصحح على بعض
وسمي لأشياء بأسمائها، لشيوعيون قتلوا أباك عمداً، لأنهم
كانوا على قناعه بأنهم يجب أن يبعدوا ذلك أما أهلي فقد قتلهم
لعدسيون نعتفاً، لعاشيون انديس كن أبوك واحداً منهم أليست
هذه هي الحقيقة؟

استدرك «هاكه» ربع استدارة، وبقي واقفاً يظهره إلى «أنطون» من
دون أن يحرك ساكناً، وقد نحى بقمته بعض الشيء.

هل تريد الادعاء بأن أبي كان السبب في مقتل أهلك؟

أدرك «أنطون» أنه يعبر الآن انتباهه لكل كلمة من كلماته.
نظر في امرأة العالمة ذات الإطار المنقوش، المعلقة فوق رف
المدفأة، التي شترها من سوق السلع لمستعملة بعشرة فلورين
ليصفي حجماً أكبر على عرقته، فرأى على صمحتها البالية «هاكه»
وقد أعلق عييه

سأله «أنطون»

لماذا لا تستطيع أن تحب أباك من دون أن ترر سلوكه؟ أن
تحب قديماً ليس بالأمر الصعب إنه مثل حيك للحيوانات
بماد، لا تستطيع أن تقول بساطة «أبي كان على خطأ عظيم،
لكنه كان أبي وأنا أحبه على الرغم من كل شيء»؟

لكنه لم يكن على خطأ، اللعبة على الأقل، ليس بالطريقة التي
تقصدها أنت

قال «أنطون»، موجهًا كلامه إلى ظهر «فاكه»

«ويكر لو فترصد أنك توصلت إلى يقين تام بأنه ارتكب أفعالاً

فظيحة لا أدري أية أفعال بالضبط لك أن تحيل ما يحلو لك

أما كان لك أن تحبه؟

التمت إليه «فاكه»، وحده بظرة حافظة، ثم راح يدرع نعرفة

دهاباً ورياءً فابعد برهة يسيره

«على خطأ على خطأ» يعبرونه بأنه كان على خطأ، لكنهم

في الوقت نفسه يفكرون بالطريقة نفسها التي كان يفكر بها عن

شيوعيين أصعب إلى ما يحدث في الشرع! هل تستطيع أن

تخبرني فيم يختلف عن الحجة شرعية؟! أما ما حدث لليهود،

فهو لم يكن يعلم به، وهم يعلم به فقط لذلك لا يستطيع أن

تلومه على ما فعله الألمان بهم كان يخدم في شرطه، ويؤدي

ببساطة واجبه كما هو مطلوب منه قبل انحراب أيضاً، كان يعني

الفصل على لباس من دون أن يعرف انحصار اندي يؤوبون

إليه نعم كان فاشياً، لكنه كان فاشياً فاصلاً، وعن قاعه كان

يرى من الضروري أن تتغير الأوضاع في هولندا، وأن لا تعود

إلى ما كانت عليه في عهد رئيس الوزراء «كولاي»، عندما كان

يُحبر عن إطلاق الرصاص على العمال لم يكن يسير مع التيار

شكل أعمى كما يفعل معظم الهولنديين ثم هل يستطيع أن

يقول لي لو أن هنتر انتصر في الحرب، كم من الهولنديين كانوا

مستمرون حتى الآن مانفتان صده؟ لا تدعي أصحك يا رجل!
فعدما بدأ هتلر بهرم، أصبحوا كلهم بقدره قادر مقاومين كل
أوث الجبء

بدأت أصوات فرقعات مكتومة متواترة تبعث من بعداء، التي
كان كثير من لوفورد قد وصل إلى مقرها ألقى عليها «فاكهة» نظرة
بحير وقال

- إنها لا تبيع بحير

لكنه لم يحرف عن مسار موضوعه مضى إلى سافدة، وجلس
على حافته وهو يمسك كأسه بيديه الاثنتين وقن

- هل تعرف متى انتسب أبي إلى الحركة النازية؟ في ستمبر
١٩٤٤، بعد «الثلاثاء الهائج»، عندما تبين أنها قضية حاسرة،
وهرب كل أوث الفاشيين لمافقيس إلى ألمانيا، أورا حوا
مدعون فجأة بأنهم كانوا دائماً من المقاومين في ذلك الوقت
رأى أبي أن بوسع يطلب القيام بعمل جدي، هداماً أحبرتا
به أبي مراراً وتكراراً لفاعته تلك اعمالوه، ويسر بسب
آخر، وبذلك كلف أهدت حياتهم بولم يفعلوا ذلك، فكان
أنوك وأملك الآن من لأحياء ولربما كان أبي قد أمضى
صنع سموات في السجن، وعاد منذ زمن طويل إلى عمه
في سنك الشرطة

بعض عن مقعده ومضى إلى الباب، ونقر على بضعه مفتاح من
الأوتاد الأوسط امتزجت السمات مع فرقعات المدفأة، فتشكل
مربح، ذكر «أنطون» بسمفوريات «سرافيسكي» لقد فاقمت كل

كلمة من كلمات «وكة» من صدع رأسه كيف يستطيع لمرء أن يعيش في مثل هذه الكدنة؟ لست هو انحب، لحب الذي يُعني المرء عن أخطئه من يحب

قال

- وأن أسمعك تتحدث على هذا النحو، أصلك ترى أن اسم أبيث

كان يجب أن يكتب على ذلك النصب التذكاري

- أي نصب تذكاري؟

- ذلك النصب المقام على رصيف لقعة عدنا

- وهم يقوم هناك نصب تذكاري؟

- أجل، عرفت ذلك مؤخرًا اسم أبوي وأسماء الأسرى التسعة

والعشرين مكتوبة عليه أكان يجب أن يكتب عليه اسم «فاكه

بلوح، أيضًا؟

نظر إليه «فاكه» وأرد أن يقرب شيئًا، لكنه نشح بالسكاء فجاء

كان شبحه يبدو وكأنه يصدر عن شخص آخر يستخدم جسده بهذا

العرض محسب، قال «لجنة» ولكن لم يكن واضحًا أقال ذلك

ردًا على كلام «أبطون»، أم توبيخًا لنفسه على مكانه

- عدمه كانت النار تصطرم في بيتك، وصلنا بحر موت أبي. هل

حدث وفكرت بهذا لأمر؟ أنا فكرت بما حصل لك، ولكن

هل فكرت أنت بي؟

واستدار إليه نصيب ستدره، ثم عاد فوقف في وضعه السابق

نفسه مرر يده على عييه بيأس، وأمسك بالحجر بعنف نظر حوله،

ثم نظر، لى «أبطون» الذي رفع در عيه إلى وجهه وصاح:

«فاكه»!

لكن «فاكه» خرج عن طوره، وقذف الحجر على المرأة تكوم
«أنطون» على نفسه استطاع وقد أشاح بوجهه أن يرى الرجاح وهو
ينكسر إلى رفائق كبيرة تتساقط على عطاء المدفأة، التي بدأت تتعالى
منها أصوات ملقطة حميمة، وتنشظى عنه وقع الحجر على رف
المدفأة في دوي هائل واستقر عليه. بينما «أنطون» يطر إلى الحطام
بقلب حافق، سمع وقع أقدام «فاكه» وهو يهبط السلم بسرعة

ارلقت قطعة الرجاح الأخيرة من إطار المرأة، ونهشمت بصحبة
هي الأخرى. بعد ذلك مباشرة دوى صوت انفجار مكتوم من المدفأة،
فانقلع عطاؤها إلى الأعلى بمقدار حصة متبجترات، وانطلقت
منها سحابة من السحام طوق «أنطون» رفته بيديه مشاكاً أصابعه
عصها بعض، ونعس نصفاً عقيقاً راوده إحساس بأنه يوشك على
الانفجار بالصحن المرأة الممهشعة، والمدفأة المستفضة، والصراح
في الشارع، لكنه لم يقدر على ذلك من شدة الألم في رأسه. ياله من
هراء! تنشر السحام في العرفة كلها، فأدرك أنه يحتاج إلى ساعات
طويلة حتى يتمكن من نظيفها

سمع وقع خطوات «فاكه» وهو يصعد السلم من جديد، فأدرك في
تلك اللحظة أنه لم يسمع صوت إغلاق الباب بحث بحركة تلقائية
عما يستطيع اندفع به عن نفسه، فأمسك بمصيرب التنس الحاصر به
ظهر «فاكه» في فتحة الباب، وألقى نظرة سريعة على حرات الغرفة
فان

- أريد أن أقول لك إنني لن أنسى أبداً ما حدث في الصيف

- وما الذي حدث؟

- حين دخلت إلى الصف، وأما حائس في بدلة القروود تلت

- يا إلهي! نعم، أتذكر ذلك!

تردد «هاكه» لعله أراد مصافحة «أبظون»، لكنه اكتفى برفع يده
في بحر الأمر، وهبط السلام من حديد. بعد برهة قصيرة تراسى صوت
إغلاق الباب.

أحال «أبظون» بصره فيما حوله كان ستار من الشحم قد
تشكل على الأغراض كلها؛ على الكتب والسدسيات هو الأسوأ
على الإطلاق، من حسن الحظ كان عصاء الليانو معلقاً. كان
يجب عليه أن ينظف العرفة أولاً، سواء أكان يعاني من ألم راس
أم لا يعني أراح المسارة إلى جانب وفتح النوافذ على مصاريحها
بيما الصوصاء تفتح العرفة، وقف يطر إلى شطاي الرجاح كانت
جهتها الحلبية ذات لون أسود باهت. لم يكن قد بقي من المرأة
سوى إطارها الذي تبرر منه بصع شطاي حادة، ولوحتها الحلبية
داب اللون السي العامق، «لبي ألصق عليها ورق الحرائد ذات
يوم، وأمتع القسم الأكبر منها فيما بعد كان الملاكان المدهبان،
نظفهما من العاكهة وديليهما المصنوعين من أوراق شجر مجمدة،
ما يرالان ينظران إليه من فوق بنظرات ملائكية لم تتغير. لا بد
أن يتخلص من هذا الحجر أولاً، حتى إذا اضطج إلى رمية من
النافذة، من يلمت «نشاء أحد سار بخدر شديد كي لا يتزحلق على
الزجاج المتناثر على حصيرة القش، حتى إذا ما بلغ روف المدفأة،
وقف وهو يحمل الحجر في يده، وقرأ سطرًا مكتوبًا بالإيطالية

على قصاصة الجريدة الملتصقة على لوحة المرأة في الثاني من يوليو عام ١٨٥٤، أقيم حفل ديني مهيب في كنيسة القديسة مريم، أم المعونة الدائمة.

لو لم يقرأ هذه القصاصة، لما عرف بهذا الخبر قط

الجزء الرابع

١٩٦٦

بالسة إلى الحب أيضًا، كان يترك الأمور تأتي كما يحلو لها أن تأتي كانت الغيتاب اللاني بأنيس لريارته ويجلس على لكبة ذات الحشو الهابط، عادة سيفان مصمومة إلى أحصاهن، يتغيرن كل بضعة أشهر في كل مرة كان عليه أن يشرح عمل السدية، لكنه لم يكن يعمل من إعادة الشرح على الإطلاق كان بطريقة أو بأخرى مفتونًا بثلث الآلات لتحسية لرابعة ذات المر يا الصغيرة والأقواس المدرجة وانعظير الصغيرة التي تُرصد بها السماء والجوهر في الليل. في أغلب الأحيان، لم يكن يفهم من الشرح شيئًا، ولكن ما كثر يفهمه دائمًا هو الحب الذي يشرح به عمل هذه الآلات، والذي ينس منه حبيبًا. أحيانًا كانت الككة تنفى حالية بضعة أسابيع، الأمر الذي لم يكن يرعجه كثيرًا، لذهب إلى الحانات لالتقاط إحداهن لم يكن من أساليبه.

قدم مشروع بحرجه في سنة ١٩٥٩، وحين حصل على إجازة في انتحدير، استأجر شقة بمساحة أكبر وإضاءة وميزة، بالقرب من مساحة

«لا يدسي بلاين» أصبح منذ ذلك الوقت يعني كل صاحب مصنع منار من الأمطار للوصول إلى مستشفى «فيلهيلمينا» الذي سُمي مؤقتاً أثناء الحرب، بمستشفى «الفيستر». كانت شوارع المجمع الطبي الضخم تزدحم دائماً بسيارات الإسعاف، والرائدين، والمرضى الذين بدأوا بمشور بصح خطوات وقد ارتدوا معاطفهم فوق بيجاماتهم المحططة كان الأطباء يسبرون من مسى إلى آخر في معطفهم البيضاء المتهدلة، من بينهم «أنطون» وقد أمام رأسه على كتفه قليلاً، ويلقي شعره إلى الوراء بين الحين والآخر وهو يتهاذى في مشيته بعصا الشىء، الأمر الذي كان يلفت أحياناً انتباه الممرضات العابرات إليه وينير وداهدن، فبشي بهن المعطف عادة على كسبة بيته اضطر عدة مرات إلى لمور بالقسم الذي كُتب عليه «المستشفى الميداني» بالألمانية أثناء الحرب، نكن تفكيره بـ «شولتس» الذي حُمل إلى دوحه جريحاً أو متأقلاً مرور الوقت

التي مروحتة الأولى عام ١٩٦٠، أثناء قصائه لإحارة أعاد الميلاد في لندن في النهار كان يتحول في المدينة، ويشترى ألسة في شارع «ريجت ستريت»، ويرود دكاكين أدوات الملاحة الفلكية القديمة التي كان يعرف عددًا منها حديق المتحف البريطاني، وفي الليل عالتاً ما كان يذهب لحضور الحفلات الموسيقية، في ذلك الوقت كان يرى كثيراً من الرجال نقعات البولر والمظلات المطوية، حتى عندما كان يرتاد المطاعم لتساو العداء، كانت المشاحبة تدع بهذه الأشياء العريضة على نفسه هي ظهر يوم ماطر، عدى كان يهيم على وجهه، ووجد نفسه في شارع «وايت هول»، بين تلك المباني

الصحة المهيبة، حيث يقوم «لحيالة» بعرص رقصات غير معهومة
مثل ديكة منحتره، قرر أن يدخل دير «وستمستر» الذي لم يكن قد
رأه من قبل

كان اندير يعج بالنسيح لأجانب والرائرين من المناطق القريبة.
كان قد اشترى دليلاً سياحياً ذا لون أحمر بنفسجي يجده المرء في
بجترا وحده، وفي كل أرحائها فقط في صحن الكيسة حتى مدخل
منصة الكورل، كانت الخريطة تشير إلى وجود مائة وسبعين قبراً
من قبور الحبة من أثناء الوجود خلال ستة قرون، عما كان منه إلا أن
أعلق الكتيب كانت لمسحونات والكتابات المنقوشة مشتهرة في كل
مكان، على لأرض، وعلى لجدران والأعمدة التماثيل والأصراحة
مصنوعة في أمكنة العبادة مثل قطع أثاث معروضة في مراد علي من
المرجة الثانية هي المعبر الصيق الممتد على طول منصة انكوران،
كان لأموث راقدين في رتل أحادي، مثلما يرقد المرء أحياناً على
الغالات في الممر عد صالات العمليات، ولكن هؤلاء راقدون على
ظهورهم، في نوايت من لرحام، وتحت تحديد أيدي تحيل كيف
سيكون «وصحها يوم القيامة، عندما يُبعث هؤلاء كلهم من قبورهم
ويأخذ بعضهم بالتعرف إلى بعض، هذه المنات من الأبطال والسلاء
والعائنين أكثر اسحب رقيباً في المملكة المتحدة

كانت العائلة المالكة راقدة خلف المذبح الرئيسي بين هذه
الحموع من المموث والملكات كان الناس الذين لم يحفظوا بالرقود
هنا فقط يسرون ببطء، وقد توقفوا عن السير عند «كرسي التتويج» من
شدة ابرحام، لقد افترس «أنطون» بهمة يهد العرش الذي شهد تتويج

ملوك المملكة المتحدة كلهم تقريباً منذ بداية القرن الرابع عشر وهو عرش أثري من حشب البلوط، محلى بنقوش بسيطة، ومسد ظهره حاشى بالحروف الأولى من لأسماء التي نُقش فيه في قرون من القرون، ولم يُرسم إطلاقاً من مبدأ الحفاظ على التراث، ونحت مجلسه الخشبي حجر كبير: «حجر المصير» فتح «أطون» دليله من جديد. كان «حجر المصير» وسادة النبي يعقوب، وقد وصل إلى بيرلندا عن طريق مصر وإسبانيا في القرن الثامن قبل الميلاد، وسبع بعد ألف وأربعمائة سنة استكونت لهذا، ثم انتهى به المطاف في إنجلترا، حيث يمكن رؤيته في هذه اللحظة في هذا المكان. مثلما توجد الحقيقة للملوك الراقدين حوله في مسرحيات «مكسبير» وحده، هكذا مدت الحقيقة الجوهرية لهذه الأساطير عن الحجر فقط عندما كان لا يزال لديهم المجد ليس بالعرش دم منكبي فعلاً، كان الحجر يتأوه أثناء تنويحهم عليه، وإلا فلا انصهر «أطون» بالصحك وقال بصوت عالٍ

.. وهو كدنت!

مسأله فنة كانت تقف إني جواره.

.. ما هو؟

نظر إليها، وفي تلك اللحظة حُسم كل شيء.

كنت بطرنها، نظرة عيها، وشعرها انكسنتاني الشيت السمك
 كاتب تدعى «ماسكبا دحرف»، ويعمل مصيعة لدى شركة الطيران
 الملكية الهولندية بعد أن رازا معاً جناح «راوية لشعراء»، راقها
 إلى مقصدها كان عليها أن تذهب إلى أحد نوادي «سانت جيمس»

ثاني بولده من هناك كان والدها يذهب كل سنة في أعياد الميلاد إلى بلد لرباره أصدقائه من زمن الحرب عندما وصل إلى ميسالدي، وافقا على موعد في أمستردام، بل أحد العجالات السلم، وركب سيارة كانت تنتظره سائق عسكري.

بعد نقضاء أسوع، أثناء لقائهم الأول في بهو فندق «ديس» بديس، في لاهاي، عندما سأله السيد «دحراف» بأسلوب لبق عن عائته، أحاب «أنطون» بأن والده كان سكرتيرًا في المحكمة الابتدائية في «هارلم»، ونكر والديه كليهما قد ماتا منذ زمن بعيد لم يجر السيد «دحرف» نقضه إلا بعد مضي ستة شهور، في عصر يوم حار حانق، في أثينا حيث كان والد حبيبته صغيراً فيها بعد أن أصمى السيد «دحراف» إلى قصصه، لرم الصمت وألقى باظره عبر حل العرفه إلى لحديقه انراهية، التي تعرج منها رائحة طيبة، ونصح بهجس الحد حذ، وتقوم فيها بامورة صعبة يدفع منها الماء في هدير كد ياد في ستره بيضاء يحدث ريباً بعكسات الثلج على مصططها، حيث يجلس «سكيا» وأنها في الحد كان يلوح من خلال أشجار السرو والصوبر معبد «أكروبوليس» كل ما قانه البعد «دحراف» بعد مصي نضع دقائق كان

- حتى الحبر يطوي على جسد من الشر في هذه الدنيا لكن الحجاب الآخر موجود أيضاً

كان هو نفسه عضواً في الهيئة المركزية لحركات المقاومة أثناء الحرب، وقد حولته وظيفته تلك لأن يكون على اتصال مباشر مع حكومة الصمى في لندن لم يكن هو الآخر يتحدث كثيراً عن تلك

الحقبة ما كان «أنطون» يعرفه عنه، إنما سمعه من «ساسكيا»، التي
لم تكن تعرف سوى نصف الحقيقة، لكنه لم يكن يحتاج إلى معرفة
كل شيء عنه. ربما كان يوسعه أن يقرأ عنه هي تحقيقات «اللجنة
البرلمانية لتقصي الحقائق»، لكنه لم يفعل ذلك.

تروحا بعد انقضاء سنة على لقائهما الأول لم يحضر حاله حفلة
لرفاف، فقد كان حادث مرور أحرق قد أودى بحياته. بعد رواجه
برمن قصير، حصل «أنطون» على عقد عمل ثابت، فاستطاع بمساعدة
صانية من السيد «دجراف» شراء بيت صغير في المنطقة نفسها، خلف
مبنى الحفلات الموسيقية.

في بداية يونيو من سنة ١٩٦٦، أثناء موجة حر شديدة، كانت «ساسكيا» متجهت لحضور حفرة أحد أصدقاء والدها، صحفي بارز تعرفه منذ أيام الحرب. سألت «أنطون» عما إذا كان يرغب في الذهاب معها، وعندما استطاع الحصون على حافة ليوم واحد من عمله، أورد بدوره أن يصطحب سنهما «ساندر»، التي كانت في ربيعها الرابع سأله «ساسكيا»

- هل ذهبتها ضروري يا «طون»؟ الموت لا يعني شيئاً للأطفال فأجاب:

- لم أسمع بمثل هذا لقول السحيف من قبل!

بدت، جانته أقصى مما أراد، فقدم إليها اعتذاره وطبع قلة على حدها قررا الذهاب إلى لشبوع بعد انتهاء الشيع.

كان واند زوجته، لدلع من العمر ما يلمح لقرن، قد أحبل إلى التقاعد لثوه، ويقيم في مزرعة في مقاطعة «خيلدرلاند». كان يوي أن يأتي بالسيارة إلى الحفلة. اتصلت به «ساسكيا» وطلبت منه أن

يأتي لاختباء فجاء من المجهول ثم يأخذهم معه لكنه أجاب بأول جواب خطر في باله مثل إنسان ريفي أحرق لى برو حتى حاله في أمستردام، مد، يظنون، أحب أن يأتي لكي تهاجمه عصابات «البروف»^(٥) صحك عندما قل ذلك، لكنه لم يأت، مع أنه كان قد واجه في حياته من لحدوث ما هو أكثر خطورة

كانت الجارة تقام في قرية شمال أمستردام ركوا السيرة على أطراف لمرية، وذهبوا سير على الأقدام إلى الكيسة الصغيرة، و لمرق ينصب مهما في ثيابهم انداكه، أما «سندرا» امرئيه اللبس الأبيض قدم ترعجها الشمس كنت مساحة لقرية تعج بالناس، معظمهم من لرجال ولـاء لمسبين لذين يعرف بعضهم بعضاً كانوا شادبون لنحية، ليس بحرن وأسى ورم ص حكي، ويسرفون في حنصن بعضهم بعضاً كان هناك العديد من لمصورين وصلت ساره «كاديلا» سوداء كبيرة، و برل منها وير كان في لأونة الأخيرة يظهر كثيراً في الأحبار المتعلقة بأعمال انشعب في أمستردام أحد لنامن يحيونه هو أيضاً بانقلاط ولثريثاب على الكتف

قال «أنظرون» لآله

هؤلاء ناس كلهم قاتلوا صد الألمان

فقلت «سندرا» موجه يسم عن أنها على دراية تامة بالامر

- في الحرب

(٥) حركة ثفايه «صداقة سباب شطط في هولندا بين ١٩٦٥ و ١٩٦٧» (الترجمة)

وعذلت رأس دمينها بحركة حاسمة

رافب «أنطون» الجميع وحساس من «الهيجان» يحتل في صدره
من دون توقف لم يعرف أبًا مهم، أما «ساسكيا» فقد ألقت النجبة
على عدد من الأشخاص الذين لم تعد تذكر أسماءهم حسرو هي
الصف الأخير في الكنيسة لبروتستانتية المقصرة من التعاقيل، التي
كان العرف على الأرض قد شرع فيها عندما تحمل التوت إلى داخل
كنيسة، بهض النجمع عن مقاعدهم، ولف «أنطون» ذراعه حول
كتفي «ساندرا»، التي سألت بصوت هامس هل السيد اسبت يرفد
في البابوت سرب الأرملة مناةطة ذراع لسيد «دحراف»، حربية
طبعًا، وهي تومئ إلى المشيعين من حين إلى آخر بإيماءة خفيفة
وابتسامة باهتة

دبت «ساندرا» بصوت عالٍ فحاة

- جدي

عطف جدها رأسه نحوها وعمر لها عمرة نعب دهبًا إلى نصف
الأمامي وحلسا إلى حد بورير

رأى «أنطون» عمدة أمستردام أيضًا القى قيس مشهور، كان
قد أمضى سنوات طويلة في معسكر اعتقال، خطبة التأييس لشدة ما
كنت مدحرج كلماته طويلة ومنراحية، رفعت «ساندرا» عينيها ضاحكة
إلى أبيها، وبدا وكأنه هو أيضًا قد اكتسب مهاراته الحظية بالتعلب
على ثأنة لسانه، مثل الحظيب «ديموستيبس»، الذي كان يتدرب
على إلقاء الخطب مع مليء بالحصى يسما «أنطون» يصعي إليه
بأذن و حدة، صدم من رؤية وحه امرأة من اجانب، جللسة على بعد

بصعة صفوف إلى الأمام، على الطرف الآخر من الممشى الأوسط
تمثلت لعبية لسب أو لآخر صورة سيف معرور بصفه الحد في
«عشب لقد بلغت صدمته هذا الحد لا بد أنها كانت تلعب من العمر
بحر الحامسة والأربعين، كان شعرها الداكن، المستفش بعض الشيء،
قد بدأ يشيب في بعض الأماكن

نصحو إلى الصفوف الخمسة من موكب انتشيع الذي بدأ بالسير
إلى المقبرة الواقعة جنب الكنيسة. أثناء هذا المشور انقصر في
الشارع ثم على طريق مروش بالحصى، عاد الجميع إلى تجدد
أطراف الحديث، أحد بعضهم يلوح لبعضهم الآخر، وراح بعضهم
يسير على عجل إلى الأمام أو إلى الخلف ثم تكرر حجارة فقد
ما كانت لم شغل للأصدقاء

قالت «ساسكي»

- لقد اتأم شملهم من جديد

- أتمنى أن لا يعرفوا أنهم محتممون ها

- من تقصد؟

- الألمان طبعاً

- اسكت، أرحوك!

عاد المصورون يبحثون عن لوحوه المعروفة، ووقف أهل القرية
على الطرف الآخر من الشارع يتفرسون فيها، كان يبدو على بعضهم
أنه يترك لأول مرة أهمية الشخص الذي عاش بينهم تلك السنوات
الماضية كلها كان لصية على درجات مارية يراقبون الموكب
بوحوه ساحرة، لكنهم أطفأوا محرقاتها بداوا صحا أن هؤلاء الرجال

والساء، الذين يعرج البعض منهم، لهم من الهبة ما يجعلهم يحافظون
على الهدوء

- بابا؟

- نعم؟

- ما هي الحرب؟

- مشاحرة كبيرة يعني إذا أردت جماعتان من الناس أن تقطع
كل منهما رأس الأخرى.

قالت «ساسكيا»

- يس إلى هذا الحد؟

فسألها «أنطون» بصحبة

- أو نظير ذلك؟

في المفرة تشكلت حلقة كثيفة من الناس حول القصر، فلم يستطع
آل «ستيفانيك» رؤية أي شيء مما يجري بدأت «ساندرا» تشعر
بالملل، فأمسكت «ساسكيا» بيدها وأخذت تتحول بها في المكان
سمعتها «أنطون» من ورائه وهي تقرأ العبارات المنقوشة على الشواهد
وشرحها لـ «ساندرا» كان يرفع وجهه إلى الشمس الحارقة بين الغيمة
والأخرى، غير مبالي بالتصاق ملبسه بحمسه لم تنوقف الأحاديث
الحارة في الصفوف الأخيرة إلا عندما بدأت الأرملة نفسها بالحديث،
لكن كلماتها صاعقت في مساء اليوم الصيفي من دون أن تبلغ مسمعيه.
لا بد أن الطيور المحنقة في السماء تراهم محتشدين في هذا السهل
مترامي الأطراف، متحلقين حول هذه المحفرة لصغيرة السوداء في
الأرض، مثل عين كبيرة محدقة في السماء

في منزل الأبرشية وقعوا في نهاية صف المعري، وبعد أن استطاعوا أخيراً أن يقدموا تعازيهم للأرملة، ساروا بين السبورات المتأهبة للمعادرة صوب المقهى الواقع على الطرف الآخر من الشارع كانت الطاولات الموصوعة خارج المقهى قد شعلها أهل القرية، وكان داخل المقهى أيضاً قد اردحم اردحاً شديداً كان الناس قد احتشدوا بجانب البار، وسحوا الطاولات بعضها إلى بعض، وفكوا ربطات أعناقهم، وخلعوا ستراتهم، وتعالّت أصواتهم بطللات البيرة والقهوة والسدويتشات كان صدوق الموسيقى يصدح بأعنية «ستريجر إن د نايت» كان النورير موجوداً أيضاً، ويتحدث مع عمدة أمسردام وهو يحريش شيئاً من الجهة الحلفية لعلنة السبحار الحاصه به كان كتاب باردون موحودين أيضاً، وحتى رعيم حركه «لروغو» ذو الصيب لسيى حين اقترح «ماسكيا» أن يذهبوا إلى مكان آخر، دخل واندها بصحبة حوايي سبعة رجال كان «أنطون» يعرف بعضهم من الوجه فحسب، ومضى معهم إلى طولة كبيرة في الجهة الحلفية من المقهى، لديها كانت محجورة لهم من الواضح أن روحته كانت قد ذهب مع الأرملة وعائلتها إلى منزل لفقيد حين رأى آتته و«أنطون»، أوماً لهما في طريقه إلى مكانه

تألق نجم السيد «دخراف» حين جلس إلى الطاولة مالئت أن أطلقت ثلاثة أحاديث في الوقت نفسه، وفي أحدها أحد يدافع عن نفسه، من دون أن يؤثر ذلك على مرجه، الأمر الذي يعير من يعرف أنه ممسك برمام الأمور بحسب إليه رجل ذو دؤابة شقراء وحاجين

أكثر شفقة، وقد له إنه قد أصبح عجوزًا أحرق بالفعل كيف يمكن أن يحظر في ماله أن يشبه حبة التحرير العبتامية بالزيس؟ نس بشيء إلا لأنه يرى الأمريكان هم الأمريكان أنفسهم الذين كانوا في لماسي مع أن الذين تعبروا هم الأمريكان ويجب أن يشبهوا بالزيس أنكأ أسجد «دحراف» إلى ظهر الكرسي ضحكًا، وأمسك حافة الطاولة بيديه لاثنتين ودراعه ممدودتان، هذا بانر حليس الحالسبين إلى يمينه ويساره أن يميلًا أيضًا إلى الوراء، هذا، وهو جالس هناك شعره الأبيض النحيف وقصات وجهه البيلة، مثل رئيس لجه معوصين

قال في استعلاء

- يا عزيزي لمحترم «باب»

لكن «باب» قطعه على العور

- لا تغل لي إنني سبت أن الأمريكان حرروا.

- لم أكن أنوي قول ذلك

- أشرت في هذا على أنه حال أنا سم أنس أي شيء، بل أنت نسبت

أمرًا.

فسال «دحراف» سحرية

- وما لذي سبته يا ترى؟

- سبت أن الروس حرروا أيضًا، على الرغم من أننا لم نرهم في

شوارع الروس هم الذين هزموا «نحش الألمانية»، وهم الذين

ما يزالون يقومون على الطرف الصحيح في فيتنام

قال الرجل، الحالس خلف ذراع «دحراف» ابسرى، سرقة ماردة

- ليشنا نترك هذا النوع من النقاشات للأحرار.
قال «باب».

- ولكن أليس هذه هي الحقيقة! الروس تحلصوا من استالينية،
لكس الأمريكان صاروا يرتكبون مجازر بحق الشعوب.
ارتسمت انتمامة متكلفة تحت الشارب الأسود للرجل الجالس
حلف اندراع اليسرى، انتمامة تشي بأنه يوافق «باب» في الرأي، لكنه
يرى مع ذلك أنه يحوص حداً لا طائل منه
قال «دحرف» سيرة راصية مانجاء «أنطون».

- كلهم شيوعيون قدرون من خيرة الرجال!
فاتسم له «أنطون» من الواضح أن هذا النقاش كان لعبة تلهوا
بها كثيراً من قس
قال «باب».

- نعم، نعم من خيرة الرجال انكث يا «حيرت»، منذ سنة ١٩٤٤
لم تعد تعادي لألمان، بقدر ما عاديت خيرة الرجال هؤلاء
كان «أنطون» على يقين تام من أن والد زوجته لا يدعى «حيرت»،
بل «جودهريد ليونولد حيرومي» نذاو صكاً أن المجتمعين هما مارالوا
يدعون بعضهم بعضاً بالأسماء الحركية التي كانوا يستخدمونها في
رمن المقاومة من الطبيعي إذن ألا يكون «باب» هو الاسم الحقيقي
له «باب».

نظر السيد «دحرف» براءة إلى «باب»
- وما الذي كنت تتوقعه مني؟ كان الألمان قد انهزموا في ذلك
الوقت، أليس كذلك؟

ويهب انشامته بمص الشيء
- أكان عليا أن يدل دكتاتورًا بدكتاتور آخر؟
قال «ياب».

- أبله!

- يجب أن تشعر حيالنا بمرقان الحميل لو فعلت ما كنت
بصد فعله في سنة ١٩٤٥، لما فصلت من الحرب فحسب،
كما هو حالك الآن، بل لحكم عليك السالبيون بالإعدام
أيضًا، لا سيما أنك كسب في ذلك المركز، مثلما حكموا في
تشيكوسلوفاكيا على «رودولف سلاسكي» أنا كنت في براغ
أثناء تنعيد الحكم العسل في بغائك على قيد الحياة يعود إلى
السلطة العسكرية.

وحين بقي «باب» صامتًا

- فأد تقصي حياتك كلها رئيسًا لعريق كرة قدم على مريلة التاريخ
أفضل من أن تكون ميتًا، أليس كذلك؟

شابت الرجل الصخم «بحال» على الطرف الآخر من السيد
«دحراف»، وهو شاعر مشهور يتجلى تعبير حبيث في عييه
الحولاوين، شابك دراعيه فوق صدره، وراح يصحك قنلًا
- أظن أن الحديث يأخذ منحى مشوقًا

قال «ياب» رافعًا كتفيه.

- أرتظر ذلك! فتعلم أنه يستطيع دائمًا أن يمحسي بحججه!

سأل السيد «دحراف»

- هل تعرف الأبيات التي كتبها صديقنا الشاعر «شورد»؟

وراح يلقي الأبيات رافعاً سابته في الهواء.

إذا استكان شعب للطعنة

حسر ما يريد عن العسر والمحتاج

فقد أطفأ نور لحبة

فقال الرجل ذو الشارب:

- لا يسعى أن يُستخدم الشعر لهذه الأغراض، فهو يبرر من

حديد قصف لقري مقابل الدانم ولكن حسناً، فهذا يحدث

في آسيا على ذكر هذ الحديث، أنت أيضاً قمت بدور عريب

أثناء المشكلة الإندونيسية، فقد كنت «هد حسر» ها، حياة

فقد ها، أو شيئاً من هذا القبيل أظه شعراً رديئاً، لكن اسأل

رأي صديعائه

فقال لشاعر

- شعر لا قيمة له

- وهذا هو بيت لفصيد، فتلك العمليات العسكرية معها في

الهند الشرقية قد كنت «شورد» معه صنع سوت من حياته

في حين لم تكن أوصاع في هولند، في يوم من الأيام أفضل

مما وصلب إليه، مد أن فقدنا لسطرة على الهند الشرقية

فقال «دحراف» سيرة حلوة

- الفصل في ذلك يعود إلى «خطه مارشال» با عريري «هيك»،

لمساعدة التي قدمها ب الأمريكان، هن تذكر؟

- كانوا مدبيين سا، فلا داعي لأن شكرهم على ذلك الثروة

الأمريكية قامت تمويل من البنوك الهولندية، وكانت ثورة

منعمرة إنجيرية يا عريري «حيرت» ثم إننا سدد لهم ديون
«حطة مارشال» إلى آخر مست، بينما أشك في أننا رأينا مستًا
واحتمًا من تلك لأموال التي قدماها لهم في القرن الثامن عشر
فقار السيد «دحراف»

- فلتحرر عن ذلك

- أنا لست شيوخًا أنا همد العشية ولأن الشيوخية هي العدو
الأكبر للعاشية، فأنا أعادي من يعادي الشيوخية همد شيء. أكيد
سأل «باب» فجأة وهو يتقدم في مقعده.

- هل تعرف لماذا كن «دحراف» في المقدمة؟ وهل تعرف إكرامًا
لعيون من أسس ذلك الاستعمال كله؟ إكرامًا لعيون الأميرات
الصغيرات

نطق الكلمات الأخيرة بسرعة ثم عن أنه يهم استعراع ما هي معده
فقار «دحراف» وقد استعاد وجهه طامع اتاهي والاستعلاء
- أكيد!

- «شي نديء» متعصب لبعائلة المالكة! هذا أنت، ولا شيء
غير هذا!

قالت «اسكيا» لـ «أنطون» وهي تهصص عن مقعدها

- أنا داهية من هذا! لست بحاجة لسماع هذا! سأأفأك بعد قليل
ببما يهتف «دحراف» ضحكًا

- لقب شرف، لقب شرف!

تهصص «أنطون» عن مقعده. لمح من جديد لمرأه التي كان يطر
إسها في انكيسة قبل قليل وهي واقعة بين الحشود.

كان وقد روحته بصحكت في أثناء ذلك بصوت عالٍ، فقد وجد
فيه أحيرًا في وضع يشعر فيه بأقصى درجات سرور أحد يهتف
في مدافع وحماة

— ما تعرفون أنتم عن السحر الحمي للملكية! وأي شيء أحمل
وأسمى للروح من القصر الملكي «سوستلايك» في السماء
حين سمعت الصوت من لواءد كلها، وتأخذ سيارات «البحرير»
السوداء بالذهب والإدب، وتطلق الأوامر من فوق الساط
المشيبي لسادة يقفون سدلاتهم الرسمية وسيوفهم بلامعة،
السيدات يرفس في أثوابهن عطرية ومجوهراتهن المثلثة وهن
يرتفعن سلم المدخل، ويرحب بهن الصباط الشاب بوسماء من
العواصم لحرية في داخل القصر تتألق الثريات، ويطوف الحرم
بصحاف فضية عبيد كزوم أنكريسدان انمترعة بالشمانيا،
ومن حين إلى آخر قد تشمكت بظرة حاطمة من أحد الأمر «أر
لأميرت، وإن أر د الله قد تشمكت بظرة من جلالتها المعظمة
بفسها! وعلى مسافة بعيدة، حيث الأسوار التي تحرسها الشرطة
بمكرية، حيث يتساقط ردد لمطر، يعيش الشعب البائس
قاطعة الشاعر الذي رأى فل قليل أن ينقش بأحد منحى مشرّف
— بك تعي ما تقول! فبأحدك الشيطان! يا يسوع المسيح ألو كس
حقيراً مثلك، لما استطعت أن أكتب كلمة واحدة!

وتناثر بعض من اللعاب من فمه، وحط على ياقة بشرة سيد
«دحراف» ذات اللون كحلي، يس بعيداً عن وسام الشرف المعس
في عرونها

قال «دحرف»

- الأمر الذي سيعده النقاد البارون نعمة ترون على آداب وطن

قل «هينك» للشاعر المحترم

- لا تدعهم يرفعونك، يا رجل!

أخرج «دحراف» مبدل حبه، ومسح به قفاعات الرد البيضاء

كانت ربطة عنقه العصبية تبرر بعفتها إلى الأمام وتتوارى بإحساء

حملة تحت صدرته صحت «ياب» أما الرجل لجالس إلى الطرف

الأخر من الشاعر، وهو ناشر مشهور، فقد فرك يديه إحداهما بالأخرى

وقال بانتهاج

- ياله من يوم عيب!

قال «هينك»

- وذلك الشعب سائن، رمى مؤخرًا هي أمتردم القس اندحانة

على العائلة المالكة الأثيرة لديك

فقال «دحراف» باحتقار شديد

- هيس دحانية

تابع «هينك» محاطًا شخصًا يصف خلف «أطون»

- وذلك سيكتفك رأسك

انفت «أطون»، فرأى أن الدفء الذي أحس به هي رقبته طيبة ذلك

الوقت كان مصدره عجيرة الوري «الكلمية» المتينة. ساد واضحًا أنه

أنصب إلى حرء من الحديث، فقد قال

- ممكن جدًا

- وما الذي ستفعله؟

- سأشرب كأسًا أخرى

رفع كأسه في الهواء، وتبادل نظرة مع السيد «دحراف» ثم استند
على عقيقه

حيم الصمت على الطاولة فحاة بقي فقط الرجلان الجالسان
إلى جانب «أنطون» لأيسر يتحدثان على انفراد بصوت خافت، كما
فعلتا طيلة ذلك الوقت

في تلك اللحظة التقط «أنطون» هذه الحمله

- بينما أتجاوز على الدراجة الهوائية، أطلقت الرصاص على
ظهره أولاً، ثم على كتفه، ثم على بطنه

في مكان بعيد في نفس لماضي يتصاعد دوي المطلقات الست في
 البداية حذقه واحدة، ثم طلقان، مضيقتان أحريان، ثم طلقه واحدة
 تمثل بعينه والده وهي تنظر إني والده، ووالده وهو ينظر إلى انساب
 الجرار، و«بيتر» وهو يرفع عطاء مصباح انغار
 أدر «أنطون» رأسه إلى الرجل الذي كان جالساً إلى حواره طيبة
 ذلك الوقت، ولم يدر إلا وقد سأله

- وهل أطلق رصاصه ربعة فحامة؟ ثم سادسة؟

نظر إليه لرجل معضناً حمية

- ماذا تعرف عن ذلك؟

- هل تتحدث عن «بلوخ»؟ «فاكه بلوخ»، في «هارلم»؟

مصعب مصعب ثواب قل أن يسأل الآخر بقطر

- من أنت؟ وكم عمرك؟

- كنت أقيم هناك لقد حدث ذلك أمام مربو، أفصـد .

قال الرجل

- أمام

وغص بكلماته.

هم «أنطون» كل شيء على الفور لم يسق أن رأى شخصاً يشحب لونه بتلك السرعة التي شحب بها وجه الرجل الجالس بجانبه، استاء الموصى على سرير العمليات كان وجهه المتفتح المصمغ يقع حمراء وجه شخص يسرف في الشراب، وقد شحب حلاً يصع ثون وكمد لونه فأصبح مثل عاج قديم، وكان تعبيراً معانداً طراً على الإصاة بدأ «أنطون» يرتعش قليلاً

قال الرجل الجالس على بُعد معدنين منهما
- أوه. أوه. مارو!

عالميت أن لاحظ لجميع حول الطاولة أن مشكلة ما قد حدث ساد مرید من الصمت، أعفته مباشرة بلبله ولعط في الحديث، وبهمص بعضهم عن مقعده هتف السيد «دحرف» بأن «أنطون» صهره وأراد أن يتدحج بينهم، لكن الرجل قال له إنه يريد أن يحل مشكلته نفسه، ثم قال له «أنطون» وكأنه يريد أن يحسم الأمر معه

- تعال معي إلى الخارج

أخذ سترته من فوق ظهر مقعده، أمسك «أنطون» من يده، وسحب وراءه شاقاً طريقه بين جموع لباس، مثل طفل وهكدا شعر «أنطون» نفسه أيضاً اليد الدامئة لهد الرجل، الذي يكره عشرين سنة، وهو يأخذه معه لم يحدث أن شعر بمثل هذا الشيء مع خاله، عندما كان يمسك يده ويبر به، شعر به فقط مع أبيه في يوم من الأيام لم يكن الآخرين في الحفهي يعرفون شيئاً مما يحدث، فأصحبوا بهما الطريق صاحكين كانت فرقة «بيلر» تصدح من صندوق الموسيقى بأعوبة:

«إتس بين آ هارد دير نايت..»

ما إن وصلا إلى حارج المقهى حتى ساد الهدوء. كانت الساحة تنويع في الشمس، وجماعات من الناس ما تزال واقفة ها وهاك، لكن «ساسكيا» و«سندرا» لم يكن لهما أي أثر قال الرجل بعد أن جان بصره فيما حوله
- نعال

فطعا الشارع، ودخلا المقبرة من جديد عبر بوابتها الحديدية من حشد من أهل القرية قد تجمعوا حول القبر المفتوح ويقرأون المكتوب على لشرائط والكروت المرفقة بياقات الورد كانت دججحات المررعة انقرية تنجوب فوق القصور الأخرى والمماشي لعاصمة ييبها توقف الرجل عن السير عند مقعد حجري في ظل شجرة سديين، ومدّ يده إلى «أبطون» وقال

- اسمي «كور تاكيس» وأنت تدعى «ستينديك»

- «أبطون ستينديك»

قال مشيرًا برأسه إلى المقهى

- إنهم ينادوني بـ «حاجس»

وحلس على المقعد

حلس «أبطون» بحانه لم يكن يرغب في هذا كله فقد قال ذلك رعمًا عنه، في ردة فعل تنقيشية، مثلما يرد عصب من الأعصاب على نقرة من مطرقة لمعكسات أخرج «تاكيس» غلبة سجاثر من حبه، وسحب منها سبخارة إلى مصفها، وصيئها لـ «أبطون» هز «أبطون» رأسه علامة الرقص، وانصت إليه قائلاً

- اسمعني، دعنا نصرف من هنا، ونسئ كل شيء لا شيء
يستدعي الحل، لا شيء حقاً ما حدث قد حدث أنا لا أعاني
من شيء، صدقي لقد مضى أكثر من عشرين سنة على ذلك
أنا عذبي روجة وطفل وعم جيد، وكل أموري تسير على خير
ما براءم كن يجب أن أفنى صامتاً

أشعل «تاكيس» سيجارة، وسحب نفساً عميقاً، ثم نظر إليه بعصب
- لكنت لم تنق صامتاً

وبعد استراحة قصيرة

- وقد حدث الأمر وانتهى

لم يحرج الدخان من فمه إلا مع كلمات الحمدة لثانية

أحس «أنطون» رأسه سعم وقال

- صحيح

لم يستطع أن يجد مفزاً من عصبه لكن تنبس السنين وهما محدقان
فيه كانت عيه اليسرى تختلف عن اليسرى، كن حمها متورماً بعض
الشيء، ونحني فيها نظرة نافذة لم يستطع «أنطون» مقاومتها لا بد
أن «تاكيس» في الحمصيت من عمره، لكن شعره الأشقر الداكن
استمر ميل، لم يشب إلا عد السوائف بعض الشيء كانت بقعنا
كبيرتان من العرق تطفحان ما تحت إبطيه أحس «أنطون» بأن حمومه
إلى جانب الرجل، الذي عمال «ملوح» هي نك الديلة من ليالي شتاء
المجاعة، مثل حكاية حربية

قال «تاكيس»

- لقد قلت شيئاً ما كان يعني لك أن تسمعه، تكنت سمعت ثم هت

أنت شيئاً لم تكن تريد قوله هاتان حقيقتان وقعتان، لذلك نحن
جلوساً هنا كنت أعلم أنك موحود كم كان عمرك حينذاك؟
- اثنا عشر عاماً

- هل كنت تعرف ذلك لو عد؟

أجاب «أصون»:

- من الوجه فقط

ووقعت كلمة «لو عد»، أنني وصف بها «سوح»، من أدبه موقعاً
أليفاً بطريقة عريضة

- طبعاً، هذا شيء بديهي، فقد كان يمر من عندكم كل يوم.

قال «أصون»:

- وكنت مع أبي في الصف معه

ثم يكرر أثناء قوله هذه الجملة بذلك الفتى الصغير الذي كانه
حينذاك، بل بالرجل الكبير الذي كسر مرآته بحجر فل عشر سنوات
- ألم يكن يدعى هو أيضاً «فاكه»؟

- بلى

- كان له امتان أيضاً كانت الصغرى حينذاك في الرابعة من العمر

- نفس عمر ابنتي الآن

- هـ أنت ترى إذن أن ذلك لم يشجع له

أحسن «أنطون» برعشة تسري في جسده شعر أنه يحوار قساوة
لا توصف، قساوة لم يعهدها في أي شخص من قبل، سوى في الرجل
الذي كانت له ندبة على وجهه أوجب أن يقول له هذا؟ لم يفعل
ثم يرغب في أن يعطيه انطباعاً بأنه بها حمة، وهو فوق ذلك لى يحير

«تاكيس» بشيء جديد من الواضح أنه يحلّس بجانب شخص تحلى
عن هذا النوع من التفكير منذ أمد بعيد

- هل تريد أن أحرك أي نوع من الأشخاص كان ذلك المدعو
«بلوح»؟

- لا حاجة لي بذلك

- أما أنا فلي حاجة. كان لديه سوط محدود بسلت معدني،
يضرب به وجهك حتى ينقشع الجندعه، ويجلد به مؤخرتك
العارية حتى يسليخ جلدها، ثم يصعطك بقماك على المعدة
المشتعلة. كان يحشر حرطوم الماء في دبرك، ويترك الماء
يتدفق فيه إلى أن ترشق حراأك لا أعرف كم قتل من الناس،
وأرسل أكثر من ذلك بكثير إلى معسكرات الموت في ألمانيا
وبولونيا حسناً، كان من الضروري أن تُريح العالم من شره
هل نوافسي في الرأي؟

وحين يمي «أنطون» صامتاً قال

- نعم أم نعم؟

فاجاب «أنطون»

- نعم.

- حسناً ولكن من حاجة أخرى كما تعرف أنهم سيردون عمليات
انتقام.

قاطعه «أنطون»

- سيد «تاكيس»، هل ما أهمه صحيح؟

- ادعي «حاييس»

- هل ما أهمه صحيح، وهو أنك تدافع عن نفسك أمامي؟ أنا لا أهاجم

- أنا لا أدافع عن نفسي أمامك.

- أمام من، دد؟

أجاب «تاكيس» بمقاد صر

- لا أعرف لمن أمام نفسي على كل حال، وليس أمام الله، أو أي شيء من هذا القبيل. الله غير موجود، وربما أنا نفسي غير موجود

ملك السيدة معها، اسي صمد بها على الرناد في تلك الليلة، رمى عقب سيجارته على لعشب، وسرح بعينه في العفرة

- هل تعرف من موجود؟ «موني الأصدقاء الموتى

في تلك اللحظة عرت سحابة صغيرة من أمام الشمس، كما لو أنها أرادت إضاعه بوجود قدرة إلهية، فهتت الأرهاار الموصوعة على القبر وكأنها أحست «دند»، ووصحت في الوقت نفسه معالم انقور ذات اللون العصبي وطعت على ما حولها. ما لث أن عاد كل شيء يسبح في بحر من الور تضاءل «أنطون» فيما بينه وبين نفسه هل العودة التي يشعر بها حيال هذا الرجل الجالس بحانه على المقعد، متابة عن شعوره المردوح؟ فهو يشعر بأنه شارك عن طريقه في العف الذي حدث في ذلك الوقت، ومن ثم لم يعد مجرد صحبة صحبة؟ طبعاً هو صحبة وإن كان لا يراى حياً يُررق، ولكن في الوقت نفسه يشعر بأن ما حدث قد حدث لشخص آخر غيره

أشعر «تاكيس» سيجارة أخرى وقا

- حسناً كما تعلم إذن أنه ستحدث عمليات انتقام، اتفقنا؟ كما
نعلم أنهم سيصرمون الدرع في منزل من تلك المنازل، وأنهم
سيعدمون رهائن، ولكن هل كان علينا ألا نقوم بتلك العملية
لهذا السبب؟

حين لم يقل أي شيء آخر، بنظر إليه «أنطون»

- هل تريد أن أحيي أن عن هذا السؤال؟

- طبعاً

- لا أستطيع لا أعرف

- أنا سأحيي إذن الجواب هو لا وإن قلب لو لم يتم بتصفية
«بلوچ»، لكان أهلك قد بقوا على قيد الحياة، لأجنتك بأن

هذا صحيح، صحيح بكل بساطة، ولا شيء أكثر من ذلك
وإن قال أحد الأشخاص هو أن وابدك استأجر منزلاً آخر في
شارع آخر، بقي أهلك على قيد الحياة، لكان ذلك صحيحاً
أيضاً ولكن الآن حالنا مع شخص آخر، إلا إذا كانت

تلك العملية قد حدثت في الشارع الآخر، لأن «بلوچ» ربما
هو أيضاً كان يسكن في مكان آخر هذا صرب من الحقائق
التي لا تجدي نفعاً الحقيقة الوحيدة المجددة هي أن نسلّم بأن

كل شخص قتله من قتله وليس أحد آخر نحن قتلنا «بلوچ»،
والألمان قتلوا أهلك إذا كنت ترى أننا ما كان ينبغي لنا أن
نعمل ما فعلناه، فعليك أن ترى أيضاً أنه من الأفضل، في ضوء
التاريخ، ألا يكون الجنس البشري موجوداً من الأصل، ذلك
لأن الحب والميم والحير الموجود في العالم كله لا يستطيع

أن يعرض عن موت طفل واحد، طمأنك على سبيل المثال.
وهن هذا رأيت؟

أطرق «أنطون» في حيرة. لم يفهم كل ما قاله «تاكيس»، إذ لم يحدث أن فكر في مثل هذه الأشياء، في حين «تاكيس» ربما لم يكن يفكر في شيء آخر غير هذه الأشياء.
- لذلك فعلنا ذلك كما عرف .

سأل «أنطون» فجأة

- وهن يعرض ذلك تلك الحسارة؟

رمى «تاكيس» سيحارته على الأرض أمام قدميه، واحد يدعسها محدثه إلى أن لم يبق منها سوى قطع صغيرة، ثم سحب الحصى عليها ثم يجب عن السؤال.

- كما نعلم أن هناك احتمال ذك مرل واحد على لأقل من تلك الممارل فيما يتعلق بهذا الأمر، تصرف أولئك البادة مرمونة لكنا لم نكن نعرف أي مرل وقع اختيارا على تلك المنطقة لأنها كتب الأكثر هدوءا، ولأننا كما نستطيع أن نعاذر منها بسهولة وكان لا بد أن نعاذر، لأنه كان ما يزال على قائمتنا أنندال آخرون

سأل «أنطون» في تمهل

- لو كان والداك يعيشان في أحد تلك الممارل، فهل كنت ستقوم باعتدله هناك أيضا؟

بهض «تاكيس» عن المقعد، مشى خطواتين في بطلاله القصصا ص لمتهدل، ثم التفت إليه وقال

- لا، اللعنة! طبعًا لا! ماذا تقصد؟ لم أكن سائحًا ذلك المكان
أيضًا، لو أمكن ذلك في مكان آخر فلتعلم أن أحيي لأصغر
كان واحدًا من أولئك الرهائن، في تلك الليلة وكنت أعرف
أنه رهينة عندهم هل تريد أن تعرف رأي أمي فيما فعلت؟ لم
تُرفه بأسًا إنها ما تزال على قيد الحياة، ونستطيع أن نسألها
نفسك! هل تريد أن أعطيك عنوانها؟

أرغم «أنطون» نفسه على عدم النظر في عيبه اليسرى
- أنت تنظر إليّ وكأسي أنا المصعب في كل ما حدث، اللعنة! كان
عمري اثني عشر عامًا، وكنت أقرأ في كتاب حين حدث ذلك
عد «تاكيس» إلى الجلوس وأشعل سيجارة أخرى
- مصدفة حمقاء هي التي شاءت أن يسقط أمام مرل كم
نظر إليه «أنطون» من طرف عينه وقال.

- لم يسقط أمام مرل
أدرك إبيه «تاكيس» رأسه بيده وقال بالإنجليزية
- عفواً؟

- لقد سقط أمام مرل الجيران، لكنهم وضعوا جثته أمام مرل
مدّ «تاكيس» ساقه، وأراح إحدى قدميه فوق الأخرى، ووضع يده
في جيب سطله جال بصره على المقبرة وهو يهر رأسه في حركات
حسية متتالية قال بعد برهة قصيرة

- جار قريب أفصل من صديق بعيد
سرى في كيانه ما يشبه الرعدة، عليها كانت صحيفة ساحرة
- وأي أس كانوا أولئك الجيران؟

- رجل أرمل مع ابنته نحارة.

أحد «ناكيس» يحيي رأسه من حديد إحناءات حبيبة، قال
- لك جربيل الشكر نعم، طبعاً هذا ممكن أيضاً أن يساعد المرء
المصيبة على الحدوث

سأل «أنطون»

- هل يمكن ذلك؟

وشعر في لحال بأنه سؤال سادح
ردّد «ناكيس»

- هل يمكن ذلك! هل يمكن ذلك! أحرر حرر. اطرح هذا السؤال
على القسيس، لا بد أنه ما يزال يتحول هنا في هذا المكان. اثبت
لهم مره وحده أنهم على خطأ في رأيهم. لو أطلقت الرصاص
عليه بعد ثلاث ثوانٍ فحسب، لسقط أمام بابكم.

قال «أنطون»

- أنا أسأل ذلك، لأن أخي حاول أن ينقل الحثة أمام المنزل
المحادي، أو ربما كان يريد إعادتها إلى مكانها، لا أعرف
بالصبط، فقد وصلت الشرطة في تلك اللحظة
صاح «ناكيس»

- يا يسوع! وأخيراً فهمت لماذا كان في الشارع ولكن كيف حصل
على ذلك المسدس؟

نظر إليه «أنطون» في دهاش.

- كيف نعرف أنه كان معه مسدس؟

- ماذا تغفل؟ قمت بالتحريات بعد الحرة.

- كان مسدس «ملوح»

قال «تاكيس» بتمهل

- يا به من يوم حافل بالمتعومات!

محب نيت من سيحارته، وبث الدخان من راوية همه

- من كان يعيش في امبرون انمحادي؟

- شحصان كبير ان في الس

«بيد انمرتجه وهي ترفرف إله» «الحيار لمحلل مثل التماسيح»

قل ذلك لـ «سندرا» ذات مرة، نكها لم تصحك لقد وفت على

هذا لرأي

قال «كس»

- طعاً لو أعدد انجته، لوقع شتات كبير

و ردف مباشره

يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي! يا لها من تصرفات حمقاء! يا لهم من

«عباء» جمعهم! يعلون نك انجته من مكان إلى آخر!

- ماذا كن يسعى أن يفعل؟

رمح «تاكيس»

- «نصفوه إني الداحل طعاً كن يجب عليكم أن تنفوه بأسرع

وقت ممكن إلى داخل المرل

نظر إليه «أنطون» في دهور طعاً بيضة «كولوموس» قل ان

يتمكن من قول أي شيء، ناع «تاكيس»

- فكر معي لقد سمعوا ذوي الطلقات من مكان ما في ذلك

لحي، لكنهم لم يعرفوا بانصط من أي مكان مماذا عاهم

كانوا يعملون لو لم يروا شيئاً في الشارع؟ ما كان ليحظر سائهم
أن عنداء قد وقع، بل إن حارساً من حراسهم قد أطلق رصاصه
على شخص ما، أو شيئاً من هذا القبيل. أم أن أحداً من حيرائكم
كان عميلاً للالمد ووشى بكم؟

- كلاً ولكن ما لدي كان عيباً أن يعبه بتلك الحجة؟

- وكيف لي أن أعرف؟ تحشوها، تحت أُرصة السرير مثلاً، أو
تدعونها في الحديقة أو من الأقمص أن تأكدها على الفور
تشووب مع لحيران وتأكدها معاً. كنت هاك محاعة هي
ذلك الشتاء، أليس كذلك؟ ثم إن محرمي لحرب لا يغدون
من النشر، يُحسب ذلك أكلاً للحوم بشر

كان «أعطون» هو الذي ارتعش هذه المرة بما يشبه الصلحكة
وإدده، سكرتير المحكمة لاسديّة، يشوي المعتش العام لشرطه
ويأكله مسألة أدواق؟

- إذا كنت تقطن أن مثل هذه الأشياء لم تحدث، فأنت محطون
لقد حدث كل شيء. حدث كل ما يحظر ولا يحظر على حال،
وحدث أقطع من ذلك

كان الناس الذين يذهبون إلى القر أو يأتون من عنده يظفرون
إليهما، إلى هذين الرجلين الجالسين على مقعد حجري تحت
شجرة، وأحدهما أصغر سناً من الآخر، وما يزالان يرتيان صديقهما
الميت. هي حين أن لأحريين جالسون مد وقت طويل في السقيف -
ويسرحان ذكرياتهما معه. هل تذكر تلك المرة التي أحدهما
وكان، إذا ما مرّ أساس من عندهما، يلزم أن الصمت في حبل

فان «أنطون»

- سهل عليك أن تقول هذا. أنت لم تكن تفكر في شيء سوى
في مثل هذه الأشياء، وأظنك ما تزال تفعل ذلك حتى الآن أما
بحر فكك حاليين حول الطاولة في البيت ومشغولين بالقراءة،
وسمعنا صغاة ذوي تلك لطلقات

- حتى في هذه الحالة كنت سأفكر في هذا لحن مباشرة
- هذا متوقع منك، فأنت كنت واحداً من الجماعة المسلحة أم
ولدي فقد كان سكرير محكمة لا يفعل شيئاً، بل يكتب فقط
ما يفعله الآخرون على كل حال ثم يكرر لدينا وقت كاف لعمل
ذلك على الرغم من أن

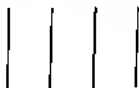
ورفع عيبه فجاء، ناظراً إلى أوري في لشجرة

في البداية حدث نوع من لشجار..

على الرغم من صوته لهار، رأى حركات عديمة في معر يده
ظلام حالك، ثم سمع صرخة، وكان فيتر وقع على كومة حطب،
وشبها له علاقه بصباح احتفى المشهد مثلما تحتمي شدته حلم
علما يتذكره لإسناد لحظة فصيرة أثناء لهار

انصرف انتباهه إلى «تاكيس» الذي حطّ بكعب خدائه أربعة حطوط

عمودية في الحصى، ما جعل التراب الأسود يظهر في قاعها



قال

- اصح، لي، كانت هناك أربعة مارن، أليس كذلك؟

- أجل

- وكنتم تسكنون في المعبر الثاني من اليسار.

- أنت تتذكر ذلك جيدًا؟

- أن ما زال أذهب لزيارة ذلك المكان من حين إلى آخر معروف

عن الأبطال أنهم يعودون دائمًا إلى الأماكن التي قاموا فيها

بأعمالهم الطويلة. على الرغم من أن من الجائز جدًا أني

الوحيد الذي يفعل ذلك، على الأقل لدي يزور ذلك الرصيف

الذي كنت تعيش عنه ولكن حسًا، أن لا أعرف سوى أنه كان

رافدًا هـ، أمم مرلكم عبد أي من الجيران كان منظرًا في

الداية عند هؤلاء أم هؤلاء؟

أجاب أبطون وهو يشير بحدائه إلى الممر الذي من اليمين

- عند هؤلاء

أحس «تاكيس» رأسه ونظر إلى المخطوط:

- عموًا، لدي سؤال آخر لماذا وضع ذلك البحار الحثة عندكم،

وليس هنا، عند الجيران الآخرين؟

نظر «أبطون» هو الآخر إلى المخطوط

- لا أعرف هذا السؤال لم يحضر بيالي من قبل

- لا بد أن يكون هناك سبب هل كان يكرهكم؟

- لا أظن كنت أذهب لزيارتهم أحيانًا اعتقد أنهما كانا يكرهان

الجيران الآخرين الذين كانوا يتجاهلون الجميع.

سأل «ناكيس» وهو ينظر إليه في اندعاش

— ألم تحاول أن تعرف السب؟ ألا يهمك ذلك أبدأ؟

— ألا يهمك؟ ألا يهمك! قلت لك إنني لست في حاجة إلى تذكر

هذه الأشياء كلها. ما حدث قد حدث وانتهى ولا يمكن تغييره.

ولا حتى بهم تقاصيله. كانت فترة حرب، أي أزمة كبيرة،

وقُتل أهلي، وأنا بقيت على قيد الحياة، ورناني حالي وروحت.

وعادت أموري إلى حير ما يرام. كان معك كل الحق عندما

قلت ذلك الوعد، حقًا، ولن تسمع مني أي اعتراض عليك.

أن تقع به، أما أنا فلا ضرورة لذلك لكن لماذا تريد لأن أن

تحل تلك القضية؟ ذلك غير ممكن، ثم ما الذي يمكن أن يعبر

في الأمر؟ لقد أصبح ذلك تاريخًا، تاريخًا قديمًا. ثم ألم تحدث

مثل تلك الأمور بشكل متكرر منذ ذلك الوقت؟ ولعلها حدث

الآن في هذه اللحظة التي تحدثت فيها. هل تستطيع أن تصع

يدك على قلبك ونحلف بأنه لا نُصرم البار بقذف البيران في

هذه اللحظة في ست من البيوت؟ في بيت م عسى سسل لمتار؟

فعمّ تتحدث؟ حين اصططحتني إلى الحارح قبل قليل، ظننتك

مهتمًا براحة مالي، لكن الأمر ليس كذلك شأنًا، أو على الأقل

ليس كذلك تمامًا. أنت تعاني أكثر مني. أعتقد أنك لا تستطيع

أن تترك الحرب وراءك، لكن الرمن يسير إلى الأمام أم أنك

مادم على ما فعلت؟

تحدث بسرعة ولكن بهدوء، وهي الوقت نفسه كان يعثره شعور

غامض بأنه يجب أن يتمالك نفسه من أجل ألا يجرح الآخر في العمود

قال «تاكيس» من دون أن يتردد لحظة واحدة

- سأفعل الشيء نفسه عدًا، إذا لزم الأمر، ولعله سسدم عدًا مرة أخرى قصبت على كتيبة كاملة من أولئك الأوغاد، وما رلت راضيًا كل الرضا عما فعلته لكن تلك العملية التي قمت بها عبدك على رصيف لقافا، كن لها بعد آخر لقد حدث شيء هناك

واستد يديه على خافه المقعد وعبر وصعبة جلوسه
- دعني أقول إنني تميت فيما بعد لو أنها لم تحدث
- اسب مقتل واندي؟

أجاب «تاكيس» بمسوة

- كلاً، لا تؤاخذني على فولي هذا فذلك لم يكن منظر ولا متوقعاً ربما قتلا لأنهم صطلوا سدًا مع أحبك، أو لسبب آخر، أو من دون أي سب، لا أعرف بالضبط
قال «أنطون» من دون أن يرفع عينه

- أو ربما لأن أمي هجمت على رئيس أولئك الألمان
لرم «تاكيس» الصمت وأحد يحدق أمامه، ثم عطف وجهه نحو «أنطون» وقال

- كنت تظن أنني أعدبك إرضاء لشعوري بالحس إلى الحرب، فأنت محطع حتمًا أن أعرف هذا النوع من الناس، لكني لست واحد منهم. إنهم يذهبون في كل إحارة إلى برلين، ويفضلون أن يعلقوا صورة هتلر فوق أسرّتهم لا، المشكلة هي أنه حدث شيء آخر في «هارلم»

لمع بريق في عييه، ورأى «أنطون» تعاچه آدمه تعلو ونهبط عدة
مرات

- والداك وأحوك وأولئك الرهائن لم يكموا الوحيدة الذين لقوا
مصرعهم في تلك الليلة. في الواقع، لم أكن وحدي حين أطلقت
الرصاص على «بلوح» كنا اثني كنت في صحة أحد دعي
أقول كنت بصحة صديقتي، ما عليا، دعما من هذا

حذق فيه «أنطون»، وفجأة جاشت مشاعر الحزن في قلبه وعمرت
كباه كله غطي وجهه يديه وانحنى جانبا وأحد يحش بالكلأ لقد
ماتت ماتت بالسة إليه في هذه اللحظة، بعد انقضاء إحدى وعشرين
سنة، وفي الوقت نفسه استت من حديد على الحو الذي كان تعب
له، مصت إحدى وعشرون سنة، وهي موزية في الطلام، ومن دون
أن يكر فيها لحظة واحدة، فهو فكر فيها، لسأل نفسه هل هي ما تزال
على قيد الحياة لكنه أدرك فجأة أنه كان يبحث عنها قبل قليل، في
الكبسة، ثم بعد ذلك في المقهى، وأنه لهذا السبب جاء إلى هذه
الجارة التي لا تعب بأي حال من الأحوال

شريد «تاكيس» فوق كتفه

- ماذا حل بك؟

أراح يد «تاكيس» عن كتفه كانت دموعه قد جفت، عندما سأل
- كيف ماتت؟

- أعدمت على نلال الشاطئ قبل التحرير بثلاثة أسابيع إنها مدفونة
هناك في «المقبرة التذكارية» ولكن قل لي بحق السماء لماذا
كل هذا الاهتمام بها؟

- أجاب «أنطون» بصوت حافت
- لأنني أعرفها، لأنني تحدثت معها كنت مسجوناً في زبرانتها
هي تلك الليلة
- حذق به «ناكيس» درنياب
- كيف تعرف أنها كانت هي؟ ماذا كان اسمها إذن؟ فهي من
المستحيل أن تكون قد كشفت لك عن شخصيتها
- لا، لم تكشف، لكني أحرم أنها كانت هي
- هل قلت إنها سركت في ذلك الاعتداء؟
- هر «أنطون» رأسه بلا
- لا، لم تقل، لكني أكرم أنها كانت هي.
- قال «ناكيس» مانعمال
- كيف، «اللعنة» كيف كان شككها؟
- لا أعرف كان الظلام حالك
- فكر «ناكيس» لحظة
- هل ستعرفها إن رأيت صورتها؟
- أنا لم أرها يا «ناكيس»! لكني. أريد أن أرى صورتها
- ومدا قالت؟ لا بد أنك تتذكر شيئاً من كلامها!
- رفع «أنطون» كتفيه
- ليني أستطيع كان ذلك في الماضي البعيد كنت مصانة
- أليس؟
- لا أعرف

تحصلت عينا «ناكيس» بالدموع قال

- لا بد أنها كانت هي، حتى وإن لم تقل من كانت أصابها «دموح»
برصاصة في اللحظة الأخيرة، حين كانوا بالانعطاف إلى الراوية
حين رأى «أنطون» دموع «ناكيس»، أحد هو أيضًا يجعش بالكاء،
سأل

- ماد، كان اسمها؟

- «تروس» «تروس كوستر»

كان الناس الواقفون عند القصر لا يفعلون شيئًا سوى النظر إليهما
من أطراف عيونهم لعلهم كانوا مذهشين من أن يكون مقدور
رجلين بالعين أن يحرق كل هذا لحرر على صديقهما الميت، أو
لعلهم يظنون أنهما منافقان

- آه! إنهما هما، هذان الأسهاء!

كان صوت حماته احدثت انبوه وفي أعصابها «ساسكيا»
و«سندرا» قمتان سوداوان على انحصى الانامع اباهر للأبصار،
وظفله مكسوة بالأبيض بدت «سندرا» «بابا»، ورمت دميته من
يدها وركضت إلى «أنطون»، فهض «أنطون» عن المقعد، وحس
بجدعه وتلفها بين ذراعيه رأى في عيني «ساسكيا» المحمقتين
أنها قلقة عليه، فأومأ لها مطمئنًا لكن أمها التي وقفت مستندة على
عكازها الأسود الراق، دي انمقص لعصي، ثم يبطل عيني لأمر
سهولة، فقد قالت عاصه

- يا للعجب! هن أنما خالسن هه تدرون الدموع؟

فرممت «سندرا» رأسها بحركة سريعة إلى وجه «أنطون»

أحدثت السيدة «دحراف» صوتًا كأنما لتصرع ما في معدتها
- أنتم تشعرايني بالعياذ! ألر تكفأ عن الحديث عن تلك الحرب
القدرة أئذا؟ هل تريد أن نجس صهري يا «خايس»؟ نعم، نعم،
طبعًا، عدت إسي دلك من حديد!

بذ عنها صحكة ساحرة عربية اهتر لها حدها المكتتران.
- ليس من اللائق أئذا أن تقما هه على هذا النحو، مثل الذين
يُضطرون بوصية الجماع مع الأموات، وفي المقبرة أيضًا!
توقعا عن هدا في لحال هيا، تعالوا معي، كلكم
استدارت هوى عقبيها ورجعت أدرجها، مشيرة بعكازها إلى
الدمية الملقاة على الحصى، ومن دون أن تثبت لحظة واحدة في
أنها سَطَاع وكان لها ما أرادت

قال «ماكيس» وهو يطلق صحكة عربية هو الآخر، تسم عن أنه قد
سبق وحاص مقدسات من هذا النوع مع السيدة «دحراف»
- امرأة مذهلة!

حين نظر إسه «أنطون»، قال

- لمنكة «فيلهيما»!

ببسا كانوا يعودون أدرجهم إلى الساحة، أحبرته «سانسرا» بأنها
دهت مع أمها إلى مرس السيد امست، وشربت ههك كوبيين من عصير
الليمون كان المقهى قد بدأ يفرغ من الناس كانت اسيارة الرسمية
التي يعرف العلم عليها واقفة أمام باب المقهى، وكان السائق واقفًا
بجانب بابها الخلفي. أنقروا نظرات فاحصة على «أنطون»، لكن
لم يتدخل أحد في شأنه. دخلت «ساندرا» مع جدتها إلى المقهى

نتحيء بجدها قالت «ساسكيا» وهي تمسك الدمة بين يديها، إن
«صامدرا» حائمة ويجب أن تأكل شيئاً، وإيها اقترحت على أمها أن
يشاولوا العداء معاً في مكان ما في الريف
قال «تاكيس»

- قف بهدوء لحظة واحدة

وهي «أنطون» بهدوء، وأحسن بأن «تاكيس» يكتب شيئاً على
ظهره. ألقت عليه «ساسكيا» هي أثناء ذلك النظرة انقلقة نفسها
التي ألقيها عليه قبل قليل، فأعلق عييه لحظة في إشارة إلى أن كل
أمره تسير على ما يرام شن «تاكيس» ورقة من مفكرته، وطواها،
ووضعها في حث سترة «أنطون» صافحه في صمت، وحس رأسه
لـ «ساسكيا»، ودخل المقهى

على حافة الرصيف، كان «ياب» يحاول تشغيل درجته النارية
عندما وُفق في ذلك، حرج الورير بصحبة السيد «دحراف» من المقهى،
فرع السائق قعته عن رأسه وفتح باب السيارة، لكن الورير ذهب إلى
«ياب» أولاً، وصافحه

- إلى اللقاء يا «ياب»

أحده «ياب»

- أحل، إلى اللقاء في المرة القادمة

أرادت «سندرا» طبخة الحال أن تترك سيارة جدها وجدتها،
وانتحت «سيارتان إحداهما ور» الأخرى عبر الطرقات الريفية إلى
المطعم الذي يعرفه «أنطون» كان يومه أن يتحدث مع «ساسكيا»
بهدهء عما حدث، لكنه لم يفعل بقي جالسًا خلف المقود بصمت،
وكانت «ساسكيا» قد نرت على أنها يجب أن تمسك هي أيضًا عن
الكلام، عند رؤية لباس الدين عاشوا تجربة الحرب في مثل هذه
الاحالة سألته فقط هل ما حدث قل قليل كن نوعًا من المصباحة،
فأجاب: «شيث من هذا القيل»، مع أن ذلك لم يكن صحيحًا ظل
يظر إلى الطريق وهو يشعر نفسه وكأنه بقي في حمام ساحر أطول
من «لارم» حاول أن يتذكر حديثه مع «ناكيس»، لكنه لم يكن يعرف
بعد كيف عليه أن يفعل ذلك، كأنما لم يكن ثمة شيء يستطيع أن
يفكر فيه في تلك اللحظة حين تذكر الورقة التي وضعها «ناكيس»
في جيب سترته، أخرجها، وفتحها بأصابع يده واحدة كان فيها عنوان
ورقم هاتف

سألت «سأسكي»

- هل ستذهب لزيارته؟

أعاد الورقة إلى جيبه، وأراح شعره إلى جانب، ثم أجاب
- لا أظن.

- لكك لم ترميها

نظر إليها منسماً

- لا، لم أفعل

كان المطعم، الذي وصلوا إليه بعد نحو عشر دقائق، ذا طابع
ريفي فاحر، كان في السابق بيت مزرعة مسطح هرمي كان داخله
مظلمًا ومقعرًا، فقد كان الرثايش يتناولون العشاء في ظل الأشجار،
حيث يقوم على خدمتهم نُدُل في زي رسمي.

هتعت «ساندرا» عندما خرجت من السيارة الأخرى وركضت
إليهما

- أريد بطاطس مقلية

رددت انسدة «دجراف»

- بطاطس مقلية؟

وأطلقت من حديد صوتًا يسم عن أنها على وشك إفراغ «في
معدتها».

- أرى أنها لهجة سوقية

ثم لـ «سأسكي»

- ألا نستطيعين أن تعلمي استك أن تقول لتلك القدارة «لوم

فريت»؟

قال السيد «دحراف»

- دعي الست المسكينة تأكل بطاطس مقبلة، إن لم نكن نحب

«اليوم هريت»

- أريد بطاطس مقبلة

فقال لها السيد «دحراف»

- ستأكلين بطاطس مقبلة

ووضع يده على رأسها مثل الصفة

- مع بيض معي، أم أنك تعصبيها مع «سكرامندو جر»؟

- لا، بيض مقلي

فقال «سأشكيا»

- يا «أنداكى عليها»؟

جلس السيد «دحراف» على رأس المائدة، ووضع يديه من جديد

بذراعه لتمدودتين على حافة الطاولة حين همّ لادب تقديم قائمة

الطعام به، أبعدها بظهر يده قائلاً-

- سمك بلر حل و بطاطس مقبلة مع بيض مقلي للأميرة الصغيرة

ورحاحه سيد فرنسي موصوعة في صندوق تبريد ومثلجة جيداً

لأنني أراك في بدلتك هذه، أعرف أنني سأشرب شيئاً أطيب

بكثير من المعتاد.

تنظر إلى أن سقطت روحته على صحتها، ثم شر مدبل

المائدة على حضبه

- أنتم نمرعون الحكاية التي تروى عن «ديكر»، أليس كذلك؟ كان

يعزم أصدقاءه على العشاء في كل عيد من أعياد الميلاد كان

يديكي النار ويشعل الشموع، وكانوا إذا ما جلسوا إلى المائدة لتناول الإبرة، سمعوا صوت متشرد وحيد يقف في الثلج تحت الباردة وهو يمدد قدميه على الأرض من شدة البرد، ويصيح كل بصع دقائق: «أوه، ياله من برد فارس!» كان ديكريستاجر، لهذه المهمة من أجل أن يوضح الفارق.

نظر ضاحكًا إلى «أنطون» الجالس فبالتة كان يقصد بمرحه الرائد أن يطيب خاطره، لكنه حين رأى النظرة المرسمة في عيني «أنطون»، بهتت صمكتة. وصح مديله إلى حوار طبعه، وأومأ له إيماءة برأيه ونهض عن مجلسه وقف «أنطون» هو الآخر ونحو به حين أرادت «ساندرا» أن تهض هي الأخرى عن مقعدها، قالت بها السيدة «دحرف»

- انقي مكانك

توقفا عن السير عند حافة ساقية ملأى بالطحالب، نقص ماء المطعم عن المروح بحصراء
- كيف حالك يا «أنطون»؟

- لا بأس يا والدي

- ذلك المحزون «حيس» به أحرق من اندرجة الأولى أثناء الحرب تعرض للتعذيب ولم يطق بكلمة واحدة، ولأن بكلم حط عشواء. أخبرني بحق السماء كيف جلست بجانبه هو بالذات!

قال «أنطون»

- هذه هي المرة الثانية التي يتلاقى فيها طريقنا

ألقى عليه السيد «دحراف» نظرة استهدام، لكنه عندئذ فهم قصده،

قال

- أجل، أقرص ذلك

- لكن لهد السب تحم الأمور بعصها مع بعض أقصد

يعدل بعصها بعضاً

ردد «دحراف»

- يعدل بعصها بعضاً

وأحى رأسه ثم قرر ببيعة

- هكذا إذن 'إنك تتحدث بالألعار، لكن يبدو أن هذه هي طريقك

في استعادة طمأنينة نفسك

صحك «أنطون»

- أن نفسي لا أفهم ما الذي أقصده تحديدًا

- من الذي يجب أن يفهم إذن؟ ولكن حسناً، فأهم شيء هو أن تبقى

الأمور تحت سيطرتك فعل ما حدث في ظهر هذا اليوم كان

خيبراً لك. بحر أخلت كل شيء طويلاً، و لأن تظهر مشاكل هذا

ما أسمعه من جميع الجهات يبدو أن سنوات العشرين الماضية

كانت فترة حصانة لأمراسنا اعتقد أن الأحداث الجارية في

أمستردام لها علاقة أيضاً بهذا الموضوع.

- أنت لا تعطي انطباعاً بأنك تعاني من مشكلة ما

قال السيد «دحراف»

- أجل .

وحاول برأس حذائه الأسود اقتلاع حجر كانت لأعشاب

والحشائش قد عررت في الأرض عندما لم يستطع اقتلاعه، رفع
عصيه إلى «أنطون» وأحس رأسه بنعم.
- أحل، دعنا نعود إلى المائدة ألا تظن أن ذلك أفضل؟



بعد أن غادر السيد «دخراف» وروخته باتجاه «جندران»،
دحبت «ساسكيا» و«أنطون» كلٌّ على حدة إلى الحمام، وخرجا
مملساهما الصيفية بعد هذا التعبير الكامل في لمظهر ذهوا إلى
شاطئ «فايك آن ربي»

على نهاية الطريق لصيق الممتد بين لتلال الرمنية، حيث لا تزال
تقوم هناك ملاحن من أيام «الجندران الأطلسي»، كان لحرية
في ركود وهدوء حتى الأفق لأنه كان يوماً من أيام دوم المدرسة،
فقد كان أغلب راكبي الشاطئ من الأمهات مع أطفالهن الصغار
ساروا بأقدام حفاة على الرمال الساحة، والعوqع الحادة المترددة
على خط العذ، ميممين وجوههم صوب برك المياه البعيدة لم يصح
الجو معشاً إلا هناك خلعت «ساسكيا» و«دندرا» مملساها على
العور، وهرونا إلى السكة ذات السباحة العائرة، الواقعة أمام الركام
الرملي الأول، في حين رُت «أنطون» أعراضهم أولاً، مد العاشف
على الرمال ووضع روابه بوليصة تحتها، وطوى لملاس، وجهر
السطن والرفش الصغيرين، ووضع ساعة يده في حقيبته «ساسكيا»
ثم دخل البحر حائض المياه بطني وثيدة باتجاه العمق

خلع الركام لرملي الثاني، حيث لم يعد يحس بالأرض تحت
قدميه، أصبحت المياه باردة فعلاً لكن برودتها كانت عريّة ومرعجة

لم تشعره بالارتعاش، فقد كانت انعكاسًا للعمق الميت القارس الذي اكتسح جسده، لكنه بقي مع ذلك يسبح برهة من الزمن على الرغم من أنه لم يكن قد تعد عن الشاطئ أكثر من مئتي متر، فإنه لم يعد يشمي إلى لباسه كان الساحل هادئًا ومتروكًا إلى اليميس وإلى البحر مثل عالم مختلف عن العالم الموحود فيه تدو عليه اللال برمليّة، وللمارة، والساني المحفصة بالهوائيات العالية على سطحها باعته شعور بالثعب والوحدة، بدأ فكّه السعلي بالارتعاش، مسح بأقصى سرعة ممكة عائذًا إلى الشاطئ، كما لو أنه يهرب من خطر يهدده من وراء الأفق أصبحت لمياه تدهأ شيئًا فشيئًا، وما إن شعر بالأرض تحت قدميه حتى أخذ يحوص المياه حوضًا كانت انبعاث عبد «سامسكيا» و«سندرا» دافئة مثل مياه الحمام. تمدد على ظهره هناك، فرق موجات الزمن لقاسية، وبسط ذراعيه وتهد بعق، وقال

«للمياه باردة هناك»

عاد إلى شاطئ، وسحب مشفته بضعه أمتار إلى الوراء، على الرمال البيضاء، ساحنة حاء «سامسكيا» وجلست بحبيه، وراحا يراقبان معًا «سندرا» التي كانت ترقب بدورها من مسافة مناسبة منه من نفس عمرها وهي بيبي قمعة من لرمال ما لبثت أن اقتربت منها بصمت وأحدثت تشاركها في ماء القمعة، لكن الأخيرة تظاهرت بأنها لا تلاحظها

سأله «سامسكيا»

«كيف تشعر الآن؟»

طوق كتفها بدراعه

- على ما يرام.

- أريه ورء ظهره

قل

- لقد رمت

واستلقي على بطنه

- الشمس تشعري بالراحة

أحس وجهه في تجويف ما بين دراعيه وأعلق عييه أحس برعشة
في حسده من ميلان ضيء ددد على ظهره وحاصرته، ثم بيدي
«سكيا» وهي مدهنه بكريم الشمس

عندما دفع رأسه بحركة مفاجئة بعد مصي برهه من الرمس، أدرك
أنه غماغمرة قصيرة عاد إلى الجلوس وأحد يراف «سكيا» التي
كانت تحتر على ركتيها ودهن «ساندر» بكريم الشمس من دون
أن تلاحظ صهيبتها ذلك كانت الشمس قد بدعت أوح قطها. كان
بعض الناس يلعبون بالكرة في لمياء، وأثنان من الغنية يعرفان على
«العبارة» في ظن سقيمة من لقماش كان الأبطال يصعد يسرون
إلى لحر ويخرجون منه سطوبهم المملوءة بالماء، ويعر عوبهم في
البحر بقذعة لا تر عرع بأن الماء مقي فيها دات مرة أمست «انطون»
كتابه وحاول أن يقرأ قلبلاً، لكن لورق اللامع أعشى بصره من دون
لنظرب الشمسية، حتى في ظن رأسه

بدأت «ساندرا» تندمر، فأجبتها «سكيا» مرة أخرى ودخلت
بها لمياء شاطئ حين حرحت من البحر، سارتا والماء يتفطر سهما

صوب جماعة محتشدة على مسافة ليست بعيدة، ولكن بعد برهة
قصيرة هرولت «ساندر» باكية إلى «أبطون» الصبيان هناك يقطعون
بالرفوش أو صال قذيل بحر سمجي اللون، يلعب حجمه حجم مقلادة،
ولا يستطيع قذيل البحر أن يدافع عن نفسه أحدثت «ساسكيا» تلملم
أعراضها، بعزيمة ثابته ورنثها عن أمها

- أيا داهية مع «ساندرا» إلى انقضية لشراء حيايات المزل، وبعد
ذلك سذهب إلى البيت الست متعة حدًا، في البداية الكلبة،
ثم الحنارة، ثم مزل الفقيذ

حب على ركبته، وراحب تشف «ساندرا» التي أحدثت تهتر
على سابقها لصعيرتن وفقًا لحركة المشعة
- دعبي أذهب معكم إدد

- لا، انتق هذا وإلا اسعرق بها الأمر وقتًا أطول سوف نشرق
شيئًا، ثم يعود لذهب بك من هذا

نعقهما بعينه من أجل أن يلوح لهما مرة أخرى، نكهما شقتا
طريقهما إلى الأعلى من دون أن تنظرا إلى الوراء حين اختفا
عن باطرية، استلقى على ظهره، وحسمه يلعب من العرق، وأغلق
عييه.

نصعدت الأصوات من الشاطئ باتجاه قمة كبيرة بحجم قمة
السماء رأى نفسه يرقد أو يحوم مثل نقطة في مركزها، في نصاء
شاسع وردي اللون مالمث أن اتعد عن اعالم. انبعثت أصوات طرق
وحفان، أصوات من تحت الأرض، مع أنه لا توجد أرض لها
أصوات طرق وحفان تصدر عن القصء نفسه يهبط الغلام وينتد

الحو بالعبوم بعض الشيء، مثل كوب ماء حين تسقط فيه قطرة من
 المذاذ امتراح مشوه ما هو بالامتراح، حركة انتشار اللار ما هي الدم،
 أشياء تعبر في هيتها، يد عامصة المعالم تتحول إلى وجه برويسور
 تقيد ي دي لحية صغيرة على دقه، وموكل على عيه، ثم إلى قبل
 من قبله اسيرك واقف في رية مهرجة فوق عربة مسطحة صوت
 الطرق يتحول إلى دوي قطار يسير على سكة ملأى بمحولات المسار،
 يتحول القطر إلى مقطوعة موسيقية، فحفيف سانس القمح الأشياء
 كلها تسود في ظلام الليل المتقصر لهب حاد تنبعث من حودة ذات
 ريشة فوق درع حديدية، وإد بالأشياء كلها تصح قاسية ونائه يعود
 النور من حديد يظهر باب صحم من لكريستال الوردى لا يبره
 نور، بل يشع هو نفسه بالنور فوقه ملاكان بديل من أوراق شجر
 مجمدة، هما أيضًا من لكريستال الباب مسدود بقصاص مصوغة،
 أو مصهورة، من الحديد المدهون باللون الوردى يرى أن كل شيء
 قد بقي على حاله من دون أن يتعرض لتلف بعد هذه السنوات
 كلها إنه في مرله، «حالي الهموم» على الرعم من أن اباب مسدود
 بالقصاص، يستطيع دخول المنزل، لكن العرف حالية، وتعديلات
 جمة أحرقت على المنزل فلا يعود يتعرف شيئًا، وامتلا بالنعائل
 والمنحونات والرخايف يسود صمت مثل صمت أعماق البحار
 يخوض عبر لعرف المتحولة إلى صالات كبيرة مصعوبة بالعة، وكأن
 شيئًا ما يعيقه عن المسير فجأة يرى شيئًا مألوفًا، عرفة مكنت والله
 الصغيرة في الجهة الحلقية من المنزل، ولكن في المكان الذي كان
 الحدار المائل يتصب فيه، يقوم مبنى من الرخاخ، شبيه بدفيئة راحية

أوبيب راعي، في داخله ماهرة صغيرة، وواجهة معد عريفي شاهقة
وبعضاء يياص الكلس



ها هو يرفد على الكبة في سر واله الداخلي فقط، أبواب اشرفة
معوحة على مصاريحها على المساء الصيبي الدائم لا يصي. العرفة
سوى صوء العسق ومصايح الشارع يرى كيف أن الشمس قد لمحت
في وجهه وصدره وساقه من الأمام على الرعم من أن بشرته الصارية
إلى السمرة لا تلمحها الشمس سريعاً، فإنها الآن تبلغ من الاحمرار
في تلك الأماكن كما لو أنه قد تعرض لصرب مبرح عندما أبغظته
«ساندرا»، كان عد أيام ساعه ونصف الساعة أثناء اليوم، تغل يدوره
الدموية من سرعتها، في حين تزداد سرعة في الشمس من أجل أن
يتخلص الجسم من الحرارة الزائدة، وعذتد يُصاب لإسنان بلحمة
الشمس استنقط على ألم قطيع في رأسه، لكن في المقعد الحلي
لسيرة، في الظل لمعش، كاد ألم رأسه يحتمي بشكل كامل لعل
اليد الذي تدوله أثناء العدة كان له علاقة بذلك

كأن أصوات حركة المرور تنأى إلى سمعه بلا توقف من
اسعد، ولا يتأهى إليه من الشارع سوى أصوات الناس الجالسين
على شرفتهم أو على الرصيف أمام منازلهم كان ثمة طفل يعرف
على الذي على بعد بضعة منازل منهم لأن «ساندرا» لم تستطع أن
تحل إلى النوم، أرقبتها «سانسكيا» في سريرهما الكبير بعد العشاء،
ورقدت بجاسها، مما لبثت أن عطت في نفسها في النوم
حق «أنطون» أدمه وهو يشعر بالتمب كان يهكر «تاكس».

وبأن كل شيء في هذه الدنيا يكشف عاجلاً أم آجلاً على ما يبدو،
وُتيت في أمره، ثم يوضع جاساً. كم مضى من الزمن على ريارته
لآل «بويمر»؟ نحو خمس عشرة سنة، فترة أطول من عمره في سنة
١٩٤٥ لا بد أن السيد «بويمر» يرقد الآن في قبره بهدوء، ولعل
السيدة «بويمر» قد لحقت به هي الأخرى. لم يعد إلى «هارلم» مد
ذلك لحين و«هاكه»؟ الله وحده يعلم في أي أرض يعيش، هذا ليس
بالأمر المهم، بعله أصبح مديراً للشركة التي كان يعمل فيها في «دين
هيلدر» و«ناكيس»؟ «ناكيس» أمره محتف، لقد بكى أحدهما مع
الأخر كانت تلك هي المرة الأولى التي بكى فيها لما حدث، لكنه
سم يث والدته و«بيتر»، من موت فتاة سم يرها في حياته «تروس»
«تروس» ماذا؟ اعتدل في حديثه بعض الشيء، وحاول أن يذكر
كثيراً، لكنه لم يستطع تذكرها لقد أعدت على تلال الشاطئ رمياً
بالرصاصة، وانساب دمها في الرمل

أعلق عليه علة يستحضر ظلام تلك البرانة، وأصابعها انسي مرّت
على وجهه برؤ وحسن وضع يديه على وجهه، وراح يحذق بعين
متحنتين من بين قصبات أصابعه تنفس تنفساً عميقاً، ومسح شعره
إلى الوراء يديه لا تيسر يحب أن لا يعمل هذا، هذا شيء خطير
إنه ليس على ما يرام، يجب عليه أن يذهب إلى اليوم، لكنه شاك
در عيه على صدره وراح يحذق أمامه من جديد

«ناكيس» تحتفظ بصورتها هل يجب عليه أن يذهب إليه ويحدث
شخصيتها؟ كانت حبه «ناكيس»، حبه الكبير على ما يبدو، ومن
الذي يهي أن يكون له الحق في أن يسمع أخبارها الأخيرة مع لك

لا يستطيع أن يتذكر شيئاً مما قالت، لا يتذكر سوى أنها تحدثت كثيراً وأنها لمست وجهه. النعم الوحيد الذي يستطيع جبهه من زبدرة «ناكيس» هو إخراجها من الحضور الحميم الكثيف، ووضعها في صورة معينة، فهو يرغب في ذلك؟ أليس يحط بذلك من مكانتها عنده؟ لا يهم إن كان وجهها جميلاً أو دميماً، حداثاً أو غير جذاب، أو أياً كانت صفاته، لكنه على الأقل سيتصوره كما كانت هي في الحقيقة وليس على هيئة أخرى، في حين الآن ليس بمقدوره أن يتصورها إلا في صورة حيالية محضة، مثل لأطفال الكاثوليكيين الذين يتصورون لملائكة الموكله بحمايتهم في صور حيالية

وعندئذ حدث ما ينبغي بهض من وصية استلقائه على نحو يذكر بالحركة الرشيفة وحالة انعدام انورن التي يطلق بها الهلوان من الشكة بعد أن يقهر فيها من عنو شاق، وحش عني ركبتيه، وراح يتأمل الصورة التي كان يحرق فيها طول ذلك الوقت من دون وعي به الصورة المضطرة الموصوعة بحجاب لبدسات فوق الحراة المصوعة من حشب الماهوعوي لمطعم النحاس على الرعم من أنه لا يستطيع تمييز لصورة عن الأشياء الأخرى في ضوء العسق، فإنه يعرف أنها هي «ساسكيا» هي فستان أسود طويل إلى الكاحلين، ويغطيها متكور بـ«سندرا» التي وصعتها بعد بضعة أيام من التفتاط الصورة ليس صحيحاً أنه لم يكن لديه تصور شكل الفتاة انشابة التي تبين أن اسمها كان «نروس» لقد تصورته منذ اللحظة الأولى على هذه الهيئة وليس على هيئة أخرى هيئة «ساسكيا»! هذا ما رآه في «ساسكيا» منذ لحظة الأولى، في ظهر ذلك اليوم، عند «حجر

المصير، في دبر «وستمستر» كانت «ساسكي» تجسبداً للتصور الذي لا بد أنه سكن كياهه من دون وعي منه، منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره، وقد ندى في شخصها جيداً، ليس كشيء مألوف، بل كحب من المطرة الأولى، ويقين من اللحظة الأولى من أنها ستبقى معه وتحب له طفلاً!

راح يدرك العرفة جيئة وذهاباً في قلق واضطراب، ما هذه الأفكار التي تصور وتجول في رأسه؟ ربما ذلك صحيح، وربما لا، ولكن لو أنه صحيح فعلاً، ألا يعني هذا أنه ينحصر في «ساسكي»؟ السبب هي نفسها إنساناً في المقام الأول؟ ما علاقتها هي بقائه ماضياً أعدمته على نلال الشاطئ وبمسحت عظمها منذ أمد بعيد؟ إذا لا يجوز لها أن تكون نفسها، بل يحب عليها أن تمثل شخصاً آخر، ألا يعني هذا أنه يحطم علاقته الزوجية معها؟ إنها لا يمكن أن تكون شخصاً آخر، ومن ثم لم يكن لها أن تعطى به في المقام الأول، إذن هو، لأن مشعن بطريقة أو بأخرى يغتلبها ولكن من ناحية أخرى إذا كان الأمر كذلك فعلاً، فما كان له أن يكون الآن مع «ساسكي»، لو لم يلتق في ذلك الوقت تلك الفتاة في لربنة تحت مركز الشرطة المرأتان إذن لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، أي أن حياته هو الذي يلعب الدور الرئيسي في ذلك «ساسكي» لا يمكن أن تشبه «تروس» بطبيعة الحال، لأنه لا يعرف شكل «تروس» أصلاً، وفصلاً على ذلك، لو كانت تشبهها، لكان «تاكيس» عدل «ساسكي» على نحو مختلف، لكن اهتمامه بها يكاد يكون معدوماً «ساسكي» تشبه حصراً ذلك التصور الذي استثارته «تروس» لديه، لدى «أنطون»

ولكن من أين أتى ذلك التصور؟ ولماذا ذلك التصور بالذات وليس غيره من التصورات؟ لعله يستلزم من مصدر أقدم بكثير، لعله حسب تفسير فرويد مستمد من صورة أمه عندما كان في المهد.

ذهب إلى الشرفة، ونظر إلى الأسفل من دون أن يرى شيئاً عندما كان يسمع في المستشفى أن زميلاً حديداً يدعى كذا سيدوم معهم في اليوم التالي، كان يتصوره مباشرة على نحو معين ويشين فيما بعد أن تصوره ثم يكن صحيحاً بأي شكل من الأشكال ويساه بمجرد رؤية تشخيص المعنى لكن من أين كان يأتي هذا التصور؟ حدث معه الشيء نفسه مع كتاب وفنانين معروفين أيضاً كان إذا ما وقعت عينه على صورهم لأول مرة، أحدثته دهشة وراء دهشة، الأمر الذي يدل على أنه كان قد تصورهم على هيئة معينة من دون وعي به حتى لقد حدث أن فقد لاهتمام بأعمال كتاب رأى صورهم حدث له ذلك مع كتاب «جيمس جويس»، لا لأن «جويس» كان فيج الشكل، «سارتر» كان أكثر منه فخاً، ورؤية صورته لم ترده إلا اهتماماً بأعماله يبدو أن تصوره المسبق كان أصح من الواقع في بعض الأحيان.

عبارة أخرى، ليس ثمة خطأ في أن يشبه «سامسكي» بتصوره عن «تروس» في تلك الظروف استدعت «تروس» في ذهنه صورة تبين أن «سامسكي» نستوي مواصفاتها، وهذا لا عيب فيه، إذ إن الصورة ليست صورة «تروس»، بل الصورة التي سبجها حياته عنها، وأما من أين نشأت، فهذا لم ير ليس بأي أهمية ثم إن الأمر يمكن أن يكون معكوساً لقد استحوذت «سامسكي» على قلبه من النظرة الأولى،

وربما لهذا السبب يُحيل إليه في هذه اللحظة أن «تروس» كانت
نشهها حتمًا. لكنه في هذه الحالة يرتكب مظلمة بحق «تروس»،
لذلك من واجبه أن يعرف ليس اسمها وحسب، بل وهيتها الحقيقية
أيضًا، هيتها هي «تروس كوستر»

مال الحو إلى شيء من الرودة تاهت إلى سمعه من البعد
أصوات صفارات الإنذار لسيارات الشرطة لقد حدث شيء ما في
المدينة من جديد، كما جرت العادة مد ما يقارب الساعة كانت الساعة
تشير إلى العاشرة والنصف، فقرر الاتصال بـ «تاكيس» في الحال
صعد إلى الطابق العلوي، إلى غرفة اليوم هناك أيضًا، كانت الستائر
ما تزال مفتوحة كانت الطابيات مريحة إلى طرف، و«سادرا» نائمة
تحت الشرف بعم مفتوح، وإلى حاسها ترقد «سامسكيا» على بطنها،
نصف عارية، وقد طوقت ساق صغيرتها بذراعها وقف يظن إبهما
في الصمت الدافع المشع باليوم انتابه شعور بأنه مرّ بشيء كثرني
قل قليل، وها هو يظهر على شكل تشويش ذهبي رهيب هلوسات
عصمت برأسه، من حراء تعرضه لصرة شمس يجب عليه أن يسي
كل شيء، ويذهب إلى اليوم

لكنه بدلًا من الذهاب إلى اليوم، مضى إلى سترته التي كانت
«سامسكيا» قد علقتها على ظهر كرسي، وأحرج بأصبعين اثنتين
ورقة العنوان من جيبتها وهو يحس إحساسًا عامضًا بأنه يتمادى في
فعل ما لا يجوز

- أهلاً بك في أي وقت! نستطيع المحييء في الحال، إن أردت.
 أجاب «تاكيس» بهذا الجواب، عندما سأله «أبطون» متى يستطيع
 الذهاب لزيارته حين قال إنه يعاني قليلاً من ألم الرأس، قال «تاكيس»
 «ومن لا يعاني؟» كان «أبطون» سيحاول في اليوم التالي إلى الساعة
 الرابعة بعد الظهر، فاتفقا على موعد في الرابعة والنصف
 كان الطقس ما يزال حاراً، بذل كثيراً من الجهد من أجل أن يركب في
 عمله، وشعر بالسرور عندما استطاع أن يخرج من المستشفى ويذهب
 سيراً على الأقدام إلى شارع «بيوي رابندس هوربورخ هال» الواقع
 في مركز المدينة كان لا يزال يكاد ألم وجهه وصدره المدهوحين
 بالشمس في صباح ذلك اليوم أسروا «ساسكيا» في دهب بكرهم
 اشمس للمرة الثانية، فحطرت في سله في غضون ذلك أن يحبرها
 بموعده مع «تاكيس»، لكنه لم يفعل في شارع «سادو» كان يقف
 دتل من سارات الشرطة ذات اللون الأزرق، كان التوتر ما يزال
 يسود المدينة، لكن ذلك مات من الأمور العادية، وعلى عمدة المدينة

ولورير أن يجدا حلاً مناسباً كان «ناكيس» يقيم في مرب صيو عالٍ يقع خلف القصر الملكي في ساحة «دام»، لا يمكن الوصول إليه إلا من بين الشاحات لواقفة هناك كانت واجهته مريّة بلوحة حجرية تنحدر من أيام انعر، مفوض عليها حيوان أسطوري سمكة بين فكيه، كتب في اسمه

القصة

على درجات السدم مضى بعض من الوقت قبل أن يعثر «أنطون» على اسم «ماكيس» بين الأسماء المنقوشة للمكاتب والشركات والأشخاص كان اسمه مكتوباً بقلم رصاص على قصاصة ورق، مشته بدبوس تحت حرس، كان عليه أن يدقه ثلاث مرات حين فتح «ناكيس» الباب، لاحظ «أنطون» على الفور أنه شارب كنت عساه دبّيس، ووجهه مبقّع أكثر من ليوم لائق لم يكن قد حلّى دقه، فانتشرت طيفه شهية من شعيرات اللحية على فكيه وحتى باقة قميصه الممتوحة نعه «أنطون» عبر ممر طويل مرتفع لسقف، تقشر لكلس عن حذرانه، فيه دراجات هوائية، وصديق، وسطون، ولوحات من الحشب، وقارب مطاطي شبه درع من الهواء من حلف الأبواب المظلة عليه تُسمع أصوات الصرب على الآلات انكأنة وصوت اراديو يعصي إني العمر ملهم حلروبي عتبق من حشب الموطد، يجلس عليه رجل عجوز يرتدي قميص بيحامة فوق سطاله، وقد انهمك في تصحيح مجدف قارب

سأل «ناكيس» من دون أن يظن وراءه

- هل قرأت الجريدة؟

- ليس بعد.

وصل «ناكيس» إلى باب في نهاية الممر في الجزء المحلي من
المرل، ودخل حجرة صغيرة تُستخدم كغرفة نوم، ومكتب، ومطبخ
كانت تصم سريرًا غير مرتب، وشيئًا يشبه طاولة مكتب معطاة
بأوراق، ورسائل، وكشوفات بلك، وحراند ومجلات مفتوحة، وبين
هذه الأشياء كلها فجان قهوه، وصفحة ملأى بأعقاب السجائر،
وبرطمان مربي مفتوح، وحتى عردة حذاء شعر «أنطون» بالاشمئزاز
من هذه الأشياء. لمعثرة التي لا يمت أي منها بصلة إلى الآخر
في البيت لم يكن يطبق رؤية مشط أوقفار إذا ما وصته «ساسكي»
لحظة قصيرة على طاولة مكتبه برطمانات، وحناء، وأطواق
غير محلية، وحفائب، وكان «ناكيس» على وشك الانتقال إلى
منزل آخر كانت لفافة فوق المحلي مفتوحة على هذه يعج أيضًا
بالكراكيب وتصدح فيه الموسقى أحد «ناكيس» حريضة مفتوحة
من فوق سريره، وطواها تصح مرات إلى أن بقي مقبل واحد فقط
على صمغتها لرؤية

فان

- أظن أن هذا الأمر يهمك أنت أيضًا

قرأ «أنطون»

«فيلي لاهيس»

- نسخة متدهورة -

قرأ «أنطون»

على حد علم «أنطون»، كان «لاهيس» رئيس المحاضرات العامة

أو «لجسايو» هي هويدا، ومسؤولاً بحكم وظيفته تلك عن الآلاف من الإعدامات وترحيل مائة ألف شخص من اليهود بعد الحرب، حُكم عليه بالإعدام، لكنه حصل بعد بصع سنوات على تخفيف لحكم من لإعدام إلى المؤبد. خرجت حينذاك مظاهرات حاشدة ضد تخفيف الحكم، لكن «أنطون» لم يشارك فيها.

سأله «تاكيس»

«... رأيت أنت؟ لأنه «مريض»! اسأ الحبيب المدلل «بيبي»! سوف ترى كيف سيتعامل لشعاع بمجرد أن يصل إلى ألمانيا! وكيف سيمرض لعدد من الناس فعلاً من «طلاق سراحه»، ولكن هذا أقل إيلاناً! هؤلاء اسادة الإنسانيون لا يستطيعون «طهار» أحسابهم إلا على حسابنا نحن مجرم الحرب مريض، وأسفد على هذا لحم المسكين! فطلق سراح هذا العاشي في الحل، لأننا لسنا فاشيين، ولأننا نريد أن تنقى أيدينا بطيعة هل حقاً سمر من صحاباه؟ يا نهم من أناس حاقدين، هؤلاء الذين يعارضون المعاشة ولا يختصون عن المعاشين قيد العملة! انتظر قليلاً وسوف تسمع هذا كله! وهل تعرف من سيكون أكبر المؤيدين لإطلاق سراحه؟ كل أولئك الذين لم يلطخو أيديهم أثناء الحرب، وعلى رأسهم الكاثوليكيون طبعاً. عندما اعتد الكاثوليكية بحظه دحوله السجن، لم يفعل ذلك جرأاً ولكن لودح هو حنة، فصبت أنا جهنم

نظر إلى «أنطون» وأحد المجريدة من يده

«... إنك رصيت بالأمر الواقع، أليس كذلك؟ نكبي سأعتبر أن

شعر «أنطون» د لارتك أمام النظرة الثاقبة المتجلية في عيه
اليسرى من هما يلعبان لعبة من مهمما سيرمش بعينه قبل الآخر؟
حصص عيبه، وسأل وهو يحيل بصره فيما حوله
- وأنت؟ لقد كنت عبثاً إلى درجة أنني لم أتصل بأحد كيف
تكتب قوتك ليومي؟

- إنك أمام معلم رياضيات نارع

نعجز «أنطون» بالصحك

- طولة مكتبك لا تندو مرتبة كما يحذر أستاذ رياضيات

- هذه القدرة التي تراها جاءت من الحرب أنا أعيش من دعم
مؤسسه ٤٠٥ - ٤٤٥، ستي كان لسيد «أدولف هتلر» الفصل في
تأسيسها، فأقدي بذلك من الرياضيات. لولا أفصالة، لكن
حتى لأن أفق كل يوم أمام الصف أعطي دروس الرياضيات
لتخط راحة ويسكي من فوق رف القاعد، وص ل «أنطون»
كأنا منها وقال

- فلترب بحب الرحمة مع عديمي الرحمة

وطرق كأسه بكأس «أنطون»

- في صحتك

أحسن «أنطون» أن لويسكي العاتر لن يكون في صحته، لكنه لم
يستطع إلا أن بشره كان «ناكيس» ساحر أكثر من يوم «الأمس» ربما
سب العقار لمشور في الجريدة، أو سب الكحول، أو ربما نعمد
أن يكون ساحراً لم يدعه إلى اجنوس، الأمر الذي أثار إعجاب
«أنطون» لسب أو لآخر لمدد يحد عن الناس أن يحسوا دائماً؟

الم يُدعى رئيس الوزراء الفرنسي «جورج كليمانصو» وهو واقف
حسب وصيته؟ كنا يقفان في الحجرة الصغيرة أحدهما قسالة الآخر،
وهي يد كل منهما كأسه، كما لو أنهما في حفلة «كوكبيل»
قال «ماكيس»

- على فكرة، أُن أَيْضَ عملت في المجال الطبي في وقت من
الأوقات.

- حقًا؟ أنحن زملاء لمهنة؟

- تستطيع أن تقول هذا

قال «أنطون» وهو يتحدث بآه عني وشت أن يسمع شيئًا عظيمًا
- أحري المريد

- فلاحظ إنني كنت أعمل في مركز تشريح - في مكان ما في هولند
كان المدير قد وضعه في خدمتنا من أجل إنجاز مهمة حيرية
هناك كنت نقام المحاكمات، وتصدر أحكام الإعدام وأحكام
أخرى، وتُنفذ أيضًا
- هذا غير معروف

- ويحب أن يبقى غير معروف أيضًا فانت لا تعرف متى تصطر
إلى استخدامه مرة أخرى كانت مسألة داخلية أكثر من أي
شيء آخر انحنون في المقاومة، والجواسيس، وقضايا من
هذا النوع في لقبو كان هؤلاء يُحقنون بمرطوبيلة من حمض
نكرونيك في قلوبهم مباشرة ثم يقوم أبطال «حرون» في اللباس
الأيض مضطجهم إلى شرائح صغيرة فوق مجنى من الرخام في
ذلك القبو كان يوجد حوض كبير من المرمر الأبيض مليء بالأدان

والأيدي والأبواب والأعضاء الذكورية والأحشاء كان من الصعب أن يعاد تركيب الأشخاص المنهد بهم حكم الإعدام تلك الأشياء لم تكن تصلح إلا للتعميم، لا بد أنك تفهم ما أعني،
نظر إلى «أنطون» في تحد.

«أعرف أنه لا يوجد في قنبي درة من الحير»
قال «أنطون»

«إن كان ذلك يساهم في إبحار المهمة الحيرية»
«كان الألمان يخافون من ذلك المركز، ويفصلون اللقاء بعيداً عنه كانوا يعدونه مدينة أشباح»
«لكنه لم يكن هكذا بالنسبة إليك»
«كان هناك صف من حديدات عابية لأدراج حرارية، في كل حرارة نحو خمسة أدراج، وفي كل درج جثة لقد نصبت لبله في أحد تلك الأدراج، حين اضطرت إلى الاحتباء عن الأنظار فترة من الزمان»

«وهل سميت يوماً هنس؟»

«هنا ليس بعده هباء»

«هل تسمح لي أن أسألك يا «تاكيس»؟»

«أجاب «تاكيس» بصحكة حلوة مداهمة»

«اسأل كما تشاء يا سي»

«ما قصدك من هذا؟ أنت تدرسي على تحمل الصعد أو شيء من هذا القليل؟، سي ست في حاجة إلى ذلك أنا قلت «هجي» وأنت تعرف ذلك أكثر من أي شخص آخر»

ينظر إليه «ناكيس»، وظل ينظر إليه وهو يأخذ رشعة من كأسه
- أريدك أن تعرف أنت أيضًا إلى الشخص الذي تتعامل معه
بني ينظر إليه لحظة أخرى، ثم أمسك برجاجة الويسكي
- تعان معي اترك الباب مفتوحًا من أجل الهاتف

عط السلام وراء «ناكيس» إلى القو حيث يوجد ممر أيضًا أدار
«ناكيس» المفتاح في باب يقضي إلى حجرة محمضة السقف،
لم يعرف «أنطون» طبيعتها من الوهلة الأولى كان حوها حائقا،
ويتسلل إليها من خلال اسوداد العموية صوء باهت، أصاف إليه
«ناكيس» صوء الرد لصف من مصباح البيون، من بينها مصباح
بني يرتعش بومصات نفضحة ضعيفة على طرفه يدل بلاط
الحائط الأبيض المتكسر على أن هذه الحجرة كانت مطبخ الممرل
في الماضي، فعلى طول سقفها لمحفض تمتد أبابب التدفئة وأنواع
أخرى من الأسلاك تتوسطها طاولة من الخشب، فوقها مقصدة ملأى
هي الأخرى بأعقاب السجائر، وبحاب الحائط الطويل تقوم كة
نالية من انقطعية الحمراء، ولا شيء آخر سوى حراة ملاس من
الطوب القديم امرأة في ثابها، ودراجة هوائية قديمة بدت لحجرة
في جعلها مثل ملجأ، قاعده عسكرية تحت لأرص، وخاصة بهذه
الحريطة المصفرة، المشقوفة هنا وهناك، المشنة بشرط لاصق على
الجدار بمقابل للكسة سار «أنطون» إليها حاملا كأسه في يده،
وقرأ في روايتها اسمى على الطرف الأبيض «طوبوعرايا ألمانيا»
لقد عطنتها أسهم حمراء وورقاء، مثل أمواج الطوفان، مشيرة إلى
الهجمات لتي كسب تطلق من روسيا وفرنسا باتجاه برلين، وتلتقي

هناك لم تبقى أية بقعة منها من غير تلويين ما عدا مناطق شمال الماني
ووسطها، وغرب هولندا استقرت عينا «أبطون» على شيء من رسم
على البحر. على اللون الأزرق المصغر ثمة أثر عامض نعم دي لوب
أحمر فاتح: قبة طمعت عليه شمتين مصطفتين بأحمر الشمام
النصب إلى لوراء كان «تاكيس» حالًا على الكفة، واصفًا إحدى
ماتيه على الأخرى، ومحدث فيه

قال

- هذه هي الحال

أهذه الخريطة مملعة ها لهذا السب؟ أليس بدافع الحبس العساك
إلى الحرب، بل سبب صورة فهم المطوعة عليها؟ أمو متحد من
هذا القبر صومعة لإحياء ذكراه؟ ولكن لعله لا يحد فرحًا بيها وبين
الحرب لعل الحرب أصبحت حبيته، فهم يعد بإمكانه إلا أن يكون
مخلصًا لها، ولعله حين يتحدث عن قطاعاتها، يتحدث في الواقع
عن «تروس كوستر» وعن الفترة التي كان سعيدًا فيها

على الرعم من أن «أبطون» كان يستطيع الوقوف منتصب الغامه،
فإنه سار إلى الكفة حافضًا رأسه على نحو غير إرادي جلس إلى
حانب «تاكيس»، وعاود النظر إلى انهم المبعث من بحر الشمان
وكان باقي وجهها قد بقي تحت المياه (حين كان صبيًا في الحادية
أو الثانية عشرة من عمره، كان يحيل إليه أنه لو نظر بالمجهر إلى
خريطة هولندا، لرأى الناس يمشون في شوارع «هامل»، ولو كان
ذلك في حديقة منزله، لرأى نفسه مسحبًا فوق المجهر) «أوفيلد»
الجميلة فقد لامست شمتها هذا المكان على الخريطة، ربما عندما

كانت تقوم مع «تاكيس» برسم الأسهم عليها وفق المعلومات التي
 يشها في ديورلدن»، وتحدث معه عما سيعلنه بعد التحرير سمع
 صرب هيجان القصصات الهوائية في صدر «تاكيس»، الذي صب لنفسه
 كاتبا أخرى والسبحرة بين شعبه، وبقي على صمته لم يسق أن شعر
 «أنطون» بعنل هذه الصلة الحميمة مع أي رجل آخر، ولعل «تاكيس»
 براوده لإحساس نفسه نرامى من الشرع ريب آخر من حاجت نظر
 بي الدراجة الهوائية بها دراجة رجالية بأسوب علوي، ومقعد من
 لطارر تقديم لم يعد موحودًا في الوقت الحالي كد يدعى في
 السابق «مقعد تيري»

عدتد رأى صورتها.

كانت في حجم بطافه بريديه، وكان طر فيها السطلي معرورا وراء
 شريط كهرباء، عبر بعيد عن الحريطة بدأ قلبه يحقق بشدة حذق
 بجمود في لوجه الذي نظر إليه أحيرا بعد حدى وعشرين سنة. حين
 مصت بصع ثواب، ألقى نظرة على «تاكيس»، الذي كان يحقق في
 الدخان اندي بعثه من فمه، ثم بهص عن مقعده ويمم وجهه صوب
 «ساسكيا»^١ «ساسكيا» هي التي نظر إليه أطلع هي ليست
 «ساسكيا»، ولا تشبهها حتى، ولكن نظرة عبيها هي تلك انطرة
 نفسها لني رآها في عيني «ساسكيا» عندما التقاها أول مرة في دير
 «وستمنستر». فتاة لطيفة، غير لافتة للأظار، في نحو لثالث والعشرين
 من عمرها ابست منها تعيل فمها إلى جهة وجهها اليسى، وتم عن أنها
 على جانب عظيم من سعه الأفق، ما يتقصص مع مستأنها الصبق دي
 انفة العالية، المعطرز من الأمام والذي يشي بأن له كُمين منوحين

شعرها سميك مموج، مسدل حتى الكتفين، لعله أشقر دأكر، لكن
لا يمكن استبان ذلك في الصورة المنقطعة بالأسود والأبيض لأن
الإضاءة مسلطة عليها من الحجاب، فإن شعيرات كشعة قد تشعث
وتناثرت حول رأسها على الحلبة الداكنة
كان «ناكيس» قد جاء ووقف بجانبه

- هي؟

أجاب «أنطون» من دون أن يحوّل عييه عن الصورة

- يجب أن تكون هي، يجب أن تكون هي

أخيراً خرجت من الظلام وظهرت أمامه - وهي عيها نظرة
«ساسكا» تذكر الحوادث التي راودته مساء أمس، لكنه من شدة
الانفعال لم يعد يدرك المعنى الذي تضمنه ذلك الشبه كما أن
«ناكيس» لم يسمعها المرصه، فقد أمسكه من كتفيه فجأة، وكأنه استرق
كل ما لديه من جهد في السيطرة على نفسه، وراح يهره مثلما يهر
معلم طفلاً باعساً

- أحرمني! ماذا هالت لك أيضاً؟

- لا أنذكر

- هل تكلمت عي؟

- لا أنذكر يا «ناكيس»!

فصاح «ناكيس» بصوت عالٍ

- حاول أن تتذكر، اللعبة!

وانتابته على الفور نوبة سعال دفعته إلى ركن من أركان الحجرة،
حيث انحنى بعدده، مستنداً يديه على ركنيه، وبقي يسعل في تلك

الوصية حتى كاد يتقيا من السعال حين اعتدل في وقوفه وهو يلهث،
قال «أنطون»:

- حتى كل شيء يا «نكيس» أتسى لو أستطيع أن أخبرك
بما قالت، لكنني لا أتذكر سوى أنها لامست وجهي فيما بعد
رايت الدم عليه، وهكذا عرمت أنها كانت مصابة أرحوا تنفهم
أنني كنت في الثانية عشرة من العمر، حتى أبي لم أعد أتذكر
كيف كان صوت أبي كان مرليا قد أصرمت البار فيه نثر، وكان
أبي وأمي وأخي قد احتفوا كنت مصدوماً، وجائعاً، ومسحوباً
في دراة مظلمة تحت مركز شرطة

قال «نكيس»

- مركز شرطة ١٩

ونظر إليه نعم مفتوح

- أي مركز؟

- في «هيمستيد»

دنت عن دراعي «نكيس» حركة ثم عن انيأس

- كنت مسحوبه هالك إذن .. يا يسوع اللو كما تعلم أنها تصع هالك،

لاستطعا أن نهزها كنت أظن أنها في «هارلم»، في سجن

رأي «أنطون» عليه أنه انشغل في تلك اللحظة بمسها بوضع حطة

كاد يستطيع موحها أن يدهم مركز الشرطة في «هيمستيد» حول

عبيه عه، وراح يدرع المحبرة حيثة ودهاناً باستياء لقد فُحني كل شيء

من الأبد، حتى من لوجود كان يعلم أن «جامعة تقوم في الوقت

الحاضر بإجراء التحارب على استخدام عقار «الزل إس دي»، ويعلم

أن كل شيء ما يزال محترقاً في مكان ما من دماغه، وأن الأشخاص
 الجدد الذين راغبت في الحصول لهذه التجارب مرحب بهم، ولو
 حصص لها، لربما عادت هذه الذكريات إلى الظهور لويحبر «ناكيس»
 عن هذه التجارب، من الممكن أن يبلغ من لجون ما يدفعه إلى
 إجباره على الحصول لها، وهو لا يرغب في ذلك، فهو لا يريد أن
 يشتر للمضي بمساعدته المواد الكيميائية وهو قد يوافق ذلك يوحد احتمال
 أن لا تظهر هذه الذكريات، بل يظهر شيء آخر، شيء غير متوقع،
 لا يستطيع التحكم به

قال

- أتذكر فقط أنها حكيت حكاية طويلة عن شيء ما

- عن أي شيء؟

- لا أتذكر

صاح «ناكيس»

- يا يسوع المسيح!

وحرق ما بقي في كأسه، ثم حط الكأس على الطاولة ودفعها
 بقوة عليها، كما يفعل صاحب حبه في أفلام رعاة البقر:

- لا أتذكر! لا أتذكر!

بقي «أنطون» واقفاً، وقال

- إنك تفصل أن ترتطي إلى كرسي، ووجه مصحك إلى وجهي

ونسحب مني الكلام سحناً، أليس كذلك؟

أهرف «ناكيس» لحظة، ثم قال بإيماءة

- طيب طيب

لم يكن «أنطون» في حاجة إلى النظر إلى الصورة مرة أخرى
يرى كيف كان شكل «تروس كوستر»، فقد انطع وجهها في ذكرته
«طاعة لا يمكن أن يُمنحى

سأل

- هل كنت متزوجاً؟

صوب «ناكيس» كاتاً أخرى لنفسه، وجاء إلى «أنطون» والراحه

في يده

- كنت متزوجاً، نعم، ولكن ليس بها كان لدي زوجة وولدان

من عمرك أو ربما أصغر منك، لكنني كنت أحبها هي، أما هي

فهم يكن تحسني كنت مسعداً لأن أنحلي عن أسرتي من أهلها،

لكنها كانت تصحك من ذلك عندما كنت أقول لها إسي أحبها،

كانت ترد إسي أبلع، وإسي أتوهم ذلك، لأننا مررنا معاً نتحارب

كثيرة على كل حال، إسي مطلق الآن

راح يذرع الحجرة كان سطاله قد تهدل سرجه، واهترأ من الحلف

قال «أنطون» في نفسه: هذا كل ما تبقى من لمفاومة، رحل مهلهل

الملاس، بائنس، وسكران، بقصي حياته في فبو ربما لا يحرج منه

لا ليواري أصدقه الثرى، في حين يُطلق سراح مجرمي الحرب،

وتستمر الحياة عبر عتبة به.

قال «ناكيس»

- حكاية طويلة أحل، كانت بارعة في الحكايات لطويبة، تلك

الثرثرات! كما نندردش إلى ما لا نهاية، ودائماً عن الأخلاق

وفي بعض الأحيان عما مستقول إليه الأوصاع بعد الحرب،

لكها في تلك الحالات لم تكن تتكلم كثيرًا، في إحدى المرات
 قالت إنها عدم تفكر في فترة ما بعد الحرب، تشعر أنها تتطلع
 في حقبة كبيرة ظلماء عندما كنا نتحدث عن الأخلاق، في
 تطلق في الحديث سألتها في إحدى المرات «إذا قال لك
 أحدهم «الإس إس» أن تحذري بين شخصين يريد عدمهما
 رميًا بالرصاص، أينك أو أملك، ويحب أن تحذري واحدًا
 منهما، وإن لم يعوي شيئًا فإنه سيطلق الرصاص عليهما
 لاثنين - فماد ستفعلين؟» كنت قد سمعت بحدوث مثل
 هذه الحالة

قال ذلك وألقى عقب سبجته في المنصة
 - سألتني هي ماذا سأفعل أنا، فأحتها بأني سأعد أررار ستره
 العسكرية: أمي، أمي، أبي، أمي . فأب لا نستطيع أن نفعل
 حبال الوحشية إلا الصحافة أما هي فقد قالت بهان نجس
 عن مؤال، لأن الشخص الذي يقترح مثل هذا الاقتراح لا يحترم
 كلمته، فهو قد لا يطلق النار عليهم، ولكن لو قُت على من
 المثار «أبي»، لربما قبل أنك فعلًا وادعى أنك أنت الذي أردت
 ذلك، وكان ذلك، حسب رأيها، صحيحًا بطريقة أو بأخرى
 كان جوابها ذكيًا كان رائعًا، رائعًا لقد قصصا بي طويله وحس
 نتحدث عن عمل يمكنك أن تتصور كيف كنا نجلس هناك -
 نحن الاثنين المحكوم عينا بالإعدام
 سأل «أعطون»
 - هل كان محكومًا عينا بالإعدام؟

لم يتمالك «تاكيس» أن يصيح
- طبعاً ألم يُحكّم عليك أنت أيضاً بالإعدام؟

ثم تابع

- في إحدى المرات ذهبت إلى البيت في منتصف الليل، بعد بدء
خطر التجوال بكثير. نكها أصعبت طريقها من شدة الظلام،
فحلمت في مكان ما في شارع حتى ابتلاع الحجر.
أحس «أنطون» رأسه إلى انوراء إضاءة خفيفة، وكأنه سمع من
مكان بعيد صوتاً يعرفه، إشارة واضحة ما لبثت أن احتفت

- الجيوس في مكان ما في الشارع حتى نلاح الحجر؟ كأنني
حلمت ذات مرة شيء من هذا لقليل

- كانت قد صلب طريقها تماماً لا بد أنك تستطيع أن تتذكر كم
كان الظلام حالكاً في تلك المرة

قال «أنطون»

- أجل، وددت أردت بعثته طوبى أن أصبح عالماً فكرياً
أحس «تاكيس» رأسه يعم، لكن لاح عليه أنه لم يكذب يسمع ما
قال «أنطون»

- كانت تفكر بالأمور كثيراً كنت تصعربي بعض أصوات، لكنها
كانت تفكر بالأمور أكثر مني كنت مقربة بها فلاحاً أحرق،
وباصياً أحرق ذات يوم، اقترحت عليها أن تحطب أولاد
الحاكم العسكري «سايس إيكهارت» من أجل أن يقاومهم
يصنع منات من رجالاً نار عصبها وقامت كيف يمكن أن
يحضر هذا بالي؟ وما علاقة الأطفال بعش هذه الأمور؟

صحيح، ما علاقة الأطفال بهذه الأمور؟ طبعاً لا علاقة لهم على الإطلاق! شأنهم في ذلك شأن أطفال اليهود الذين كانوا يبادون الواحد تنو لآخر. هذا يعني أن لا علاقة لهم على الإطلاق لكن لهذا السبب محسب، يجب عليك أن تصيب عدوك في أكبر نقاط ضعفه وإذا كنت أكبر نقاط ضعفه هي أولاده - وهي أولاده بطبيعة الحال - فعليك إذن أن تصيبه في أولاده ما الذي كان يحدث لأولئك الأطفال، إذ لم تتم تلك لعملية؟ كانوا سلقون مصيرهم المحتوم طبعاً، من دون ألم، في مركز التشريح

ألقى من طرف عيه بطرة حاطمة على «أنطون» وقال - أنا أسف أعرف أنه لا يوجد في قلبي ذرة من الحير - هذه هي المرة الثانية لتي تقول فيها هذه الجملة

قل «تاكيس» باند هاش بعد أن يمثله على بحورديء

- حقاً أنت متأكد؟! حساً إذن، دعنا نقول إن الحير انعدم من الدنيا، انفقاً؟ ثم تحدث العملية إذن شعاري هو «كر فاشياً حيال العاشيس»، لأنهم لا يفهمون لغة أخرى أتمنى لو يتحول شعاري هذا إلى قول مأثور ولكن باللاتية لا بد أنك بحكم در سنك تستطيع أن تترجمه

ردد «أنطون»

- «كر فاشياً حيال العاشيس» هذا لا يصح باللاتية كلمة «فاشر» تعني «حرمة قصاص في وسطها فأس» «كر حرمة قصاص حيال حرم الفصان» ليس لها أي معنى

قال «تاكيس»

- وهذا هو بيت القصيد «تروس» أيضًا لم ترأي معنى في ذلك
كانت ترى أنني أحب أن أحرص على ألا أنطع بحصاليهم،
لأنني لو فعلت ذلك، لمحتهم الفرصة لأن يتصرفوا عليّ نعم،
لقد كانت فيلسوفة يا «ستيفيك» لكها فيلسوفة ممسدة
في اللحظة التي قال فيها الجملة الأخيرة، كان يمشي بجانب
الحرارة انحنى بقمته، وفتح درجًا فيها، ووضع مسدسًا كبيرًا على
الطاولة، ثم تابع مشيه وكان شيئًا لم يحدث
نظر «أنطون» في رعب إلى الآلة لسوء الرماضة التي وضعت
هناك فجأة كانت تطلق من انهديد وانوعيد، حتى مدت وكأنها
محرقة الطاولة حرقًا

رفع عييه

- هل هذا مسدسها؟

- أجل، هذا مسدسها

كانت تلك الأداة ترقد في سكون على سطح الطاولة، مثل قطعة
آثار من حضرة أخرى، ظهرت أثناء القيام بأعمال استعيب
- هل أطلقت به النار على «بلوح»؟

فأجاب «تاكيس» وهو يتوقف عن السير ويصوب مسدسه نحو
«أنطون»

- وأصانته أيضًا!

أحد يحدق في المسدس برهة من الزمن، فرأى «أنطون» عيه أنه
بدأ يرى شيئًا آخر تدريجيًا قال وكأنه يكلم نفسه

- فمت تصرفات حمقاء في تلك الليلة ركسا دراحتيا وسرما عسى
 رصيف لقاء ذاك، حباً إلى حب، ويد أحدا في يد الآخر،
 منهم في السير قدر المستطاع كما يفعل عاشقان، أو على
 الأقل، كان الأمر هكذا بالنسبة لي. أفسحنا له الطريق ليجد ربا
 في السير، فألقى عليه أثناء عبوره نظرة خاطفة هتفت له
 «تروس» بابتهاج «يسعد صاحبك أب أيضاً» فصحك به
 قليلاً بعد ذلك بوقت قصير تقدمت «تروس» في السير كنت
 قد عقدت العزم على أن أقصي عليه على الفور، لكن الأرض
 كانت رليحة عندما رفعت يدي عن مقود الدراجة لأحرج بها
 المسدس من حبيبي، ترخلف بعض شيء، أطلقت رصاصة
 على ظهره، ثم رصاصتين على كتفه ويطه، لكنني أدركت
 على الفور أنني لم أنجح. حاولت مرة أخرى وهو يقع على
 الأرض، لكن مسدسي على فلم تطلق منه لرصاصة قدت
 دراجتي بسرعة لكي أفسح المجال لـ «تروس» حين نظرت إلى
 الوراء، رأيتها قد أوقفت دراجتها واستندت برأس خدانها إلى
 الرصيف، وصوبت المسدس بدقة إلى ما بين كتفيه كان مطوياً
 على نفسه ومحتاً رأسه بين درعيه أطلقت عليه رصاصتين
 ووصلت المسدس في حبيها وقادت دراجتها بسرعة من
 الواضح أنها اطمأنت إلى أنه مات، بكى رأته يهص بهص
 بهووس صرحت بكى تأخذ حذرهما، فأخذت تريد من مرعتها،
 وحيداً ذلك أطلق عليها رصاصة - وبمصادفة حمقاء أصابها أيضاً،
 في مكان ما أسفل ظهرها

بدا المسدس الموضوع على الطاولة مثل ثقل عظيم يسحب
 «أنطون» إلى أعماق الماضي على قدر سيانه الكامل لما حدث
 في البرائة بعد تلك الحادثة، كان يذكر بوضوح ذلك العاء الأخير
 في المرل، و«الطلفات النرية»، ورصيف القاة المهجور بجثة «بلوح»
 عيه طبعًا كان يعرف على الدوام أنه لا بد من أن أناأا أحريين كانوا
 موجودين على رصيف القاء قل ذلك بوقت قصير، لكن معرفته
 تلك كانت على أسس منطقية فحسب، أم، لأن فقد أصبحت حقيقة
 مدمومة، الصرخة التي سمعها انداك لم تكن صرخة «بلوح» إذن،
 بل صرخة «ناكيس» كان توسعه أن يقسم على أنها كانت صرخة
 رجل يموت

بدأت أعقاب السحائر في المنعصة الموضوعه بحاجب المسدس
 تحترق احتراقًا طعمًا
 سال «أنطون»:

- ثم؟

ردد «ناكيس» وهو يحطو خطوات راقصة على نحو عريب
 - ثم ثم ثم . ثم لم يعيشوا في ثبات ويات، ولم يحلموا
 صيائًا ويات لم نستطع أن نواصل المشوار حاولت أن
 أركبها على المقعد الخلفي للدراجتي وأذهب بها للاحتاء بين
 الأحراش ولكن عدم وصل الألمان، صاحت امرأة من نافذتها
 ودلتهم على مكاسا. أعطيتي مسدسها وأعطيتي قبلة وكان ذلك
 كل شيء. أطلقت قنبلاً من الرصاص وهرت حاولت أن أعثر
 على تلك العاهرة قل انتهاء الحرب لأدفعها ثم فعلتها، لكنني

لم أوفق في ذلك إنها ما تزال تعيش في مكان ما وتنصرف مثل
آية جدة حنون

أحد المسدس من فوق الطاولة، وراح يرنه في يده، مثلما بقيم
حبير جوهرة ثمينة، قال

- تعبت لو كان بمقدوري أن أحاطلها بهذا المساء الحيري يا سيدتي،
كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام في البيت؟ وكيف حال
الأولاد؟

وضع إصبعه على لمباد وراح يتمحصر لسلح من كافة الأطراف
- هل تعرف أنه ما يزال بإمكانك أن تطلق به الرصاص؟ بعد
الحرب، طلب مني حموك وأصدقائه أن أقوم بتسليمه أن
خارج على لفافون في الوقت الحاضر كانوا يسمحون لك أن
تحتفظ بمسدسك على سبيل التذكار، بشرط أن تسكب الحديد
في ماسورته، لكي عصفت النظر عن ذلك. فأنت لا تعرف
منى تكون في حاجة إلى إطلاق رصاصة مه
ونظر إلى «أطون»

- للمرة الأخيرة

وضع المسدس على الطاولة، ورفع إصبعه في الهواء وقد أرفع
السمع

- هل تسمعه؟ إنه يبكي قليلاً ليس ثمة أم في الدنيا كلها دلت
«طعلها، مثلاً دلت «تروس» هذا المسدس

بدا عليه وكأن الدموع ستطهر من عييه، لكن ذلك لم يحدث
لقد غير دفة الحديث فجأة

تعرف؟ شهدت في إحدى المرات قلماً عن رجل اعتصب
 شاب اسنه ثم قتلها، يُحكم على الشاب بثمانية عشر عاماً،
 ويقسم الرجل على أن يقتله في اليوم الذي يُطلق فيه سراحه
 بعد حوالي ثمانى سنوات تُحلى سبيل الشاب تخفيف عقوبة،
 حسن سلوك، عمرو عام، أليس كذلك؟ يتظر الرجل الشاب أمام
 بوابة السجن ومسدسه في حبيه، ثم تراهما يقصيان النهار كله
 معاً وهما يتحدثان أحدهما مع الآخر في نهاية الأمر لا يقله
 الرجل، لأنه يدرك أن هذا القاتل ناس مسكين وصحية الظروف
 من الهاتف في الطابق العلوي، فأنحه «تاكيس» إلى باب محطات
 ونبذة وهو يحتم قصته

الطلقة الأخيرة يبقى الرجل واقفاً، وترى الشاب يقادر بحقيقته
 عن طريق العاية عندئذ تظهر على ظهر الشاب نقطة بيضاء
 تتقدم إلى الأمام وتشكل كلمة «النهاية» في تلك اللحظة تأكدت
 من شيء وهو أن الرجل، على الرغم من تفهمه لوضع الشاب،
 أخرج مسدسه وأطلق الرصاص على ظهره، لأن ابنته لم تقتله
 الظروف، بل قتلها ذلك الشاب فإذا لم تفعل ذلك، فإنك تقول
 في الواقع إن كل الناس الذين عاشوا في ظروف صعبة يمكن
 أن يكونوا مفتشين وقتلة سأعود حالاً

حليم الصمت على القيو، لكن انصف الذي استدعه «تاكيس»
 بقي يرس على المكان مثل صدى عبر مسجوع ظل مصباح النيون
 المعطل يصدر صوت فرقعات خفيفة جلس «أنطون» على حافة
 الطاولة بظهره إلى المسدس، وراح يطر إلى الشعتين المرتسمتين

على بحر الشمال اعترته رعدة في أن يصع شعبه عليهما، لكن لجرأة
 سم نواته: لصورة ما هو وجهها ينظر إليه باستاء ما هي تنظر إليه
 أيما وصف وأيما حل، من دون أن تحرك عيبيها، وتستطيع أن تنظر
 إلى مئات الأشخاص في وقت نفسه، وتستفي إلى أمد الأبد تنظر
 إلى لجميع هذه النظرة نفسها التي ارتسعت في عيبيها لحظة التقاط
 الصورة، ولن تشيح أبداً، ولن ترى هي نفسها أي شيء بهذه النظرة
 نفسها، نظرة فاسكيا، نظرت إليه أبداً في انظام، ونظرت أبداً
 منه، وعبره، وهي مصابة، وقد اعتالت لسو محرقة قاتلاً، وفي عشية
 عذاب لا يعرف عنه أحد غير الله، وإعد لها على رمال الشاطئ

وضع يديه على وجهه، على المكان الذي لامسته هي، وأعني
 عبيها ماحيةً بنفسه الحياة حبيب، حبيب حتى لو سقرت الجنة
 على الأرض في العدم، لن نكون حية بعد كن ما حدث في الماضي
 لأمر لن تعود إلى مصائب فقط: حية على هذه لأرض فشل دريم،
 حية كبيرة، وكان من الأفضل أن لا تنشأ أصلاً عندما تنتهي وتحثي
 معها ذكرى صرخات الموت، سيعود اعالم حبيداً فحسب إلى
 عهده من لخير

عدت إلى أفعه معاة رائحة تنه فطيرة، ففتح عيبيها كان عمود من
 الدخان الأزرق يتصاعد بحظ مستقيم من المفضضة أفرع الويسكي
 المنثني في كأسه على النفايات امنو هجه، وما رادها ذلك إلا رائحة
 سة، وأي صوره في لروية، فوق معصلة مربعة الشكل على علو
 محفص، لكنه حين أراد أن يحمل المصصة إليها، حترقت أصابعه
 اتحه بكأسه إلى الصبور، وترك العاء يسيل على أصابعه في بداية

الأمر بعد ذلك عندما أفرغ كأس الماء في المنقصة، تشكل فيها
وخل أسود قدر، ونصاعد منها اندحان في تماوج باتجاه السف
المحفص بعد أن حاولت أن يفتح البواقي، خرج من القبو في
المر تذكر المسدس الموضوع على الطاولة عنه، رأى لمفتاح
ما بين في القفل، أقفل الباب وارتقى السلم

كان «تاكيس» يصف في عرقه وينظر عبر نافذة إلى الخارج
كانت سماعة الهاتف موضوعة فوق الجهاز كانت أصوات الصحيح
وصغارت الإمدار تصعد من الشارع
قد «أنطون»

- هو لمفتاح نعمة راحة نية في الطقس السعالي لهذا الحرق
ما في المنقصة

لم يلتفت إليه «تاكيس» سأل

- هل تذكر الرجل الذي كان جالساً بجدي في مقهى يوم
الأمس؟

أجاب «أنطون»

- طبعاً، أما كنت جالساً بجانبك

- لرجل الذي كان جالساً على طرفي الآخر، وكنت أتحدث معه
على نحو عامص

- انتحرت

شعر «أنطون» أنه لم بعد يستطيع تحمل المزيد سأل بصوت
همس على الرعم من أنه سم يتعمد الهمس
- لماذا؟

فان «تاكيس» وكأنه يحدث نفسه:

- لقد أوفى بوعده! حين حصل «لايس» على تصريح الحكم عام ١٩٥٢، قال «وسيتلقون سراحه أيضًا، ولكن لو أطلقوا سراحه، لأنهيث أنا حياتي» فصحكنا وقلنا له «معنى هذا أنك مشغول من العمر ما دفعه «متوشالغ» .»

حذق «أنطون» هي طهره برهة من الزمن ثم «استدّر على عصبه وخرج من العرفة كان الرجل الممس المرتدي قميص بيجامة قد احتكى ومن خلف أحد الأبواب كان صوت عذب يصدح من الراديو بأعبه

«ردردورس فوراسو ليندي»

الجزء الأخير

١٩٨١

ثم ثم ثم . وبمضي الوقت، نقول «لقد صار ذلك على الأقل وراء ظهورنا، ولكن يا ترى ما يجب لنا المستقل في جعله بعد؟» إساحبت تعبير هذا معف بوجوه إني لمستقل، وبظهورنا إلى الماضي، وهذا ما يحسن به معظم الناس المستقل يقع أمامهم والماضي حتمهم بالنسبة إلى الشخصيات الشطة فإن الحاضر سمية في بحر هائج تشق عباب الأمواج باتجاه المستقل، وأما بالنسبة إلى الشخصيات غير الشطة فهو رمز يتميل بهدوء في بهر تبعاً لحركة التيار كل من هاتين المعكرونتين تتضمن بطبعة الحان شيئاً من العراة، فلو كان الرمز حركة، لتحرك في رمز ثابت، ولشأت على هذا النحو أعداد لانهائية من الأرماد هذا نوع من الظواهر التي لا ترصي المعكروين، غير أن التصورات التي تنطلق من المشاعر لا تتالي كثيراً بالمعكير المطلق كما أن الشخص الذي يرى المستقل أمامه والماضي حلهه يشعل نفسه بطريقة أخرى بما هو غير مفهوم إذ يطلق من أن وقائع الحياة موجودة في المستقل بشكل أو بآخر، وستكون

في مندول اليد في لحظة معينة، لتصبح في نهاية المطاف في عدد
الماضي لكن المستقبل حال من الأحداث ولا يوجد فيه أي شيء
بعد، ويمكن للإنسان أن يموت في اللحظة التالية، وهو يقف بذلك
مديرًا وجهه إلى اللاشيء، في حين يستطيع أن يرى شيئًا خلفه، في
الماضي، على النحو الذي احتفظت به ذاكرته

لهذا لم عندما يتحدث اليونانيون عن المستقبل، يقولون
«ما أكثر الذي أصبح ورءاء»، بهذا المعنى كان «أنطون متيمباث»
يونانيًا، فقد كان هو أيضًا يقف نظيره إلى المستقبل ووجهه إلى
الماضي كان حين يفكر في الزمن، وكان يفعل ذلك أحيانًا، لا يرى
الأحداث آتية من المستقبل إلى الحاضر مكمنة سيرها باتجاه الماضي،
بل يراها تنبثق من الماضي إلى الحاضر فاطعه طريقها نحو المستقبل
المجهول. وفي كل مرة كان تذكر لتجربة أبي قام بها في علية بيت
حاله الحياة الاصطناعية الركب محلولا ملحبا (ذلك السائل للرح
نفسه الذي كانت أمه تحفظ فيه البيض في بداية الحرب)، وألقى به
بصع بلورات من كبريتات النحاس، تلك البلورات ذات اللون الأزرق
الذي لم يسه أبدًا، ورآه بعد ذلك الوقت بكثير في مدينة «دادوا»
الإيطالية، في حذريات الرسام «جونو دي بوندوني»، بدأت تلك
البلورات تشق منها براعم على شكل ديدان، تكبر وتنتفح، وتبرر منها
من جديد تتواءم ما تلت أن تتحول، هك في علية البيت تلك، إلى
سويقات ررقاء ترداد في الطول وتعم في المحلول الشاحب الذي
لا حياه فيه ولا روح

كان يقضي في مدينة «دادوا» الإيطالية شهر العسل مع زوجته

الثانية، «إيراييت» كان ذلك في عام ١٩٦٨، بعد انفصاء ستة على انفصاله عن «ساسكيا». كانت «إيراييت» تدرس تاريخ العر وتعمل بدوام جزئي في قسم لإدارة في المستشفى المجهر بأكثر التحفيزات حداثة، اندي كان قد انتقل للعمل فيه، ولم يكن أي شيء فيه يحري حسب الأصول ما عدا أنه يدفع له راتباً أعلى من راتبه السابق لقد بروح والده قبيل الحرب، وعاد إلى «لهد الشرقية الهولندية» ليكون على رأس عمله في إدارة شؤون البلاد، لكنه ما إن وصل إليها حتى رح به اليابانيون في معسكر اعتقال هناك عمل في إنشاء السكة الحديدية في بورما، لكنه كان مثل «أنطون» لا يتحدث عما عاشه من تجارب في فترة الحرب ولدت «إيراييت» بعد عودته والديها إلى الوطن بوقت قصير، لذلك لم تكن قد حيرت شيئاً من تلك التجربة كلها كانت عيها رفاويين، لكن شعرها سي ذاكن يكاد يكون أسود اللون على الرغم من أنها لم تعيش في إندونيسيا فقد، ولا أحد من عائلتها ذو أصول إندونيسية، إلا أن وجهها وطريقة حركاتها كانا يتميزان بطابع شرقي حتى لقد تساءل «أنطون» ذات مرة، ألا يمكن أن يكون العالم «ترفيم بيسكو» على صواب في دعائه بأن الصفات الممكنة يمكن أن تتحول إلى صفات وراثية؟

بعد ستة من رواحهما، ولد لهما ولد سمي «بير». لأن «ساسكيا» و«ساندرا» بقيت تسكن في المنزل القديم، فقد اشترى «أنطون» منزلاً بحديقة في الحي الجنوبي من أمستردام كان إذا ما أخذ ابنه بين ذراعيه، حطر في ماله في بعض الأحيان أن الرمز الذي يوصله فعلة عن الحرب العالمية الثانية أطول بكثير من الزمن الذي يفصله

هو عن الحرب لعالمية الأولى، وماداً تعني له الحرب العالمية الأولى؟ أقل مما تعبه له الحرب «البيوبويسية» أدرك عدد أن الحرب العالمية الثانية لا تعني شيئاً بالنسبة إلى «سيدر» أيضاً مع أن ذلك سم يحظر في باله من قبل

بدأ مد ذلك الوقت يقضي، حاراته لصعبة في «توسكانا»، في بيت عديم رحب يقع على أطراف قرية فرينة من مدينة «سبيسا»، اشرفه سمر هدهد وكلف متعهداً محلياً بتخليجه. كان النحاب الحلمي من لست محوئاً من هضبة صحرية، وكانت انصحرة قد بقيت مكشوفة في مكان منها، ممتدة عبر المسحونة على شكل شريط مائل معرّق، دي لون سي مائل إلى الاصفرار كان من دواعي سروره أن يضع يديه على تلك انصحرة، إذ يملكه شعور بأنه يحسك انكرة الأرضية كلها بين يديه وهو في عرفة في إحارات أعبد الميلاد أيضاً، كانوا يدهون إلى هناك سيارتهم العائدية «مينيش واعر»، والحق أنه أصبح يعيش حينه مد ذلك الوقت من إحارة إلى إحارة. كان إذا ما جلس على مصطبة يته، في ظل شجرة لرتون، رأى أمامه الهضاب المحصورة بكروم العنب، وأشجار السرو، وشجيرات اندفلة، وأبراج اندفع داب الشكل المربع المنتصبة هه وهناك تلك الطبيعة الحلامه التي لم تكن طبيعة محسب، بل كانت تمثل في لحظة ما بانوراما نهضة الإيطالية، وفي اللحظة التالية ديكور الحصاره الرومانية، وفي كل الأحوال بعيداً عن «هارلم»، وعن انشاء الأخير من الحرب عام ١٩٤٥ لم يكن قد بلغ الأربعين من عمره، حين بدأ يقف الأمر في رأسه بأن يقيم هناك بصورة دائمة، بعد أن يكر «بيتر» ويترك البيت

وحدث يوم أصبح يملك أربعة مارل ولأنه احتاج لفترة مؤقتة
 إلى مكان يقضي فيه عطلات نهاية الأسبوع، فقد اشترى مزرعة
 صغيرة في مقاطعة «جيلدرلاند» دله عليها السيد «دحراف». طبعاً
 كان بإمكان «ساسكيا» و«ساندرا» أن تقصدا الإحارات فيها، وهي
 بيت «توسكانا» أيضاً، إذا و تنهما فرصة سانحة كدت «ساسكيا» قد
 تزوجت من عارف مزارع يصورها في السن بعض الشيء، وله شهرة
 عالمية، ويتميز بروح الدعابة، وعنده طفل من زوجته السابقة، ويريد
 إنشاء مزارع على المدى البعيد (لم تكن السيدة «دحراف» موافقة
 على ذلك الزوج، لكن «ساسكيا» كدت طوال حياتها مختلفة عن
 صديقاتها، اللاتي يرتدين المصانين المكشكشة، ويستعين الأحدثات
 الكعوب المسطحة، ويرتدين شالات الحرير وفلانل اللؤلؤ، ويولين
 اهتماماً لمسوقهن الاجتماعي أكثر من أي شيء آخر) حدث بصح
 مرات أن ذهب أربعهم مع الأطفال الثلاثة بقضاء الإجازة في إيطاليا
 نيس هناك أنه ما يزال يوجد شكل من أشكال اهتمام بين «أنطون»
 و«ساسكيا»، الأمر الذي كان يزعج «إيراييت» في بعض الأحيان،
 أما روح «ساسكيا» فقد كان يضحك منه، فقد كان يدرك تماماً أن هذا
 التعمد نفسه هو الذي سبهم في طلاق أحدهم من الآخر ثم تكن
 «إيراييت»، التي تصغر ثلاثتهم سناً، على جانب عظيم من الوعي،
 نكهة في الوقت نفسه كانت تفوقهم جميعاً أحياناً كانوا ينادونها
 بـ«ماما»، الأمر الذي كان يبعث السرور في نفس «أنطون»

لذا وكان مريض الشقيقة يحف كلما تعذب في السن، نكهة في نحو
 لأربعين من عمره أصبح يعاني من وعكات صحية أخرى مات بشعر

بالكآه والنصب، وأحدث الكوايس ترعج مامه، وكان ما إن يستيقظ من النوم حتى يشاه لهوم ولهوا حس ويرأوده الشعور بأن كل ما فعله في حياته كان عطف في غلط المصارل الأربعة، و«مسير» التي تركها وراءه، وكل شيء، كل شيء بقيت معلقة من الإحباط واليأس، نحوم في معه من دون ترقف، مثل ورقة متساقطة في فصل الحريف، شعور لم يسق أن أتته إلا عندما كان يموت مريض تحت يديه، عندما يتحول الإنسان إلى نهاية محزنة، فسوي هو بقامته، ويستوي لجميع في صمت، وتطعم الأجهرة، ويريح الكمامه من أمام فمه بيد، ويحجج قفقه بيده الأخرى، ويخرج من صالة للمحبات، محرّجاً قدميه على الأرض، مائلاً برأسه بعض الشيء على كتفه ذات يوم شديد الحرارة في إيطاليا، تعرض لأزمة حادة نبي أنهما لم تصل إلى دروتها وحسب، بل وصحت حدّ لشهور القلق ولهوم تلك

لأن حرار القرية لم يكن يسع من النحوم سوى لحم العجل، كنت «إليراييس» قد ذهبت مع «ستر» في صباح ذلك اليوم، إلى «سييا» في أغلب الأحيان كان يذهب هو معه لشراء حاجيات المنزل في المدينة، وإن كان لقضاء بعض من الوقت على مصصات لمقاهي في ساحة «دون كمو»، تلك الساحة المشيدة على شكل صدفة منقطعة الغنير في زمن موعلي في القدم، التي تبرهن على أنه لم يحدث أي تطور في الفن المعماري أيضاً منذ ذلك الوقت، لكنه في صباح ذلك اليوم، شعر بالإعياء فأثر النقاء في البيت كان جالساً يقرأ، حين رفع رأسه فجأة مأخوذاً بالصمت وقعت عينه على قداحة انطاونة البيضاء، التي لها شكل حجر الزهر، والتي كان قد تلقاها هدية

من والذي «إليراييت» نولاه القنفذ والاصطراب، فراح يتحول في
 العرف متداوثة انحجم، المدهونة بالكلس الأبيض، ويصعد ويهبط
 سلم الحلرومي بدرجته غير المتحانسة حاول الجلوس بين المية
 والأخرى، لكنه كان ما إن يجلس حتى يردد وصعه سوءاً، فيهب واقفاً
 على الفور، ولكن ما الذي يردد سوءاً؟ فهو لا يشعر بألم في جسده،
 ولا يعاني من حُمى، وكل شيء على ما يرام، ولكن في الوقت نفسه
 يس على ما يرام تسمى لو يعود «إليراييت» و«يثر» إلى البيت - يجب
 عليهما أن يعودا في الحظ هناك شيء يحدث في داخله لا يستطيع
 أن يفهمه أسرع يفلق واصطراب إلى المصطبة ووقف على حافتيها،
 لكنه لم ير أحداً على الطريق الترابي الذي يمتد أمامه ويختفي في
 المجرى حيث انهمسة التي تقوم عليها الطاحونة المتداعية دخل
 الممرل وخرج منه عبر الباب الرئيسي، وصعد درجات السلم شديد
 الانحدار المؤدي إلى الشارع الذي كان بمنس ارتفاع سطح الممرل
 عليهما يتحولان هناك قبيلًا، بكر اسبارة لم تكن في مكانها كذب
 الساحة العذرية من الأشجار، الكبيرة بما لا يتناسب وحجم القرية،
 تدو وكأنها معمورة بأبناء المعلي كانت قد حلت من لباس سوى
 من رجل مس و امرأة مسنة في ثياب سوداء. كان بضعة من الحناثر
 يجلسون أيضًا في ظل الكيسة لأسود، أما الرجل والمرأة فيسيران
 تحت الشمس قائمان متمحمتان في الضوء اساهر بالأسر

وهو واقف هناك، ارتفع جبل رمادي، مثل انطوفان، وانقص عليه
 وثب هابطاً درجات السلم، وصفق الباب الرئيسي حلمه، وأحد يطر
 حوله وفرائضه ترعد من الحوف ه هي الحدران الحامدة، المدهونة

بالكلس، تطلق بياصها في وجهه، والثواء السلم، والموارص الحشبة العليظة، والأشياء كلها تطلق من لتهديد ما انحلع له شيء في رأسه شقت لصخرة الحدار لأبيض واحترقت رأسه حرج إلى المصطبة واصفاً يديه الأثنين على صدره ما هي أشجار السرو، أشجار السرو كلها، المنتشرة على الهضاب، ترتفع منها شرارات نار سوداء انته إلى أن أسننه بصطك بعضها بعض، مثل أسنن طفل صغير يحرج من البحر، لكنه لم يجد سسلاً إلى إيقافها يوحد خطأ في العالم، وليس فيه هو الجاد جد تصاعد هسيسها سر لاهناً إلى داخل الست من جديد، حيث للاح الأحمر، وهو في الموقف مرآته لقديمة المحلاة بصور لملائكة، ولعيون سود لحجر لرهز أدرك أنه يجب أن يستعدي نفسه حاشه، وأن يهدئ من أنفاسه المتسارعة حتى لا يتعاقم وضعه. جلس على كرسي من دون ذراعين بجانب الطاولة، كرسي إيطالي صغير محسن من القش لمصغر، وأحصى أنه وقمه بين يديه، وأغمض عييه محاولاً الاسترخاء

وحديثه «إلى بيت» حانت على هذا النحو، لا يحرك مائة لكنه يرتجف، مثل تمثال أثناء حدوث زلزال. عندما رأت نظرة عييه، سم تسأله هل يحب عييه أن تسدعي الطبيب، بل استدعته بفر «أطون» إلى «بتر» وحاول أن يصحك، ثم إلى الحفية املاى بالمشروبات التي كانت «إلى ربيب» قد وضعتها على الطاولة فوق الأغراض كانت نمة عنة صغيرة معلمة ها هي ورقة التعليق تشق عن العلبة، وتفتح مثل الوردة، فتظهر قطعة اللحم المضرجة بالدماء .

جاء لطبيب على الفور، وأكد أن مثل هذه الحالات أمر عادي

ولا تسرح لقلق، وأعطى «أنطون» حقة نام على إثرها خمس عشرة ساعة، واستيقظ في صبح اليوم الثاني متعشاً شطاً كانت نمة وصفا «اليوم» يجب أن يأخذه، إذا ما واثته هذه الحالة مرة أخرى، لكن «أنطون» مرقها على الفور، لا لأنه يستطيع أن يكتب وصغاته العلية بنفسه، بل لأنه يعرف أنه لو بدأ في أحد هذه المحبوس المهددة، لبقى طوال حياته يأخذها بعد ذلك، واثته تلك النوبة يصح مرات، لكن وطأتها أحدثت تحمف تدريجياً، حتى إنها سم تعد نواتيه في نهاية الأمر، وكأنها ارتعت عندما مرق وصفا الدواء وحدد بذلك من يكون سيد الآخر.

ما لم يسلم من تلك النوبة كان مرله والمطر الذي نطل عليه مصطبة مرله. بعد ظهر ذلك اسوم، فقد شيئاً من كمالهما، مثلما يفقد وجه جميل حلاوته من جراء بدة



انقصى الوقت، وشاب شعره قبل الأوان، لكنه لم يصح أصح الرأس مثل ولده يسما كان معطر الناس من حوله يأخذ سمة لطقة العاملة، بالقدر نفسه الذي كانت تحتفي الطقة العاملة بنفسها، بقي هو يرتدي السترات الإنجليزية وبقمصان المحططة بمرمعات مع ربعات العنق نوال الأيام يبلغ عمر من يعرفه من العجائز الذين تعرف إليهم عندما كانوا في نفس عمره الآن أدله ذلك الأمر، وعبر نظره إلى الناس، الكدار مهم والصغار على حد سواء، وإلى نفسه في المقام الأول. ذات يوم، سغ من العمر ما لم يبلغه والده قط، فأشعره ذلك بأنه تجاوز من الحدود ما يستحق العقاب عليه، وتذكر

المثل اللاتيني: «ما يجور لابس السيدة لا يجور لابس الجارية!» لم يكن قبل ذلك الوقت يفصل استئجار الأقوال المأثورة، مثل «ما مات مات»، أو «الأفضل عدو الجيد»، أو «الحصول على الشيء يفقد ريقه»، لكنه الآن، وقد وصل إلى هذا العمر، بدأ يرى أن مثل هذه الأمثال الشعبية تعبر عن الواقع تعبيراً دقيقاً اكتشف أنها ليست مجرد عبارات مكررة، بل خلاصة تحارب عاشتها أجيال بأكملها، والناس أنها في العموم حقائق مثيرة للإعجاب إنها لا تشمل حكمة الطوباويين - وذلك لأنهم ليسوا حكماء - لكنه لم يكن يوماً واحداً منهم كان ذلك من الأمور المستعصية

أطَّر صورة روجة حاله بعد أن وافتها المية، ووضعها بجانب صورة حاله على طاولة مكتبه، ليس في أحد مآثره، بل في عرفة عمه في المستشفى في النصف الثاني من السبعينات، مات السيد «دحراف» هو الآخر حصر مراسم إحرار حشانه عدد أقل بكثير من عدد اندين حصر والحارة السدفة كان «هيك» حاصر وقد شانت شواربه، و«ياب» أيضاً وقد عر انشيب رأسه، أم الورير وعمده أمستردام فقد كان في عداد الأموات، خاتهما مثل حان القيس، والشاعر، وانشاشر لم يكن «تاكيس»، الذي لم يره منذ ذلك الوقت، حاصر أيضاً، لكنه حين سأل عمه، أحاب لجميع بأنه لا بد أن يكون عني قيد الحياة، وإن لم يسمع أحد أي شيء عنه في السنوات الأخيرة لم تكذب مصي بصغة أساميع حتى مات والدته روحته السافة أيضاً حين وقف للمرة الثانية في محرقة الجنائمين تلك، بجوار «ساندر» و«سكبا» وروحها، ورأى الثابوت يُرل إلى السرداب الذي شعل

البار فيه، استعرب من أن عكارها الأسود الرقيق، ذا المقبض القصي،
 ليس موضوعاً فوق الثابت، كما يُفعل عادة مع جبال
 على الرعم من أن الحرب كانت تتجدد بين الغينة و لأخرى في
 الكب الصادرة حديثاً والرامح التلغريونية، فيها بدأت نوعاً شيئاً
 شيئاً في الماضي لحين، إذا جاز للمرء أن يستعمل هذا التعبير، في
 مكان ما وراء الأفق أخذت عمليه «عتال» «لوح» تصدأ وتتناكل، حتى
 لم يبق منها سوى حادثة عامضة لا يكاد يعرفها أحد غير «أطوب»
 حكاية مرعبة من قديم الزمان عندما كانت «ساندر» في السادسة
 عشرة من عمرها، أعربت ذات يوم عن رعتها في رؤية المكان اندي
 لقي فيه جدّها وحدثها وعمها حتّمهم لم نسمع «ساسكيا» ولا
 «إيرابت» تلك العكرة، لكن «أطوب» لم ير فيها بأساً، فاصطحبها
 في ظهر يوم سبت من شهر مابر إلى «هارلم» عبر الطريق السريع
 ذي المصارات الأربعة، الممتد على طول أعمدة لانهائية من لأحياء
 السكية المشيدة على لأرض التي كانت في يوم من لأيام حقول
 استخراج الحث، وفوق الجسور دواب الطوابق الثلاثة التي كانت
 قد انتلعت طرق الملاحة المحلية ثم يكن قد رجع إليها مدمماً يريد
 على ربع قرن، ولا حدث أن أرى «ساسكيا» و«إيرابت» هذا المكان
 هذا المكان انفجر «أطوب» في الضحك، كانت الس المحلوقة
 قد رُكبت محلها من من الذهب في المكان الذي قام فيه مرله ذات
 يوم، يقوم الآن، وسط حديقة محرورة العشب، منزل أبيض من طابق
 واحد، مبني على طراز منازل سوت الستيات، له نوافذ عريضة،
 وسطح مسطح، ومرآة سيارة عند بوابة حديقته لوحة كُتب عليها

«الليج». رأى «أطون» من فوره أن مرل آل «بومر» قد حصص لتحديد هو أيضًا، كان طابقه السفلي قد أصبح مساحة واحدة كبيرة، وفتحت نافذة جديدة عريضة على الجانب من سطحه اسمانل رأى أيضًا في حديقة المنزل الواقع في أقصى اليمين، منزل آل «آرنس»، لوحة عليها اسم كاتب عدل لم يكن أي من الممارر الثلاثة يحمل اسمه السابق جهد «أطون» دعه ليتذكر أيها كان يدعى «موقع ممارر» وأيه «قصر النعيم»، لكنه تذكر على اعور أن الحيران الآخرين، آل «كورتيبيج»، كانوا يعيشون في مرل «فوق الحيات» على الطرفين من الممارر، الأربعة أيضًا، قامت بيوت من طابق واحد، وعلى الأرض اسبور حلقها حي حديد مجهر شوارع وحلقاته وعلى الجهة الأخرى من اعلاه، حيث كانت اسروح تترامى في العاصي حتى «مستردام»، تلوح الآن صاحبة جديدة في الشمس، مصاب سكية، ومكانت تجارية، وطرفات عريضة مردحة لم يكن قد بقي من معالم العاصي سوى نصعه مارل قديمة واطحونة لهوائية بالقرب من المياه

أحمر «ساندر»، كيف كان شكل النحي في العاصي، لكنه رأى عليها أنها لا تستطيع أن تتحيل شكله القديم، تمامًا مثل الوقت الذي لم يستطع فيه أن يجعلها تفهم ما الذي كان يعنيه شتاء المعالجة بينما هو واقف على الجهة الأخرى من اشارع اسباط على شكل هندسي متموج، ويحاول أن يصف بها كيف كان شكل «حالي الهموم»، وفي الوقت نفسه يرى مرله القديم ذا السطح المصنوع من الحيران والبافه ابارر «بظهر عبر المرر الحديد مثل شح، خرج رجل عار نصعه الأعنى وسطال خير من المرل دي الطوق ابواحد سأل هل

يستطيع أن يخدمهما بشيء؟ قال له «أنطون» إنه يُرى أنه يمكن
 الذي عاش فيه في الماضي، فقال الرجل إنهما يستطيعان مشاهدة
 المرء من الدحل أيضًا كان يدعى «ستومل» ألفت «ساندر» على
 والدها نظرة استهساار هذا البيت ليس هو البيت نفسه الذي عاش فيه،
 الس كدث؟ لكن «أنطون» رَمَّ شعنته ورمش بعينه، فهيمت من هذه
 الحركة أن تترك الموضوع عند هذا الحد كان قد أحس بأن «ستومل»
 بهم جوابه على أنه درعة شخص يريد شراء المرل عندما قطعوا
 الشارع، التفت عينا بمكان على الرصيف، لكنه لم يعد بمقدوره أن
 يسبه إلى ذكرى معينة

كان المرل من الدحل رحبًا ومبهرًا في المكاب الذي كان فيه
 العمر والصابون وعرفة لطعام بالطاونة تحت المصباح، في مكان
 نك المباحات البصيفة والقائمة كنه، بمد الآن سجاد أرق فاتح،
 من المطبخ الكبير بطلاته اللامع على طرف وحتى ليايو الأبيض
 القائم على الطرف الآخر في إحدى الروايا، كان صياح قد تمددا على
 طيهما أمام التلفاز، فم يرفعا عيونهما عنه يسما «ستومل» يريهما
 عرف اليوم المبيرة في الحاح الحلقي، أحبرهما بأنه اشترى هذا
 المرل قبل خمس سنوات فقط، وقد أجبرته الظروف للأسف الشديد
 على عرضه لبيع، لكنه مسعد لتحمل خسارته خطو بهج خطوات
 في الحديقة أيضًا لم يكن المباح، الذي عدلما تسبل «أنطون» عره،
 موجودًا. كان الجيران الساكون فيم كان هي السابق «موق» «حيال»،
 وهم سيد كهو مسمر وسيدة إندونيسية شعر أبيض، يجلسان تحت
 مظلة شمسية في الحديقة مضت برهة قصيرة قبل أن يتذكر «أنطون»

أن الجانبين هما الوجودان الشايان الطريقان اللذان كان بهما مغلان صغيران ظهرت السيدة «ستومل»، وقد أسرفت في تريين وجهها بمساحيق لتجميل، وعرفت نفسها بـ «السيدة ستومل». اقترحت بلطف شديد أن تجهر شيئاً من الشراب، لكن «أنطون» شكرهما على مشاهدة المرل وألقى عليهما تحية الوداع قبل أن يضافحه «ستومل»، أسرع إلى مسح يده بطرف بطناله، ثم يرل بذلك إلا القليل من عرقه تأبطت «ساندرا» ذراعه وسار أحدهما بجانب الآخر صوب النصب التذكري المقام على يديه رصيف القناة كان حاحر حشي قد حل محل درب الملاحين وكنت شجيرات «الروودودندرون» قد نمت وأصبحت جذاراً كثيفاً تعطيه عماقيد الورد لثيفة، بسها امرأة لمحوثة بالأسنوب المصري وقد بدأت تتداعى من تأثير الجو لم تصدق «ساندرا» عيبها وهي تنظر إلى كتيبها المكتوبة على اللوحة الروبرية، وبدأ عليها بوصوح أنها لن تستطيع أذناً أن تستوعب ما حدث في حين أحد «أنطون» نظر إلى لاسم المكتوب تحت اسم أمه «ج نكس» تذكر «ناكس» وهو يقول إن أحد الأصر كان واحد من الرهائن، ولكن لم يحدث أن ورد إلى دمه أن اسمه مكتوب على هذا النصب أحى رأسه، فسأله «ساندرا» عن النسب أجاب أن لا شيء

بعد ذلك بوقت قصير، على مصطبة المتعظم المردحمة بالربائن في محمية «هرلمر هاوت»، في المكان اندي كان يقوم فيه مرأت السيرات الحاص بـ «مركز قدة المدينة» (في مكان «مركز زيادة المدينة» معه يقوم الآن مصرف مالي جديد)، أحبر «ساندرا» لأو

مرة عن حديثه مع «تروس كوستر» في تلك الليلة، في قمر مركز الشرطة في «هيمستيد»، وورد إلى دهم في الوقت نفسه أنه لم يعد إلى ذلك المكان منذ ذلك الوقت ولا مرة واحدة، وأنه لن يعود إليه أبداً لم نستطع «ساندرا» أن نستوعب كيف يتحدث عنها بهذه الرقة كلها ألم تكن هي السبب في كل ما حدث؟ شعر «أنطون» بإرهاق شديد يتصاعد من قراره نفسه. هر رأسه بلا وفاء كل واحد فعل الشيء الذي فعله، ولا شيء آخر في تلك اللحظة نفسها علم علم البقي أن «تروس كوستر» هي التي قامت له ذلك حرفياً، أو بشكل شبه حرفي بعد ذلك مباشرة، بعدما يقارب الحمسة والثلاثين عامًا، سمع صوته فجأة، حافت حذراً وبعيداً حذراً «هو يعتقد أنني لا أحبه» أنصت في حمود، لكن الصمت عدا من حديد، فلم يسمع أي شيء آخر عروقت عيابه باندموغ لا يراى كل شيء محصوراً في ذاكرته، ولم يحجب أي شيء. النور والسلام يوحى بين أشجار الرن السفلى، وصف الأشجار الغتية في المكان الذي كان انحداف محصوراً فيه ها، صعد مع «شولس» إلى الشاحنة العسكرية، عندما كنت السماء تمطر رحات جليد على شكل إبر رفيعة شعر يد «ساندرا» على ذراعه، فوضع يده فوق يدها، لكنه لم يجرؤ على النظر في عيبيها خشية أن يجيش بالكاء سألته «ساندرا» بهدوء هل حدث وراقرها عندما هر رأسه بالنهي، اقترحت أن يدها ليريدته في الحال

في دكان الرهور أرادت «ساندرا» أن تشتري وردة حمراء من مصروفها الخاص، لكنها خرجت من المحل بوردة بنفسجية تكاد تكون زرقاء اللون كانت الورود الحمراء قد بيعت كلها بعد ذلك

انحها بالسيرة إلى «المفكرة التذكارية» الواقعة على تلال الساحل رى
السيرة إلى حور بصع سيارات مركونة هناك، وصار على الدروب
المتعرجة في تصاعد صوب العلم المعروف على قمة تل من التلال
لم يكن يُسمع أي شيء سوى صوت الحشرات المتصاعد من بين
الأحمة، ثم بعد وقت قصير صوت دفقة العلم

في ساحة مستطيلة مسيجة كانت هناك بصع مئات من مساحات
صغيرة مستطيلة فيها قبور، تحيط بها حصوات مرنة بعيدة دائرة
كان ثمة رجل يرش اماء بالخرطوم، وها وهناك أناس عمائر
يعتنون بالأرهار الموضوعة فوق القبور، أو يجلسون على المقاعد
ويتحدثون بصوت، وكان يصعه أشخاص يجلسون في ظل حذار
عالي نُمشت على الأسماء والصوص بأحرف من البروز عديم
يعرف «أنطون» أحدًا منهم، أدرك أنه كان يتوقع رؤية «تاكيس» ها
سألت «ساندرا» انستامي عما إذا كان يعرف أين قبر «تروس كومس»،
فأشار من دون تفكير إلى المساحة المستطيلة لني يقف بجانبها

«كاثرياحير تراود كومستر»

١٩٢٠، ٩/١٦ ١٩٤٥، ٤، ١٧

وصعت «سانسرا» وردتها الرقعة فوق الحجر الرمادي، ودفع
أحدهما بجانب الآخر يظن أن إليه كن صوت دفقة العلم في
السكون، وصوت حبله وهو يظفرق بالنسرية، أكثر حرًا من أي
موسمى. قال «أنطون» في نفسه: «المكان هناك تحت الرمال أكثر
ظلامًا من تلك البرودة حال يعيبه على المساحات المورعة بنظام
حسابي دقيق، التي تدل على قدارة الحرب، وقال فيما بينه وبين نفسه

يجب أن أذهب لزيارة «تاكيس»، إن كان ما يزال على قيد الحياة،
وأخبره بأنها كانت تحبه



لكنه حين ذهب في ظهر اليوم التالي إلى شارع «بيوي رايدس
فورت» قال: «وحد لوحة الواجهة «الفصاعة» محطمة منذ أمد
بعيد على ما يبدو، وعلى المساح المذهول بالأحضر ألصقت إعلانات
عديدة بعضها فوق بعض عندما لم يعثر عليه في دليل الهاتف أيضًا،
برك لأمر عند ذلك لحد

سم يره إلا بعد نقضاء عشرين، في ٥ مايو من عام ١٩٨١، بالمصادفة
على التتار، في برنامج عن إحياء ذكرى قتلى الحرب كان يشارف
على الانتهاء حين شغل الجهاز - شيخ ذو لحية بيضاء ووجه مؤثر
مهيب، لم يعرفه «أنطون» إلا عندما ظهر اسمه على الشاشة لمحظة
قصيرة

«كور تاكيس»

رجل مقاومه

كان يقو ل شخص جالس إلى جانب عني كسة.
- كف عن هذ الهراء! الحرب لم تكن سوى كومة كبيرة من
انقدارة والحق أنسى لا أريد أن أسمع أي شيء عنها.
من ناحية أخرى كان «أنطون» غالبًا ما يرى شاحبات صغيرة بيضاء
في العديبه، مكتوبًا عليها بأحرف حمراء
شركه «فاكه ملوح» المحدودة بمرافق الصحبة

ومثلما يلقي البحر كل ما تفقده السفن من أشياء إلى الشاطئ،
ويقوم بائع حردوات يجمعها قبل طلوع الشمس، هكذا ظهرت تلك
الليلة من بيالي الحرب عام ١٩٤٥ مرة أخرى في حثائه

في صباح يوم من أيام السبت، في النصف الثاني من شهر نوفمبر
عام ١٩٨١، استيقظ على ألم لا يُحتمل في صدره، اضطره إلى فعل
شيء في الحال اتصل في الساعة لاسعه بعبادة صيب لأسان الذي
يعالجه مد ما يريد على عشرين عامًا، لكن لم يرد أحد على الهاتف
بعد تردد بسيط، اتصل برقمه الخاص قال له انطبيب أن يأخذ حبة
«أسبرين»، لأنه لا يوي أن يقضي يومه في معالجة الأصراس، فهو
يريد أن يخرج ينتظر بعد قليل

- تحرج للتظاهر؟ صد ماد؟

- صد لتسلح النووي

- لكسي أموت من الألم!

- كيف جاء هذا، الألم المصاحي؟

- كنت أحس بأنه آتت منذ بضعة أيام.

- ولماذا لم تأب من قبل؟

- كنت في مؤتمر في «ميونخ».

- ألم يستطع ملاؤك أطباء التحدير أن ينصحوك بما يسكن الألم؟

على فكرة أليس تشارك في المظاهرة؟

- عفواً دعني بعيداً من فضلك! هذا شيء لا بدسي

- أوه! وهل ألم الأصراس يداسك؟ اسمعي جيداً يا صديقي

هذه هي أول مرة في حياتي أحرص فيها في مظاهرة أريد أن

أساعدك، لكن شرط أن تشارك فيها أنت أيضاً.

- سأفعل كل ما تريده مني، يا أدم، لو ساعدني

انفقا على أن يذهب إلى العادة في الحادية عشرة والنصف،

فصحيح أن مساعدته عانة لك خروجه في المظاهرة، إلا أنه

سوف يرى ماذا يستطيع أن يفعل له

هكذا لم تتحقق رغبته في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في

«هستدالاند» بعد مؤتمر ألماتيا قال له «إيراييت» أن تذهب هي

و«بيتر» وحدهما، لكنها لم تكن لتفكر بذلك مجرد تفكير وقعت

مثل المعمرات ومدت إليه يدها مطلق صغيرو معروش بورقة مدورة،

توسطها سويقة جافة نية اللون، بطول سنتيمتر واحد، منتبهة كأكاس

صغيرة ورأس مكور

- ما هذا؟

- حبة قرعفل صعب في ضررك كانوا يفعلون ذلك في الهند

الشرقية

عاقبها بطريقة مباحثة، و بدموع تكاد تظهر إلى عييه، فرأت في
هذه لطيفة بعضاً من المداخلة

— ماذا دهاك يا «طون»! لا ندلع إلى هذا الحد!

— للأسف لا يوجد بحر في صرسي، ولا أعرف سبب هذا لأنهم

لكسي ساكنها

لكنه سم يوفق في ذلك، ودم يجد إلى مصعبها سبيلاً أحد يدع

البيت على مرأى من عيبي «بيتر»، وقد عرفت من الألم، مثل تمثال

«التمثال» اندي تعلقه لصيديات في هولندا فوق بابها فكر

مظاهره لسلام لتي يحب أن يشارك فيها بعد فليس كان قد قرأ

حبراً عنها بأنها ستكون من أكبر لمظاهرات انتي تشهدا أوروبا،

لكن أثناء فرائته لم يحظر في سله أن ينسأ هل يجب أن يشارك

فيها أم لا، فقد استطاع لحر كما استطاع أعمار الشرة نجوة

كان من فصل هذه لأشياء الألفية انشأه تشارف على الوصول،

و لدع من لأفكه الجديدة يلد في صفوف لدس، كما دت

قل ألف سنة الفصد من اصحاب الدرية هو الردع، وهي ليست

للاستخدام بل للحفاظ على السلام العالمي لو تم نحلي عن

هذه لأشياء لمتافضة، لاداد احتمال شوب لحروب تقليدية،

ولانتهت هذه الحروب مع ذلك باستخدام الأسلحة النووية من

ساحة أخرى، ساورة القلق حين صرح الرجل معجور في أمريكا

بأنه يمكن أن نشب حرب نووية على نطاق محدود، في أوروبا

والدات، ثم تشمس القارة كلها ما جعله يشعر بالاطمئنان هو رد

الرجل المعجور في روسيا بأن ذلك مستحيل التحقيق، لأنه سيب

أمريكي عن فكرة أيها هي كل الأحوال. ولكن حتى هذا الرد كان
 يعني أنه لا يمكن التحلي عن التسليح النووي
 شرب البانويج اندي أعدته له «إلبرايت»، وجلس على الكفة
 وحاور إمصاء الوقت بحل الكلمات المتقاطعة «ألا يستطيع
 إله الشمس أن يحدد سبب هذا الدمار؟» خمسة حروف «حيل إليه
 أنه لا يستطيع التفكير، لو لم يطبق فكيف أحدهما فوق الآخر تمنع
 في اللعز وهو يشمر بأب الحل لا يمكن أن يكون صعبًا، ومع ذلك
 لم يستطع العثور عليه. لم تكن عبادة طيب الأسان بعيدة عن منزله
 السابق، صدد في الساعة الحادية عشرة أن يذهب إليها سيرًا على
 الأقدام

كان الجو باردًا وعائفًا سار في لشوارع التي أحدثت تردحم
 بالناس، والألم يحترق في فكه مثل المشعلات كانت طائفة مروحية
 تحوم في السماء وكب السيرات والتراعات قد توقفت عن
 العمل، بدا من أبو صبح أن مركز المدينة معني من كافة الجهات،
 حتى إن الطريق العام يمح بالناس الذين يسرون في الاتجاه نفسه،
 وقد رفع معظمهم اللافئات كان ثمة أحاب أيضًا، فقد رأى حشدًا
 من رجال شجعان نعماتهم، وسراويل فصفاصة، وأحرمة تنقصها
 فقط المسدسات والحبجر المعقوفة، لديهم أكراد مهيون، كانوا
 يصحكون ويعمون وهم يسرون بحصى أهل الصحراء الرشيفة وراه
 لافة مكنونة بالمرية - يو أن اللافة تدعو إلى الجهاد، الحرب
 المقدسة، لما استطاع أحد أن يعرف ذلك. ما لشت أن اردحمت
 الشوارع الارحام نفسه اندي رآه في مايو عام ١٩٤٥، فقد توافدت

حشود كبيرة من جميع الجهات صوب «ميدان المسحف» حين
فكر بأنه يجب عليه أن ينضم إلى هذه الحشود البشرية بعد قليل،
اشند ألم صرسه أي مآل سنؤول إليه الأمور، نودب الدعر في
صفوف هؤلاء الدس، إذا قام المشاعون بأعمالهم، فالأنواب في
أمستردام مفتوحة في هذه الأيام على كل الاحتمالات من حسن
الحظ لم ير لشرطة أي أثر، ما عدا الصائرة المروحية لمعلقة في
السماء

حين وصل إلى العيادة، دق الحرس لم يفتح أحد الباب،
فانتظر على الرصيف وهو يرتعش قليلاً من البرد (أو من شيء
آخر) إله الشمس هو «رع»، هذا لا شئ فيه رعاة؟ رعايا؟
رعاع؟ رعية؟ هؤلاء كانوا يعبدون الإله رع؟ هؤلاء كانوا من
الحاشية المحيطة بالإله عرت حشود الدس في تيار متواصل
برأس الشارع العرعي الذي يفتح فيه. عندما وصل طبيب الأسنان
بعد مصي بصع دقائق ساقه المرحاء، وقد تأبطت روحته درعه،
انعحر في لصحك وقال

- أراك بهي (نطلعة؟

فقال «أطلو»،

- اصحك على هواك، أيها الحكيم الطيب «حبرت خان» يا من

تجيد استراز مرصاك

- هذا كله خدمة للإنسانية، وهذا كله وفقاً لأحكام أبقراط

كان قد ارتدى لهذه المناسبة بدنة صيد إقطاعية ستره حصراً
من الخوخ، تحته بantal قصير أحضر، وجوربان طويلاً من اللون

الأحضر بعدد، الأمر الذي جعل حذاءه الطبي ماديًا للعيان أكثر من
أي وقت مضى عندما دخلوا غرفة المعاينة، رد الهاتف
أجاب السيد «فان لبيب»

«أوه، لا هذا غير ممكن! أرجوك، نحن نسا بحاجة إلى شخص
آخر»

كانت «إنيراست» على الهاتف كان «بيتر» قد أعرب عن رغبته في
أن يشارك هو أيضًا في المطاهرة قال «أنطون» إنه يستطيع أن يأتي
بالدراجة الهوائية إلى العيادة ويتطره أمام الباب ألقى السيد «فان
ليب» مترننه على مكتب مساعدته

«دعي ألي نظرة عليك يا صديقي أي واحد منكم؟
في الوقت الذي ذهبت فيه روحته إلى دورة المياه، بدلا من
نفس ذلك بعد قليل، وجه الطبيب المصباح إلى فم «أنطون» ولمس
الصرس بإصبعه، صرر الألم رأس «أنطون» مثل البرق التعتد ورقة
صغيرة فضية، ووضعها على الصرس، وقال «أنطون» أن يطلق عليها
فكة برفق، وبحركتهما حركات حفيضة إلى الأمام وإلى الخلف ألقى
نظرة أخرى على الصرس، وأخذ المنقب من فوق المشجب
قال «أنطون»

«أفصل بحكم مهنتي أن تعطيني حقة محذر
هل فقدت صرارك؟ ليس عندك أي شيء افتح فمك
شابك «أنطون» أصابعه بحصها بعض يسما كان يحدق في شعر
الطبيب الأشيب المسرح إلى جانب، ستمر الألم والصوصاء مدة
ثانييس أو ثلاث ثواني، فان بعدها السيد «فان لبيب»

۔ اعلق فمك.

حدثت المعجزة لقد عاد الألم إلى ما وراء الأفق، احتفى وكأنه
سم يكن موحودًا على الإطلاق

۔ كيف يمكن أن يحدث هذا بحق السماء؟

اعاد السيد «فان ليبب» المثقب إلى مكانه ورفع كتفه

۔ صعط بسيط كان الصرس متقلقلًا بعض الشيء إنها مسألة

كهولة مضمض قليلًا من الماء، لسحب

سألت روجه في اندهاش حين عادت إلى العروة

۔ هل انتهيت بهذه السرعة؟

قال السيد «فان ليبب» بصحكة مأكرة

۔ إذا كان يظن أنه يستطيع أن يصرب بوعده عرص لحائط، فهو

محطى

حين كانوا يتطرون «بتر» خارج العبادة، قال «أنطون»

۔ هل تعرف يا «حيرت حان» أن هذه هي المرة الثانية التي نطالسي

فيه، بالقيام بعمل سياسي الاختلاف الوحيد هو أنت هذه المرة

شارك فيه أنت أيضًا

۔ لماذا طاستك في المرة الأولى؟

۔ بالتطوع بقتال في كوريا، في الصراع لدي كان يخوضه العرب

المسيحي ضد الشيوعيين الهمح

بيما تحاول روحته كت صحتكها، حرق فيه «فان ليبب» بصمت

حلال بصع ثواب كان صوب يصل إليهم من مكبرات الصوت من

مسافة تبعد عنهم بصعة شوارع

هل تعرف ما مشكلتك يا «ستينهايك»؟ مشكلتك هي ذاكرتك القوية لو حكمت على الأمور من هذا المطلق، لكنت أنت الشخص الذي ينتز الأحرى أنا لم أصح شيوعياً في يوم من الأيام، هذا التصيح ما قد يلتبس عليك كيف يمكن لي؟ الليرة لا يمكن أن تتحول إلى قرش يا عزيزي. أما الأسلحة النووية فهي تشكل خطراً كبيراً على الإنسانية جمعاء لذلك يجب أن تراها كنوع من الهجوم من «العصاة الحارجي» وهي تُستخدم لاستغلال الشرية كل موحاة تلح حديدة تأتي ردّاً على تسليح العرف (المعادي، الذي يعود ويرد بالمثل هكذا يبقى كل طرف بالمسؤولية على العرف الآخر، وهكذا تترك الأمور إلى أن يستخدموها في يوم من الأيام هذا واضح مثل عين الشمس شيء لا مفر منه، شيء مؤكد، تماماً مثلاً كان مؤكداً أن آدم وحواء سيأكلان دات يوم من «شجرة الحياة» لذلك علي ابتلاع ذلك التمثال

أحي «أنطون» رأسه لقد أذهلته هذه الحجة، ولكن من المعروف في الأوساط لطيفة أن أطباء الأسنان محايين، ولكن لعل حجته هذه تطوي عن جانب من الصحة وصل «بيتر» وأقبل دراجته يسما «أنطون» ينظر إليه، وهو يسمع هدير الطائرة المروحية والصوت المسموعة من المعد، تنبذ شعور حميل جعله، لدهشته العظيمة، يجذب إلى ما يجري في المدينة ويرتبط به

في القسم الأخير من الشارع المؤدي إلى مكان التجمع، بات من غير الممكن تقريباً أن يتقدموا خطوة إلى الأمام. تحت مناجح أسود

صحم على شكل صاروخ مدفع نحو الأرض، كانت الشوارع نوعة
 بين مبي المحلات الموسيقية ومتحف ارايكر، قد ارجعت عشرات
 الألوف، بل معنات الألوف من الناس الرافعين لوحات ولافتات بصل
 عرص بعضها إلى عشرة أمتار، في حين لا يزال الناس يتوافدون من
 جميع الجهات من مكبرات الصوت المثبتة على الأشجار وأعمدة
 الكهرباء كن بسعت حطاب، بدا أنه يُلقى من فوق المبر المقام في
 البعد، لكن «أطون» لم يبال بمصمون الحطاب ما كان يهمه هو
 هؤلاء الناس المحشودون هنا، أي حضورهم للمحصن، وأنه هو من
 انما منهم احتفى «فان بيبي» عن ناظره، لكن لم يحظر في باله أن
 يتخلص من بين الحشود ويذهب إلى البيت كما أن هذا الأمر بات
 مسجلاً بعد مصي برهة قصيرة كان يقف هو وابنه مثل سلسلي في
 حق من المسائل البشرية لي يحوم محل الحصاد فوق رؤوسها،
 وقد خفي شعوره بالقلق والحب حنة كملأ كان الناس الذين
 يقومون بجواره، ويكادون ينتصفون به هم، ما عدا «بيتر»، امرأة فروية
 كبيرة السن بعض الشيء، ترندي مسيلاً صغيراً شفافاً فوق قميصه
 شعر متدوحة، ورجل صحم لينة في سرة جديدة بية اللون بياقة
 من القرو، وله ثوب صحم وسلفان طويلان، بالإضافة إلى امرأة
 شابة واصعة طفلها انرصع النائم في حمالة مشدودة إلى صدرها
 هؤلاء كانوا يحيطون به، ولا أحد سواهم قرأ شعراً بين الشعاب
 المساوئة للنسلح الووي، مكتوباً على لوحة صغيرة
 يوب ها هم هنا

بعت انتباه «بيتر» إلى الشعار، وأحمره من يكون «يوت» (*) أعس
 من مكبرات الصوت أن ألقي حافلة وصلت إلى أمستردام خلال نصف
 الساعة الأخير، ما يعني مائة ألف متظاهر آخر. هتاف، وتصفيق ثم
 أعلن الصوت نفسه أن آلاف الناس مارالوا بنوافذ من المحطة، بعد
 أن وصلوا إليها في قطارات إضافية. كانت كل الشوارع المؤدية إلى
 «ميدان المتحف» قد سلتها الجماهير قال «أنطون» في نفسه ولكن
 ليست بهذه المكبرات التي تصحح صوت الإنسان هذا التصحح
 كله، علاقة وثيقة بوجود التحارب النوية؟ لا هذه ولا تلك كانت
 من الأمور الممكنة بل أربعين سنة ما يحدث في العالم قد يكون
 أكثر مظاعة وتعقيداً مما يظنه الجميع

لم يستطع أن يعرف كم من الوقت مضى وهو واقف هناك التقى
 «بير» بأحد رفاقه في المدرسة، فأسأله بالانصراف واحتفى عن
 ماضيه تذكر «أنطون» لحظة، لم تدم طويلاً، لملاجئ لني أقيمت
 هناك ذات يوم، و«نادي الجيش الألماني» والمؤسسات الألمانية
 في البيلات المحيطة به الآن تتركز مكهاا القنصلية الأمريكية،
 والمفوضية التجارية الروسية، وانصرف المرسي «موسستيه»
 حرال» تعالت هتافات لإعجاب بعض السياسيين وأصوات الصغار
 والاستهجان حيال بعضهم الآخر، ثم دبت الحركة أخيراً في لحشود
 التي أخذت تسير خطوة بخطوة بدا من الواضح أن الطريق المقرر أن
 سير فيه المظاهرة لا يستطيع استيعاب هذه الجماهير كلها، فقد بدأت

(*) وزير الدفاع الهولندي بين ٤ نوفمبر ١٩٨٢ و ١٤ يوليو ١٩٨٦ (المترجمه)

مظاهرات عديدة تدخل مركز المدينة من جهات مختلفة كدست قد
 سيطرت على «أنطون» حلة عريضة من الشوة من دون إنارة، حالة
 أقرب إلى انحنام عاشها في زمن بعيد بعيد، قبل الحرب. ثم بعد
 وحيداً، بل واحداً من هؤلاء الناس كلهم، الذين يحيم عليهم هدوء
 عظم على الرعم من لصحب والصوصاء من كل شيء محتفياً بعصر
 وحودهم ليس هو نفسه فحسب، بل أيضاً المارل التي تعرف على
 بولها انملاءات لبصاء هـ وهناك، مثل مدينة في حالة سـلام،
 والعيوم الرمادية العائرة، والريح التي تؤرجح المنفاح الأسود دا
 الشكل الصاروحي ذات اليميس وذات لشعان، ويجعه يحربين
 القبة والأخرى فيعود وينصب في الحان
 شكراً على المستقبل

في رواية المساحة اصطدمت المضطرة نتيار عريض من لاس
 الذين يريدون الوصول إلى مركز التظاهر أحد الجميع يمسح
 الطريق للجميع وهو يعتذر ويصحك بود ولطف ثم يستطع
 «أنطون» أن يتمالك نفسه انفس ليسوا قصة، ولم يصبحوا قصة،
 كما كان يظن، هؤلاء ليسوا هكذا، أم أن هؤلاء وحدهم ليسوا
 هكذا؟ يحب عيه أن يشكر السيد «هان بيبي» على إشرائه في
 هذه المظاهرة أحد يمشي على رؤوس أصابعه ويحيل نصره في
 ما حوله. رأى «ساندرا» فجأة، فناداها بصوت عالٍ لوح كل مهما
 بيده وغير تجاه سيره نحو الآخر
 هتف «ساندر» من بُعد
 - لا أصدق عبي! عظيم يا أبي!

طعت قلة على حده، وشانكت دراعها بدراعه
- ما الذي حدث معك؟

- اعتقد أسي الوحيد الذي جاء مرعماً إلى هذه المطاهرة، لكسي
الآن أشارك فيها عن طبيب حاضر مرحباً «استيان»!

صاح صديقه، وكان شاباً وسيماً، يرتدي سطلاً حير فوق
حذاء رياضي، وحواس عفه كوفية فلسطينية، وفي أذنه اليسرى حلق
من ذهب لم يكن «أنطون» يُكره له كثيراً من الود، لكنه سيصبح أباً
لحميده في المستقبل قريب كانت «سندر» قد استأجرت غرفة،
لكنها قبل بضعة أسابيع انتقلت لسكن معه، في منزل مهجور كان
داسنوي عليه بعد أن أحبرهم «أنطون» بما حدث معه بالضبط،
قال «استيان»

- لا تظن أنت الوحيد الذي يسير هباءً على أو مر انمكان يعح
برجال الشرطة انظر هناك

كانت مجموعة من نجبود قد ظهرت والحشود تستنفذها بالترحاب
والصفيق رأى «أنطون» الناس وهم لا يستطيعون كبح دموعهم عند
رؤية البدلات العسكرية، وانشاء وانشاءات وهم يرقصون في حلقة
حول العساكر المنتهجين وكأنهم دقة ورد ثمينة. لم يفهم «أنطون»
قصده

- هل هؤلاء انشباب مرعمون على المشاركة؟!

والثقت عينا، عيني امرأة كبيرة في انفس بعض الشيء، تنظر إليه
وكانها تعرفه، فظن أنها مريضة من مرصاء، فأخنى لها رأسه، حياء
حبيبة

أشار «ناسيان» إلى رجل مشرة واقية من لربيع يقوم بتصوير
لجنود

- لا يا أله! أفضد ذاك! رحل الشرطة

- هل أنت واثق من ذلك؟

- يجب أن يظير تلك الكاميرا من يده

قال «أبطون»

- ماذا تنتظر؟ هيا افع! مهم لا ينتظرون، لا مثل هذه الأفعال التي

تفسد لأجواء

قال «استان» بصحكة مر وغة أزعجت «أبطون» كثيرًا

- بمصادفة معتلة طف

- بمصادفة معتلة! هن بك أن تنصرف مثل رجل مسؤول يرافق

مرأة حاملًا؟ أريد أن أصبح جدًا حميدي، لو تكرمت!

قالت «سانبرا» بعمه

- طيب! بدأنا من جديد

ثم

- إلى اللقاء يا أبي سأحصل بك قريبًا

- مع لسلامة حبيبي، كما تريدن واطركي ذلك اسمرل من أن

تفتحهم الشرطة ونخرجكم بالقوة مع لسلامة يا «ناسيان»

لم يكن شحازًا بمعنى الكلمة، بل تعسرَ للمرة الألف عن انزعاج

أحدهم من الآخر، حتى كاد أن يصبح من وجت البقاء

لم يكن بسيد «هان ليب»، أي أثر، ولا «بير» أسدب بعه للتير

السائر بطفء كان رجال وفسء عجائز يفعون على شرفاتهم الصعير»

ويرمى أيديهم الأنتين (اسمين بأصابعهم إشارات النصر، التي يتكررها من زمن الحرب كانت فرق موسيقية تسير مع المتظاهرين، وعازمون آخرون يعرفون الموسيقى في كل مكان على الأرض من دون أن يطلبوا انقود ثمناً لعرفهم كان المجتمع كله قد رمى حبله على العارب كان أشخاص من جماعة «الناك» بجوارب طويلة سوداء، وسراويل فضفاضة برقعة متاعه من سوق السلع المستعملة، وشعور مصبوعة بالأصفر والبسجي، يرقصون بحماس وانتهاج فوق سطوح مواقف الترام، والناس لديهم كانوا يحافونهم حتى ذلك الوقت يراقبونهم بحب ومودة ثم بكى أي شيء في هولندا يسير على موانه الطبيعي باستثناء الحياة في السماء كانت طائرات الدعايات ترعرع منها لافتات تعلن أن لا سلام إلا مع الميخ ومن يريد تحميل الصور الملونة خلال ساعة واحدة فقط، يستطيع الذهاب إلى شارع «كالرسترات»، رقم المحل كذا فوق سطح شاحنة مركونة، كان يجلس اثنان من العتيان الشحعد، في الخامسة عشرة من العمر، وقد رفعا لافتة تعبر عن تعبيرهما الخاص لمظاهرة «سلام»

الفلسفة الأولى على واشطر

هناك كان الناس يضعون أيديهم على أمواهم ويتحججون بحجل واستحياء، ولكن كانت هناك أيضاً لافتات كتبت عليها بالرواية كلمة «مرسكو» رأى «أطون» الحشود في البعد وهي تخرج من الشوارع الفرعية كلها، وتقاطع مع العميرة التي يمشي فيها، أحياناً في مكاتب معاً كان شيء غير معقول يحدث هناك، حتى لقد تعرق الناس الساير من إلى تيارات فرعية، وبدأ يرى في كل مرة أناساً آخرين حول في

منتصف الطريق إلى شارع «ستاد هاو در كاده»، ظهر رجل من أشخاص
في ثياب تنكرية سوداء، في أيديهم شحاشيح، وعلى برانهم السوداء
مرسومة هياكل عظمية مشعة، مثل المصابيح بالطاقون في القرون
الوسطى، ودفعوه إلى جانب وهم يشقون طريقهم بسرعة إلى الأمام
اصطدم شخص، فقدم إليه اعتذاره. كان الشخص هو المرأة التي
رآها تنحرف من قبل قليل. انسمت في ارتباك، وسألته تتردد
- «طوبى! أهل تذكرني؟

نظر إليها في اندهاش امرأة قصيرة القامة، في نحو لستين من
العمر، شعرها يكاد يكون أبيض اللون، وعينها دواتا اللون العاتق
جداً. جحظتان بعض الشيء. حنف رجاح نظارتها السميت.
- لا تؤاخذيني، لا أستطيع أن

- أنا «كارين» «كريس كوربيج» جارتك في «هارم»

في أول الأمر، يومضة برق، تحولت المرأة الشقراء المداخرة من
مرل «فوق الحبال»، إلى عجور بحيلة وقفه بجاسه، وفي ثاني الأمر
بولنه حيرة وارتباك

فانت سريعاً

- إد كنت لا ترعب في الحديث معي، قل لي ذلك، سأعادر في
الحال

تلعنم

- لا نعم يحب عليّ فقط أن أنا نحتاجات

- كنت قد رأيتك منذ وقت طويل، لكك لو لم تصطدم بي، لما
نشرت بالحدث إليك هذا أكيد

ورفعت إليه عيها مashedة العفو

حاول «الطون» أن يستعيد رطة جاشه. ارتعش لحظة، فقد عادت
ثلث اللينة اللعينة من ليالي الحرب إلى الظهور فجأة، مثل ظل داكن
سرد يمر فوق الشاطئ في يوم صيفي دامي.

قال

- لا، لا عليك، ما دما سير هما

قالت

- يبدو أنها مشيئة الأقدار

وأحرحت سيجارة من حقيبتها التي تحوي عنة سجائرها
المنفوخة استنشقت الشعبة من راحة يده، وبطرت إليه

- أن ينتهي في مظاهرة اسلام هذه بالذات

يدو أنها مشيئة الأقدار! ووضع القداحة في حبه وقد أطلمت
الديما في عيبه وسرح خاطره ولكن عندما سقط «بلوح» أمام منزلكم،
لم يدُ حينئذ أنها مشيئة الأقدار! شعر بالمرارة القديمة تنبأه من
قراره نفسه، مرارة لعلقم لتي لا تروى وكأنها كانت مشيئة الأقدار
أن يكون آدم مربيهم هم ساريني حورها خطوة خطوة وهو يشعر
بالعشيق كان بوسعه أن يعادها بسهولة، لكنه كان يعرف أيضًا أن
معاناة هذه المرأة التي سير بحاسه قد تكون أكثر من معاناته

قالت «كاري»

- عرفتك مباشرة فل قبل لقد أصبحت بطول أبيض، وشد

شعرك، لكلك بطريقة أو بأخرى لم تتغير أبدًا

- سمعتُ هذا الأمر كثيرًا لا أعرف إذا كان شيئًا جيدًا أم لا

- كنت أحس دائمًا بأسى سألقاك في يوم من الأيام هل تقيم في
أمستردام؟

- أجل

- أنا أقيم في «آيدهورف» مد بصبح سنين

حين بقي صامتاً، سألت.

- ماذا تعمل يا «طوبي»؟

- أبا طبيب تحديد.

فقلت بأندهاش، كما لو أنها تمت على الدوام أن يراول هذه

المهنة

- حقاً؟

- حقاً وأنت؟ أما رلت تعملين في التمريض؟

بدا وكأن التفكير نفسها قد كدّر صموه.

- تركت التمريض منذ أمد بعيد أقمت خارج البلاد ربما طويلاً

هناك عملت مع الأولاد ذوي السلوكيات الصعبة بعد عودتي

عملت أيضاً في ذلك المجال بصع سوات، لكسي الآن أعيش

من الإعاقة الاجتماعية أنا لست في صحة جيدة

سألت فجأة وقد استعادت برتها المتحمسة

- هل كانت تلك استك؟ تلك «الغثاة» التي كنت تتحدث معها قبل

فليل؟

أجاب «أنطون» على مصص

- أجل.

شعر بأنه ليس لها علاقة بذلك الجزء من حياته، هو حوده حدث

رغمًا عنها، وليس بمصلها

- هل تعرف أنها تشبه أمك؟ كم عمرها؟

- تسع عشرة سنة

- إنها حلوى، أليس كذلك؟ تستطيع أن ترى ذلك من عينيها أكثر

منه من يطها هل عندك أولاد آخرون؟

- عدي ولد من روحتي الثانية.

وحال بصره على ما حوته.

- به ها في مكان م

- ما اسمه؟

قل «أطون»

- «بيتر»

ونظر إلى «كارين».

- به في الثانية عشرة من عمره

لاحظ عليها أنها حطت، فسألها من أجل أن يساعدنا على

التخصص من ارتكها

- هل عندك أولاد؟

هرت «كارين» رأسها بلا، ورحت تحنق في ظهر المرأة لسانة

أمها، التي تدفع رحنلاً عمحوراً في كرسي متحرك

- أن لم أتروح

- أم ير ل أبوك على قيد حياة؟

يسما «أطون» بطرح هذا سؤال، لاحظ أن سؤاله يتضمن محربة

لم يكن يتعمدها

عذب وهرت رأسها بالصفي.

- لقد مات منذ زمن بعيد.

لرما الصمت وهما يسيران حنّاً إلى جنب بين انحشود كابت

الجماهير قد توقفت برهة عن ترديد الشعارات، وما رالت الموسيقى

صحيح، لأنهم في كل مكان، ولكن في حوارهم لم يكن أحد يتقوه
 بيت شقة شعور أن «كريس» تريد أن تتحدث عن الموضوع، لكنها
 لا تجرؤ على فتحه «بينتر» في السابعة عشرة من عمره إلى أمد
 الأبد، لو بقي على قيد الحياة، لكن الآن في الرابعة والخمسين من
 العمر أدرك من خلال حسانه لسنوات عمره هذه، أكثر منه لسنوات
 عمره هو نفسه، كم من وقت طويل مضى على تلك الليلة وكذلك
 من خلال هذه المرأة، الضحية - الشاتحة، التي تسير إلى حانسه، التي
 شاركت مشاعره الحسية في يوم من الأيام، لكن ساقها الحماة
 لشبهتين تحطى الأسباب في حاضي لطائرة، قد اكتسبت ملامح
 عمره الهريسة، المحيلة لعنها كانت آخر شخص رأه «بينتر» قال في
 هبته كاتب يتولاه الخوف والارتباك في الوقت نفسه، إذ يعلم أنه
 وصل إلى كتابة الجزء الأخير من كتابه

- اسمعي يا «كريس» دعنا لا نلف ولا ندور حول الموضوع أنت
 تريد أن تتحدثني عنه وأنا أريد سماعه ماذا حدث بالضبط في
 تلك «ليلة» هل هرب «ستر» إلى بيتكم؟
 أحست رأسها نعم، ثم قالت بصوت منخفض من دون أن تحول
 عينيها عن طهر الشخص السائر أمامها
 - طست أنه جاء ليقتلنا، سب ما فعله
 ألقت عليه نظرة خاطفة
 - كان في يده مسدس
 - مسدس «بلوج»
 - أجل، سمعت ذلك فيما بعد. رأياه في العرفة فجاء كان في

حالة مرعبة لم يكن قد أشعنا سوى فانوس الزيت، لكنني رأيت حارثاً عن طوره

ازدردت لعابها فل أن تدع

- قال لنا إن أبدال، وإنه جاء ليقتلنا. كان حائراً ولا يعرف ماذا يفعل كن لألمان يلاحقونه، ولم يكن يوسعه أن يخرج من الممر قلت له أن يتخلص من ذلك المسدس على الفور، واقترحت أن نحمله في مكان ما، لأنهم لو جاءوا بعد قليل، يمكن أن يظوه هو القاتل - وعاداً قال؟

رفعت «كارين» كتفها

- أظن أنه لم يكن يسمعي حتى كان واقفاً هناك وهو يلوح بالمسدس ويصغي إلى الأصوات في خارج المنزل وقال لي أبي أن أسكت.

كان «أنطون» يسير بحفوات وثيدة، مشكاً إحدى يديه مع لأخرى على ظهره، ومحدد أمامه، فقطب حاجبيه - لماذا؟

- لا أعرف لم أسأله عن المسدس، ولم يرب فيما بعد أن يتحدث عن تلك الليلة سكتت لحظة، ثم قالت:

- نكهم رأوا «بيتر» وهو يدخل بيتاً، توقعنا أن يقتلوا البيت ويعثروا على المسدس، ومن ثم يقومون بتصفيتنا كشركاء في قتل «بلو». كانت الأمور تسير على هذا النحو في ذلك

الوقت، أليس كذلك؟ فهم لم يَكُونُوا لِيَتَحَرَّوْا أَوْ لَا عَنْ أَمْرِ
ذلك المسدس

قال «أنطون» تتمهل.

- نمصدين أن والدك رأى من مصلحتكما أن يراكما الألمان تحت
تهديد الشخص الذي يمكن أن يظوه هو القاتل
وحين أحس «كاريس» رأسه بحذاء خفيفة لا تكاد تُلاحظ، قال
- لكنه أثبت لهم بذلك أنه القاتل فعلاً

ثم تعقب «كاريس» كانا يسيران خطواتهما مع النهر الطيء
ظهرت من شارع فرعي مجموعة من الشباب حليقي الرؤوس،
البالغين نحو السادسة عشرة من العمر، وقد ارتدوا سترات من
الجلد الأسود، وباطيل سوداء، وأحذية سوداء ذات رقاب طويلة
وكعبات من الحديد، وأحدوا يشعرون صعوف الجماهير من دون
أن يظفروا إلى أحد منهم، واحتفوا فوق الحمر المقدم على الناحية
الأخرى

سأل «أنطون»

- وماذا حدث بعد ذلك؟

أجاب

- وصل كل ذلك الجيش إلى رصيف القاء بعد برهة قصيرة
لا أندكر بالصط كمن من الوقت مضى قبل وصولهم كنت
حائفة جداً، كان «بيتر» موجهاً ذلك السلاح الحقيقير إلى، وممعا
محاة من الشارع ذلك الصحيح والصراح كله لم أكن أعرف
ما الذي كان يوي القيام به، وأظن أنه هو نفسه لم يكن يعرف

لكسي على شبه يقين من أنه كان يعرف أنه صاع إلى الأبد، حتى
لقد تساءلت كثيرًا لماذا لم يقتل حيداك، فهو لم يكن لديه ما
يحسره في تلك اللحظة لعله أدرك، على الرغم من كل شيء،
أن لديه ليس دس في آخر الأمر، أقصد

ورفعت إليه عبيها لترى هل باستطاعتها أن تقول ما نريد قوله
- أقصد أن تلك الجنة لم تكن تحصا أكثر مما كانت تحصكم
أنتم أو أي أحد آخر - رأيت وهو يريد أن يعيدها لعددا، و
قطعها «أنطون»

- لست متأكدًا من هذا، ربما كان يريد أن يصعها عند آل «نويمر»
أنت تعرفين السيد «نويمر» وروحه، كان عجوزين ربما كان
أبوك سيشتت معه بالأيدي

تهددت «كارين» ومررت يدي على وجهها، ألقت نظرة يانسة على
«أنطون»، فرأى عليها أنها تعرف أنه يريد سماع ما حدث بعد ذلك،
لكنه لن يطلب منها أن تحبره به. نظرت بحركة سريعة من رأسها إلى
الطرف الآخر، كما لو أنها تبحث عنم يقدم إليها يد العون حين لم
تجد ما تبحث عنه، قالت

- آه يا «هنري»، لا بد أنه كان هناك شيء في سيرة التعتيم المسئلة
على أنياب لرجاحي، استطاعوا أن يروه من خلاله واقفًا
بمسدس. فجاء أطلقوا رصاصه عبر الزحاح ارتعش على
الأرض، لكسي أطر أنهم أصابوه على الفور ثم كسروا باب،
ودحجوا بنادقهم، إلى الأرض وأطلقوا عليه بضع رصاصات
أخرى، كما لو أنهم يطلقون على حيوان

«إلا يستطيع إله الشمس أن يحدد سبب هذا الحراب؟» هذا هو الجواب، دون ألفى «أبطون» رأسه إلى الوراء، وتنفس نفساً عميقاً وهو ينظر إلى لحرقة المعرفة وراء طائفة الدعايات من دون أن يبصرها كانت معدهرة السلام، التي يمشي فيها، أبعد كثيراً من تلك الحادثة التي وقعت قرن مئة وثلاثين عاماً، ولم يكن موجوداً أثناء حدوثها في تلك العرفة، التي كان يلعب فيها لعبة الرد مع «كارين»، وقتل فيها «بيتر» من حلال شق في ستارة التعقيم

سأل

«ماذا حدث بعد ذلك؟»

«لا أتذكر تماماً».

سمع من مرة صوتها أنه تنكي، لكنه لم ينظر إليها - لم استطع أن أنظر مرة أخرى - خرجوا إلى الحديقة على الفور، كما لو أن محاطر أخرى كانت تهددنا. اعتقد أننا وقف وقتاً طويلاً في الرد لا أتذكر سوى صوت تساقط الزجاج، عندما كسروا لشبابيك عدكم. جاء ألمان آخرون، وأحدوا بدخول الممرل ويخرجون منه ثم اقتدوا عبر الأرض التي كانت تقف فيها سيارات أيضاً، وأحدوا إلى «مركز قيادة المدينة»، لكنني سمعتُ من بعيد ذلك الندوي الرهيب، عندما فحروا ببيتكم

حتمتُ صوتها تذكر «أبطون» أنه رأى السيد «كورتبيج» في «مركز قيادة المدينة» وهو يقطع أحد الممرات، وكوب الحليب السحس، والسدويتشات المدهونة به «شمالتس» انقلب كيده رأساً على عقب، مثل عرفة أحدث فيها اللصوص فوضى، ولكن في الوقت

نفسه همت بسمة من السعادة على قلبه عند استرجاعه هذه الذكرى،
بيد أنها اجتمعت على الفور عندما حطرت على ناله صورة «شولنس»
وهو يُدار على ظهره عند درحة الصعود إلى الشاحنة أعمص عيه
بقوة ثم فتحهما على انساعهما

- هل حققوا معكما؟

- حققوا معي على انفراد.

- وهل قلت ما الذي حدث بالضبط؟

- أجل.

- ماذا قالوا، عندما سمعوا أن «بيتر» لم تكن له علاقة بشيء؟

- رفعوا أكتافهم قالوا إنهم كانوا يعتقدون ذلك، لأن المسدس

كان مسدس «ملوخ»، وكانوا قد ألقوا القنص على شخص آخر،

فتاة شابة، حسب فهم

قال «أنطون»

- أجل، لقد سمعت ذلك أن أيضًا

وحطاً أربع خطوات قبل أن يقول

- شخص من نفس عمرك

فكر لحظة الآن يجب أن يعرف كل شيء، ثم يذهب إلى الأب،

ويقلب عليه صحرة ولا يعود إلى التفكير فيه قط. قال

- ثمّة شيء لا أفهمه لقد رأوا «بيتر» يهددكما بذلك المسدس،

ألم يسألوا لماذا كان يفعل ذلك؟

- نلى.

- وماذا قلت لهم؟

— الحقيقة

لم يعرف هل يصدقها أم لا، لكنها من ناحيته أخرى لم تكن تعرف
في تلك اللحظة بعد، أن والديه لم يعد بمقدورهما قول الحقيقة كما
أنه هو نفسه كان يستطيع أن يحبرهم بها، لكن ما من أحد ألقى عليه
سؤالاً في هذا الشأن

— فت ردن إن «بلوخ» سقط أدم بابكم؟

— أجل

— وإنكما وصعتماء عبدنا؟

أحت رأسها بعم لعلها كانت تظن أنه يريد أن يدفعها ثم ما
فعلت، لكن الأمر لم يكن كذلك مضت نصف دقيقة من دون أن
يبر أي منهما ست شفة كان يسيران حباً إلى حب في المظاهرة،
وليس في المظاهرة

سأل «أنطون».

— ألم نحافى أن يحرقوا مرلكم أيضاً؟

أجابت «كارين» وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال:

— بيتهم فعلوا! أنت لا تعرف كيف كان شعوري بعد كل ما حدث
لو فعلوا ذلك، لعشت حياة غير التي عشتها في تلك اللحظة
تمنيت أن يقتلوني أو أن يقتلي «بيتر»

أحسن «أنطون» بأنها تعني ما تقول انتابته رغبة في أن يصح يده
على كتفها، لكنه أحجم.

— ماذا قالوا حين سمعوا ذلك؟ وهل كان قائد المركز موجوداً
أيضاً؟

- وكيف لي أن أعرف؟ كان المحقق المدياً في لباس مدني في البداية .

- هل كانت له مديّة على وجهه؟

- مديّة؟ لا أظن ذلك لماذا؟

- تابعي

- في البداية قل من دون أن يرفع عيبيه عن أوراقيه «لا يهمي أن

أعرف من فعل ماذا» إنني لا أرا أن تذكر ذلك جيداً، ثم وضع

قلمه على المكتب، وعقد ذراعيه على صدره، وحدثني برهة

من الزمن، ثم قل باحترام شديد: «تهانينا»

«عرت «أطون» رعة في أن يهينها بدوره على تلك التهنئة، نكه

كبح رعته

- هل أحبرت و لذلك بذلك؟

أجاب «كارس» بصوت يكاد يكون حائلاً

- لم يمدم فقد بما أدليبه به من معومات، ولا عمت بها أدلي به

هو لم ير أحداً الآخر إلا في صاح اليوم اتاني، حين سمحو

بنا بالذهاب إلى البيت قل أن أستطيع انتموه بأي شيء، قل

«كارس»، لن نتكلم عن هذا الموضوع أبداً، مفهوم؟»

- وهل فهمت؟

- لم يقل كلمة واحدة عن ذلك الموضوع، طوال حياته كلها، حتى

عندما عذب إلى البيت، ورأينا تلك الأنقاص المحترقة، وسمعا

من السيدة «توبير» أعني، أن والدك أيضاً والدك

كانت المرأة التي تدفع الرجل المقعد في الكرسي المتحرك قد

احسنت، أحدها النجار الذي سلك مجرى آخر تصاعد صوت امرأة من مكبرات الصوت وهي تقود الجماهير في إطلاق الشعارات المرفقة بالنصفيين، لكن الأصوات عبر المصحمة كانت تحتفي في العدم كان معظم الناس يسيرون في صمت، وكأنهم يسيرون وراء نعش إنسان عزيز عليهم كان الناس يقفون في كل مكان على الأرصفة ويراقبون الموكب العابر بهم ثمة اختلاف بين السائرين والمراقبين، اختلاف من نوع نادر، له علاقة بالحرب.

قال «أنطون»

- ذهبت لزيارة آل «بويمر» بعد الحرب ببضع سنوات سمعت هناك أنكم انتقلتم إلى مكان آخر بُعيد الحرب

- هاجرتما إلى نيويورك

- نيويورك؟

قالت «كارين»

- أجل

ورفعت نهرها إليه

- لأنه كان حائماً منك

قال «أنطون» بصحبة قصيرة.

- مي أبا؟

- قال إنه يريد أن يبدأ حياة جديدة، لكسي أظن أنه كان يريد تجنب اللقاء بك منذ اليوم الأول من التحرير بدأ يعمل كل ما في وسعه من أجل المعاداة أجزم أنه كان يخاف من انتقامك منه ومي بعد أن تكبر

كان «أنطون»

- أَرْتَظِن أسِي كِت سَأَقْدِم عَلَى لَانْتِمَام؟ ذَلِكَ لَمْ يَحْطُر سَالِي حَتَّى
- وَلَكِنْ حَظَر بِهَالِه بَعْدَ التَّحْرِيرِ بِبَصْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَ حَالُكَ عِنْدِي،
وَلَكِنْ عِنْدَمَا عَرَّفَ بَعْسَهُ، أَغْلَقَ وَالَّذِي أَنَا فِي وَجْهِهِ عَلَى
الْعُورِ مِمَّنْ تِلْكَ لِمَحْطَةِ لَمْ يَعُدْ يَسْعَمُ يَهْدُوهُ لِبَالٍ بَعْدَ ذَلِكَ
بِبَصْعَةِ أَسَابِيحٍ انْتَقَلَا إِلَى بَيْتِ عَمْنِي فِي «رَوْتَرْدَم» لِأَنَّهُ كَانَتْ
لَدَيْهِ عِلَاقَاتٌ عَدِيدَةٌ فِي مَبْنَى «رَوْتَرْدَم» مِنْ أَيَّامِ عَمَلِهِ، اسْتَطَاعَ
الْمَعَادِرَةُ فِي سَبْعَةِ تِجَارِيَةِ قَلَّ بِهَيْئَةِ تِلْكَ السَّنَةِ أَطْرَأَ أَنَّكَ
أَوَّلُ لِمَهَاحِرِينَ الْهُوسِيدِينَ فِي بِيُورِيلَانْدَ،
رَمَقَتْهُ فَحَاةٌ مِطْرَةٌ عَرِيْبُهُ بَارِدَةٌ، وَقَالَتْ

- انْتَحَرْ هُنَاكَ، فِي عَامِ ١٩٤٨

تَلَمَعِي «أَنْطُون» هَذَا الْحَبْرَ مَفْرَعًا، لَكِنْ فَرَعُهُ مَا لَيْتَ أَنْ تَحْوِي إِلَى
شُعُورٍ بِالْقَوْلِ وَشُعَاءِ الْعَمَلِ، وَكَأَنَّهُ أَحَدُ شَأْرِهِ فَعَلًا فِي هَذِهِ الْمَحْظَةِ
كَانَ قَدِمَ «بِيْتَر» فَنَدَيْتُ حِرَاءَهُ قَبْلَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَامًا مَاذَا سَيَكُونُ
مَوْقِفُ «تَاكِيس» مِنْ هَذَا بِرِي؟ بَعْدَ ثَلَاثِ سَوَاتٍ مِنْ بُلَاقِهِ
الرَّصَاصِ، سَقَطَ قَتِيلٌ آخَرُ
سَأَلُ

- بَعْدًا؟

- مَاذَا قُلْتَ؟

- لِمَ دَ «انْتَحَر»؟ مَا فَعَلَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ بِدَافِعِ الْفَقْدِ عَنِ قَبْدِ
الْحُبَّةِ، أَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَرَبَّمَا مِنْ أَحَلِّ حَمِيَّتِكَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ،
ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ سِوَى أَنْ قَدَّمَ يَدَ الْعُورِ لِمَصْصَدَمَةٍ

كانت عرقبة سبر قد حدثت في مكان ماء، فقد اضطرا إلى التوقف
عن السير على نحو شبه كامل هرت «كارين» رأسها بالفي
سأل «أطون»

٤٧-

- لم يكن يحظر في دل أحد أنهم سيقتلون السكان أيضًا، فهم
لم يفعلوا ذلك من قبل باتت حياتنا في مهبط الريح، عندما
جاء «بئر» إلى عدد بذلك الممسن

- لم أفهم بعد نقصدين أنه كان يقصّل فقط أن يصرموا النار
في بيشا بدلًا من بيته؟ حسنًا! هذا ليس بالأمر الحسن لكنه
مفهوم إنه لم يتوقع أن تحرج الأمور عن السيطرة، ولم يقصد
أن تنسب في سقوط قتلى، أليس كذلك أستطيع أن أتصور
أنه كان يعاني من تأيب الصمير، أو أنه كان حائفًا ولكن
اسحار؟

رأى «كارين» نورد لعالها

فالت

- «طوبى»! هناك شيء آخر يجب أن أحرك به

توقفت عن السير، لكنها اضطرت أن تحطو خطوة إلى الأمام
- حين سمعنا دوي تلك الطلقات، ورأينا «بلوح» ممددًا أمام بيشا،
قال شيئًا واحدًا فقط «يا إلهي، السحالي!»

نظر «أطون» من فوق رأسها بعينين متسعيتين السحالي! هل
هذا معقول؟ هل حدث ذلك بسبب السحالي؟ هل الدب هو دب
السحالي في آخر الأمر؟

سأل

- هل تقصدين أنه لو لا تلك السحالي، لما حدث ما حدث؟

التقطت «كارين» شعرة من فوق كتفه وقد استغرقت في أفكارها،

ورمتها على الأرض متركها بين إبهامها وسانتها

- لم أفهم أبدًا ما لدي كانت تعنيه له تلك السحالي شيء له

علاقة بالأبدية والحمود، شيء له علاقة بسر عامص كان يره

فيها بطريقة أو بأخرى لا أعرف كيف أغتر عن ذلك مثل

الأطعمان الصعور، فهم أيضًا لديهم سر عني اندوام كان يجلس

ساعات طويلة ويتأملها في حمود شيه مجمودها هي نفسها

أظن أن ذلك كانت له علاقة بموت أمي، ولكن لا تسألني كيف،

فإن لا أعلم. لو يعرف كم بدل من العناء في سبيل إبقائها على

قيد الحياة في شدة المجاعة، لم يعد يهتم شيء في هذه الدنيا

سوى الاعتناء بها لعل حبه لتلك الحيوانات كان يهوق حبه

بي كانت الشيء الوحيد الذي يربطه بالحياة

توقف الموكب عن السير تمامًا اسد الطريق بسبب انصمام

المظاهرات المتفرقة إلى المظاهرة الرئيسية كإفا فوفقا حلف لافتة

عريضة مريحة، تمعنها من رؤية ما يحدث في الصعوف الأمامية

تأملت «كارين»

- لكن بعد أن وقعت العائش دالرأس بعد أن مات «بتر» ووالدك،

يبدو أنها تحولت فجأة إلى سحالي عادية دلسة إليه، إلى مجرد

حيوانات ما إن عدنا من «مركز قيادة المدينة»، حتى أحد يرفسها

ويركلها، إلى أن قصي عليها جميعها. سمعته من الطابق العلوي

وهو يهاجمها مثل المجنون ثم أقبل باب العرفة ولم يسمح لي بالدخول إليها لم يدخلها هو نفسه إلا بعد انقضاء أسابيع، وعند ذلك نظف الأوساخ ودهس ما تبقى منها في الحديقة.

أومات «كارير» إيماءة مَر ليس متأكدًا من رأيه - لعله لم يستطع أن يواحه إحساسه بأن ثلاثة أشخاص قد قصوا بحبهم نتيجة حبه لعدد من الرواحف وأنك ستقتله بسبب ذلك، عندما تواتيك امعرضة
قل «أنطون».

- كيف، وأنا لم أكن أعرف ذلك؟

- لكسي كنت أعرف وكان يعرف أني أعرف لذلك أحسني معه بالقوة إلى الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، على الرغم من أني لم أكن أريد ذلك على الإطلاق لكنه في نهاية الأمر لم يكن بحاجة إليّ لتفعله. كنت تعيش في داحجه
شعر «أنطون» بالاشمئزاز كدبت هذه الاعراض أن تكون أقطع من الواقع نظر إلى وجه «كارير» لذي لا يراى مسلاً بالدموع التي انهمرت من عينيها قبل قليل يجب أن يعددها ولا يعود إلى رؤيتها قط، لكن ثمة شيئاً آخر يجب أن يعرفه كانت ما نزال نتكلم، ولكن بالكاد معه.

- كان رحلاً تعبياً في الأوقات التي لم يكن مشغولاً فيها بالسحالي، كان يحدثني في الحرائط، في الطريق إلى «مورماسيت»، والقوافل الأمريكية كان يطلع من العمر ما لا يسمح له بمحاولة للجوء إلى إنجلترا، لذلك

قال «أنطون»

ـ «كاري»!

أمسكت عن الكلام ونظرت إليه

ـ كنتما جالسين في اليبس، وسمعتما دوي تلك الطلقات وعدم
رأيتما «بلوخ» ممدداً على الأرض، خرجتما لكي تنفلا، إلى
مكان آخر، أليس كذلك؟

ـ أجل أبي باعتني بذلك القرار، فقد اتحمده خلال ثابيه واحدة فقط
ـ اسمعي لقد حمده كل مبكما من طرف أبوك من كتفيه، وأنت
من قدميه

ـ هل رأيت ذلك؟

ـ هذا ليس بالأمر المهم أريد أن أعرف شيئاً واحداً فقط لماذا
وصعتماه عذب، وليس عبد آل «آرنس»، على الجهة الأخرى؟
أحانت «كاري» هي «مغال معاجي» وهي تصنع يدها على ذراع
«أنطون»

ـ أردت ذلك! أردت ذلك! رأيت من ليديهي ألا يصعه عندكم،
عندك أنت و«بيتر»، بل عبد آل «آرنس» الذين كانوا شخصين
فقط، ولم أكن أعرفهما على الإطلاق حتى لقد خطوت خطوة
باتجاههما، لكن أبي قال «لا، ليس إلى ذلك المكان، هناك
يحتني يهود»

صاح «أنطون»، وهو يمسك رأسه:

يا يسوع!

ـ أجل، أب أيقظ لم أكن أعرف ذلك، لكن والذي كان يعرف

عنى ما يبدو كانت امرأة شابة مفضل صغير تحتوى هناك منذ سنة ١٩٤٣ رأيتهم لأول مرة في يوم التحرير لو وصفا جثة «بلوح» هناك، لقتل أولئك الأشخاص في كل الأحوال لا بد أنهم رأوا ما معناه، لكنهم لم يعرفوا ما اندي حدث بالضبط السيد «آرتس» و زوجته، اندان كان الجميع يفتنهما لأبهما لم يكونا يعاشران أحداً، أنقذا حياة ثلاثة أشخاص من اليهود، وأنقذ أولئك اليهود حياتهما، بإقامتهم عندهما! عنى لرعم من كل شيء كان السيد «كورتيفيج» إسائاً صلاً لذلك وصع حنة «بلوح» عنى الجهة الأخرى، عندهم، ولذلك سم يعد «أطون» يتحمل المريد قال.

- وداعاً يا «كربين» لا تؤاخذيني، أنا أتمنى لك التوفيق ومن دون أن ينتظر جوابها، تحول عنها تاركاً إياها في يأس و راءة، وأحد يشق طريقه بين الناس، متحد سلاً متفرحة وملتوية، كأنما ليصم الأتعثر عليه مرة أخرى

مصت برهة من الزمن قبل أن يستعيد رباطه حاشه، وبكر ذلك لم يدم طويلاً. وصل إلى حراء من لمظاهرة ما يراى يتحرك، أو أحد يتحرك من حديد، فترك نفسه يساق مع لحماهيره. وكان مئات لآلاف من هؤلاء الناس يقدمون له يد دعوى، هذا لتدفع اللاهثي من الحشود الشرية، التي يراها أمامه وحلمه فوق لحشود المقامة على القنات المائية، وما تزال تعديه رواقه من حشود ضخمة تظهر من الشوارع لعرصة فجأة أحسن بيد في يده كان «ستر» وقد رفع عبيه إليه بوجه صاحك بدله الصحت، لكنه بدأ يحس بحرقه في عيبه انحني فوقه وطبع قبلة على قمة رأسه الدافئة من دون أن يمس ست شقة أحد «ستر» يتحدث إليه، لكن «أصون» لم يسمع من حديثه شيئاً

هل الجميع مدب وعبر مدب؟ هل الدب بريء، والبراءة مبنية؟ ثلاثة نفر من اليهود لقد قُتل ستة ملايين منهم، أي ما يريد على عدد لمائتين هما مائتي عشرة مرة، ولكن أولئك الثلاثة الذين كانوا

معرضين لخطر الموت أنفذوا حياة شخصين آخرين من الناس،
وانفذوا أنفسهم من دون دراية منهم، وبدلاً عنهم بقي أبوه وأمه
و«بيتر» مصرعهم، والسبب في ذلك يعود إلى السحالي.

قال:

- «بيتر»!

ولكن عندما رفع الصبي عينيه إليه، هز رأسه ضاحكاً، فرد «بيتر»
على ضحكته بمثلها. في تلك اللحظة ورد إلى ذهنه: رعونة، طبعا،
رعونة! هذا هو جواب إله الشمس «رع» عن سبب الخراب.

حين وصلوا قرب كنيسة «بيتر كيرك» وهم في طريقهم إلى ساحة
«دام»، انطلقت فجأة أصوات الجماهير من مكان بعيد خلفهم بصرخة
فظيعة أخذت تقترب منهم شيئاً فشيئاً. التفت الجميع في رعب:
ما الذي يحدث هناك؟ لا ينبغي أن يحدث شيء الآن! كانت صرخة
خوف بما لا يدع مجالاً للشك، لا تتوقف، بل تقترب شيئاً فشيئاً، حتى
إذا ما بلغت ولم يحدث شيء، صرخ الجميع من دون كلام، وصرخ
«بيتر» أيضاً، و«أنطون» أيضاً. بقيت الصرخة عندهم برهة قصيرة،
ثم أكملت طريقها إلى الأمام وقد تركتهم وراءها ضاحكين، حتى
إذا ما بلغت منعطف شارع «رادهاوس سترات»، خمدت وتلاشت.
حاول «بيتر» إطلاق صرخة جديدة، لكن محاولته ذهبت أدراج
الرياح. لكن بعد مضي بضع دقائق وصلت الصرخة مرة أخرى من
الخلف، واجتازتهم من جديد، واختفت في البعد. أدرك «أنطون»
أن الصرخة تجول المدينة كلها، كان أوائل المتظاهرين يعودون إلى
«ميدان المتحف»، في حين لم يكن أواخرهم قد انطلقوا منها بعد،

كانت تجول في حركة دائرية، كان الجميع يصرخ ضاحكًا، لكنها كانت صرخة خوف، موجة عارمة فطرية من الأنا، عبرت عن نفسها من خلال هؤلاء الناس.



ولكن ماذا بهم؟ فكل شيء يؤول إلى النسيان. الصرخات تخمد، والأمواج تركد، والشوارع تقفر، وكل شيء يعود إلى السكون. ورجل مشوق الغامة يمشي مع ابنه يداً في يد في مظاهرة. لقد «عاش الحرب» ويكاد يكون من أواخر من عاشوها. لقد أرغم على المشاركة فيها، في هذه المظاهرة، فيلمع بريق في عينيه وكأنه يراها فكرة مضحكة. يميل برأسه بعض الشيء على كتفه، مثل شخص يسمع صوتاً من بعيد، وينساق مع الناس في شوارع المدينة صوب نقطة الانطلاق، ملقياً شعره المسترسل الأشيب إلى الوراء بحركة خفيفة من رأسه، مجرّجاً حذاءيه على الأرض، فيبدو أن وكأنهما يطلقان مع كل خطوة من خطواته سحابة من الرماد، رغم أنه لا يوجد أي رماد في أي مكان.

أمستردام، يناير - يوليو ١٩٨٢



الأعمال الكاملة

t.me/kotbhm

«التركيبية الخاصة بدموليش، متشعة، مضاعفة، غريبة، ذاكّة، مجنونة،
يؤذيها بالقدر نفسه من الإصرار والسهولة»
«دتي تسايست»

«إنه كتاب يُقرأ دفعة واحدة، بل يأس أن تضعه جانبا»
«لندن رهيو أوف بوكس»

في أواخر الحرب العالمية الثانية، وبينما هولندا ما زالت محتلة، تقتل
مجموعة من المقاومين شرطياً عميلاً. وتنتهي المجزأة بسبب غامض أمام
مقر عائلة «سشيفنايك»، فيحرق الألمان المقتول ولا يتجو من العائلة إلا
«أنطون»، ابن الاثني عشر عاماً... بعد ذلك بسنوات، يصبح «أنطون» طبيباً
يمشي حياة هادئة ويتعمد النسيان، إلا أن مصائدات الحياة وأزماتها ستعلمه
خبوطاً متفرقة تسمح له بإكمال صورة الحدث وإدراك عبثية الأقدار.
قصة تحبس الأنفاس، مشوقة مثل رواية بوليسية، ترسم ببراعة مذهلة
الداخل الدقيق بين القدر والمصادفات، والقوة والضعف، والبراعة
والذنب.

نالت رواية «الاعتداء» جائزة «ديسبه برايز» في هولندا، وتحولت إلى فيلم
سينمائي نال «أوسكار» أفضل فيلم أجنبي، وجائزة «جولدن جلوب» لأفضل
فيلم بلغة أجنبية، وجائزة أفضل فيلم في «مهرجان سياتل الدولي للسينما»
عام ١٩٨٦.

«ماري موليش» (١٩٢٧-٢٠١٠) روائية وكاتبة مسرحية وشاعرة هولندية، يُعدُّ
من أفضل كتاب هولندا المعاصرين. حققت أعماله شهرة واسعة، وترجمت
إلى عديد من اللغات. ونال جولتز أدبية مرموقة، منها خمس جوائز على
مجموع أعماله. «الاعتداء» هو أول أعماله التي تُرجم إلى العربية.



ISBN 978-977-6467-01-2



9 789776 467702

المصرية